

6

الطبعة ٣

إلَه وجِنِّي

– الجزء السادس من سلسلة جن بني النعمان –

GOD AND A GENIE

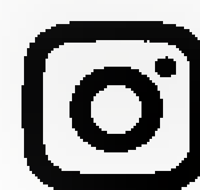
بدر رمضان

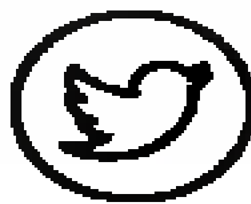
الكتـــــــــاب: إله وجني: الجزء الخامس من سلسلة جن بني النعمان
مؤلف الكتـــاب: بدر رمضان
تصميم الغــلاف: محمد علي
التدقيق اللغــوي: إبداع
الطبعـــــــــة: فبراير 2025
رقــم الإيــــداع: 2024 / 28792
الترقيــم الدولــي: 978 - 977 - 779 - 806 - 8
الموقــــــــع: www.ibda3eg.com
المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com
publishing@ibda3eg.com
للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774

القاهرة - جمهورية مصر العربية
10 ش هدى شعـراوي، وسـط البلد، القاهـرة
هاتف: 0223909119 -
موبايل: 01001631173
الموقع الإلكتروني:
www.ibda3eg.com

الشارقة - الإمارات العربية المتحدة
مركز الأعمال- مدينة الشارقة للنشر - المنطقة الحرة- الشارقة
موبايل: 00971526400538
البريد الإلكتروني:
ibdaa.emirates@gmail.com





مقدمة

باب جهنم – تركمانستان

بيتها الذي لم تغادره منذ عدة قرون، تتخذ موضعًا ملتصقًا بالحفرة المشتعلة التي لا يقربها أنسٌ ولا جان...

لا تملك من حِطام دنياها سوى حيوانٍ وقطعةٍ سحرية..

أما عن حيوانها فهو ظبية صغيرة من جنس عالمها، تسميه باسمها المئين، يتحول لعدة أشكال من الحيوانات المفترسة التي يُرهب بها أي كائن حي يقترب من منطقتها العازلة، ويأتيها بلحم الأسود والفهود التي تُفضله في طعامها اليومي..

وأما عن قطعتها السحرية فهي جسمٌ معدني مجوف من اثنا عشر جانبًا، وله كرات صغيرة متصلة بكل زواياه..

كانت واقفة تتأمل حفرة النيران المشتعلة التي تعكس لهيبها الأحمر على حدقتيها الثابتتين بقوة كبيرة، تشحذ داخلها سلاحُها الذي صنعتها على عينها، بل وأحكمت قبضتها عليه وهي تضيف به كُل يومٍ قطعة مختلفة ومتطورة، حتى أصبح سلاحا فتاكا لن يبقى ولن يذر أحدا من أحبائها..

كانت تُمسك قطعتها المعدنية بأطراف أصابعها، تلفهُ ببطء حتى شعرت باهتزازة طفيفة من أحد كراته البارزة، رفعته تنظر لجوانبه التي وضعت لها أرقامًا لتأتيها صورة من الجانب رقم خمسة، نظرت لها وقد ارتخت ملامحها وهي تتأمل الضيوف الجُدد لمعبدها القريب من منطقتها..

لقد اقترب ميعاد الاحتفال الكبير الذي يقيمونه على اسمها العتيق، والآن يبدأ العامة بشراء أثمن العجول والخرفان، أما الخاصة فيأتون بأطنانٍ من الذهب والفضة، ولخاصة الخاصة قربان محدد وليس له ثمن، وهؤلاء هم زمرة من السحرة الذين يقدمون أرواح ذويهم من الأطفال تحت أقدام تمثالها العظيم الذي صنعته هي ووضعته في المعبد وقامت بإشعال النيران به، ولا يُسمح لأحد الاقتراب منه إلا وهو يحمل قربانًا من الثلاثة..

ابتسمت بهدوء وهي تراهم يعملون على قدمٍ وساق، فيبدو أن احتفالها السنوي سيكون مشهودًا هذا العام، لقد ازداد عُبيدها ومواليها بكثرة، وكل عامٍ الأعداد تتضاعف، لذا سوف تهدي لهم هذا العام عرضا مميزا ستحصد به عددا لا بأس به من الأرواح المميزة وهي على يقين أنها ستصل في هذا الاحتفال لموضعٍ غير مسبوق، لقد استولت على قرى ثم مُدنٍ لتنتهي بدولٍ من العالم البشري، ومؤخرًا حصلت على عدة وزراء وذوي نفوذ كبيرة، واثنان من رؤساء الدول العظيمة، لم يتبق الكثير حتى تحصل على ولاء عالم الإنس بأكمله، وحينها ستبدأ بتنفيذ الخطة التي سيُسجن فيها إبليس كي تتربع هي على عرشه..

اهتزازة أخرى من الكرة الملاصقة للجانب السابع يعقُبها عودة حيوانها الأليف، الذي يتجسد بهيئة مجموعة كبيرة من الضباع، لتتقلص المجموعة في جسد ضبعٍ واحد يحمل بين فكيه أسدًا كبير الحجم، قذفه من فمه أمامها وعاد لهيئته ليُصبح ظبية من نوع)المارية البيضاء(لها قرنان مستقيمان وجسدٌ ضخم، عيناها

تتحولان كما جسدها لأي حيوانٍ تريده، ركضت نحوها بشوقٍ كمن عادت لحضن أمها، فانحنت نحوها تحتضنها وتقبلها وهي تنظر لوجبتها اللذيذة الموضوعة على الأرض تحت قدميها، مدت يدها لرأس الأسد لتنتزعه من جسده بسهولة، ثم اعطت الرأس لظبيتها قائلة:

- هذه مكافأتكِ يا صغيرتي.

تمتمت بصوْت ولغة خاصة وهي تحرك قرنيها بشكرٍ وتسألها عن رضاها، لتجيبها الجنية:

- بل أنا سعيدة جدًا لوليمتي، لقد تفوقتِ على نفسكِ اليوم، لذا فلكِ مكافأةٌ أخرى.

قفزت الظبية بمرحٍ فهي تعرف هذه النبرة، فسوف تحظى الليلة بوليمتين أحدهما رأس أسدٍ والأخيرة ستكون عظام بشري..

وكما توقعت الظبية، فقد فرقعت الجنية بإصبعيها أمام القطعة المعدنية في الجهة الثالثة، لتظهر لها عظام آخر قربان بشري قد قُدم إليها منذ عدة أيام، حركت كفها بمرحٍ أمام حيوانها الأليف، ثم بطريقتها السلسة قامت بنقل العظام من مكانها لتتناثر أمام الظبية، فارتفعت للأعلى تلعقها بلسانها والأخيرة تضحك بملء فيها، لتتوقف عن اللعب فجأة وهي تشعر بهزة مختلفة من قطعتها المعدنية، أشارت للظبية كي تتوقف:

- هيا احملي طعامك وغادريني الآن يا صغيرة.

وفي التو اختفت من أمامها لتجلس هي على مقعدها وقد تحولت

ملامح وجهها للتعجب، فهذا الجانب لا يأتيها منه إشارة من ثلاثة قرون..

تنفست ببطء وهي تستعد لرؤية رسالتها، توقف الاهتزاز منتظرًا إشارتها للعرض، استعدت لاستقبال الرسالة ثم نطقت:

- هيا يا نشروان أرني ما جئت به بعد كل تلك القرون.

ارتفع نشروان للأعلى والتف من اليمين لليسار ثلاث لفات، ثم توقف في أحد أركان الغرفة ليسلط الضوء على الجدار المقابل لوجهها ليبدأ البث..

كان وجهها يتغير بأشكالٍ وانفعالاتٍ مختلفة كلما مرت عليها المشاهد وتوالت وتعددت لولديها وكلٌ منهما في طريقٍ مغاير، لتبدأ مشاهد حفيدها من ولدها الأكبر، الذي اجتمع بولدها الأصغر الغير شرعي عن طريق الصدفة، لتتقاطع طرقهما فيما بعد عند نقطة خطيرة وهي حبهما للإنس..

تحولت ملامحها من الغضب للدهشة وهيَ ترى باقي الأحداثْ المتداخلة، ليظهر لها حفيدان آخران كل منهما له صفات تُذهلها، تشنجت أطرافها وهي ترى أحفاد حفيدها لتتعلق عيناها بأحدهم، أوقفت العرض بإشارة سريعة، ومدت كفها لتتلمس ملامح من أمامها وكأنها وجدت كنزًا لا يُقدر بثمن، أوقفت طنين أذنيها ووضعت يدها أعلى صدرها وهي تردد:

- لقد جاء الوقت المناسب لتصحيح أوضاعكم جميعًا، لقد تركتكم تلهون مع البشر بما يكفي.

اقتربت من الصورة المثبتة على الجدار وهي تستطرد:

- سوف يشفع لكم هذا، فلن أقوم بسجنكم على ما اقترفتموه خلف باب جهنم، ولكنى لن أعفوعن الإنس الذين اتخذتموهم خلائل، كان يجب أن أوقف هذا الأبلة من البداية، ولكن لم يفت الآوان بعد؛ سأقوم بالتفريق أولا ثم جمع أبناء الآلهةِ من جنسه فقط، والباقي سيكون رمادًا لإنائي.

مررت الصور حتى وصلت للملك الأبيض، لتتحول حدقتيها للأسود القاتم وهي تُردف بصوتٍ حاد:

- وسوف تكون أنت أول من يتناثر تحت حذاء الإله تاج.

***

الفصل الأول

جزيرة الأفاعي- البرازيل

كان يجلس في موضعه متربعًا مُغمض العينين في هدوءٍ تام، لا يحاوطه سوى الأفاعي من كل حجمٍ ونوع، يصنع حوله هالة لا يراها سواهم، فيتجنبون الاقتراب منه قدر ما استطاعوا وهم في انتظار إشارته، ظل في موضعه لساعات حتى اكتمل عدد أنواع الأفاعي التي يريدها وتجمعوا بأكملهم حوله، فتح عينيه فظهر لهم شعاعًا اصطفوا أمامه، فأخرج من جيبه قارورة صغيرة ووضعها أرضًا وبدأ في الإشارة لهم، فتزحف الأفعى تجاهه وبرضوخٍ تام تبث سمها داخل القارورة الموضوعة أرضا، ثم تأتي أخرى وتفعل ما فعلته السابقة وهكذا حتى انتهى العدد المحدد ولم يتبقَ سوى واحدة، «أفعى رأس الرمح الذهبية» ابتعدت الأفاعي من طريقها ليفسحوا المجال لها حتى توقفت أمام القارورة، رفعت رأسها وفتحت فمها وملأت قارورته على آخرها، أشار لهم بسبابته فانتشروا جميعًا عائدين لجحورهم..

أعاد الزجاجة لجيبه وانتصب بجسده مختفيًا من موضعه ليظهر في موضع آخر..

***

الهرم الأكبر– مصر

وقف محني الرأس في منطقة ضيقة تحيطها الأحجار من اتجاهين، وجّه نظره للأمام وخطى حتى توقف أمام أحجار صغيرة

مصفوفة على شكل نصف دائرة، وضع كفه عليها يمرره يمنة ويسرة وبهمهماتٍ خافته متتالية تحركت الأحجار تحت يده بشكلٍ متناغم ودقيق ثم انفتح الباب، دلف داخله وفرد جسده على آخره وهو يجول بعينيه الغرفة الواسعة يبحث عن شيءٍ خاصٍ جاء لأجله، امتلأت الغرفة بالأغْراض الغريبة والمتناثرة، ولكن كل غرضٍ كان في موضعِهِ المحدد، ولا يستطيع ساحر تحريكه دون تعويذته الخاصة، اقترب من موضعٍ محدد وانحنى يدقق في أثر ما يبتغيه أرضًا وعلى الحجر الذي كان يستند عليه، تحولت عيناه للأحمر القاتم من الغضب ووقف كاظمًا غيظه يفكر جيدًا فيمن أخذه، فهذا المكان لا يعرفه سواه هو وهي، وهي قد أفضت إلى ما قدمت إليه، فبقي هوا

استبعد أنها قد تكون أخبرت أحدهم بهذا المقر، فهي لن تجعل أي جني أو شيطانٍ على وجه الأرض يضاهي قوة سحرها، ولكن أين أخذتها؟ ولماذا؟

أعاد الأحداث المهمة التي شاهدها قبل موتها وتوقف عِندما قصت عليه فتاته كيف كانت تتواصل مع أمها وهو يضعها في سجن الأرضيين، لمعت عيناه وخرج من الغرفة السرية وأُغلقها خلفه كما فتحها واختفى من داخل الهرم لقصره، انحنت أمامه خادمتاه الواقفتان بالداخل، وخطى هو تجاه غرفة ابنته، طرق بابها بهدوء فخرجت إليه مبتسمة ترتمي على صدره وهي تقول له:

- أين كنت يا أبي؟

لم أرَك منذ ثلاثة أيام. ربت على ظهرها وهو يجيبها بابتسامة:

- اشتقت إليكِ أيضًا يا ابنتي.

أبعدها برفق عن صدره الذي استكانت أعلاه، ونظر لوجهها بهدوء متسائلا:

- أخبرتني سابقًا أنكِ كنتِ تتواصلين مع أمكِ أثناء سجنها عن طريق مرآة.

حركت رأسها بإيجابٍ وأضافت:

- نعم، لقد كانت تضعها في زنزانة خفيه داخل المملكة. تروى قليلا وسألها:

- هل تستطيعين وصف هذه المرآة؟

أجابته بلا تردد:

- لها قاعدةٌ ذهبية مستدئيرة، وتلفها دائرة من الذهب لها مؤشرات كل منها له حرف خاص، وينتصف مقدمتها حجر أحمر اللون على شكلٍ بيضاوي.

ارتخت ملامحه وانحنى يقبل جبينها قائلا:

- سنذهب سويًا بعد قليل لإحضارها، فهل تستطيعين اصطحابي لمكانها؟

أمت بسعادة وأجابته بثقةٍ:

- بالطبع؛ وأعرف طريقة أيضًا لدخول المملكة من مكانٍ لا يعرفه أحدٍ سواي أنا وأمي.

تهلل وجهه وضغط على كفها بفخرٍ قائلًا: - هذه بالطبع ابنتي

العبقرية.

أمرها كي تتجهز حتى عودته، ثم تركها واختفى ليظهر في غرفته..

وجدها توقفت فجأة حين رأته، يبدو أنها كانت تتحرك في الغرفة بعصبية شديدة، وجهها كان مُحتقنًا بغضبٍ جسيم، وجسدها المضطرب كان يُنذر بعاصفةٍ مدمرة، وفي غمضة عينٍ كان يُقبل شفتيها بنهمٍ مبتلعًا صوتها وحنقها وتموجات جسدها المهتزة، حاولت إبعاده عنها ولكنها كلما دفعته التصق بها أكثر حتى كادت أن تختنق، افترق عنها مسافه إصبع حتى يعطيها مجالا للتنفش قبل أن يحملها بذراعٍ واحدة منتقلا بها لمكانٍ خاص لم تزره من قبل، المكان كان عبارة عن تلة مرتفعة يكسوها اللون الأخضر، تتمايل بها الرياح الهادئة بنسمة لطيفة تُحرك النبات العشبي الذي يُغطي التلة المنعزلة بأكملها، أخذها داخل خيمة بيضاء اللون موضوعة في الخلف تُضيئها الشموع وبها فراش خشبي مغطى بالشراشف البيضاء الناصعة، يوضع الفراش تجاه الحافة، صعدت عليه روهان بحماس وهي تنظر للخارج فتُمتع بصرها بالمساحة الخضراء الشاسعة التي يشقها شلال مياه ينساب لأسفل بنغماتٍ جعلت قلبها ينتعش، وروحها تصفو باطمئنان وثبات، جلس بني النعمان جوارها يتأمل وجهها المبتسم بسعادة، وجسدها الهادئ المستقر، وعينيها اللامعة بإعجابٍ شديد لما تراه، ابتسم لهيأتها التي تتبدل كلما أخذها لمكانٍ جديد يتسم بمناظر خلابة وخالية من البشر والجن على السواء، أعوامٌ تمضي وهو كلما وقع في ورطة معها، كان حلها مكانًا جديدًا على الأرض يجعلها تشعر أنها سافرت لكونٍ آخر..

انتهت من تأملها الطويل للمنظر الطبيعي المذهل لحواسها، وتربعت في الفراش وهي تُحدثه بهدوءٍ تام:

- أين كنت لثلاثة أيام؟ وكيف استطعت تجاهل ندائي لكَ مرارًا؟!

اقترب من موضعها فأوقفته بيدها ونظرتها الغاضبة:

- لا تقترب مني قبل أن تُجيب.

نظر لعينيها للحظات قبل أن يفاجئها بتجاهله لما قالته ومنعَها لهُ بإصرار، وجرها نحوه فشهقت من المفاجأة وهي تزعق به أن يتركها، لتجد نفسها بجسدها الضئيل فوقه وهو يحاوطها بكلتا ذراعيه القويتان فلم تستطيع حتى التحرك، ضيقت عيناها بسخط وهي تأمره أن يفلتها بينما هو يهز رأسه نفيًا وشفتاه منفرجتان بتحدٍ يحفزها على عناده أكثر وهي تتملل تحت ذراعيه وكأنها وسط جبيلين يطبقان عليها فيجعلنها دمية محشورة عالقة في الوسط، تعب جسدها من المقاومة فاستكانت بين ذراعيه وهي تنهت بقوة قائلة:

- حقًا لقد بدأت أكره طريقتكَ هذه في إجباري على معاشرتك.

أرخى ذراعيه حولها وتركها وهو يعتدل في مجلسه وقد تحولت ملامحه المشاكسة للاستياء:

- أجبركِ على معاشرتي؟! هل أنت واعيه لما تفوهتِ به يا روهان؟

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تواجه امتعاضه وقد تحول لون عينيه للأسود المائل للأزرق الناري، ضمت حاجبيها برد فِعل متعجبة وهي تتأمل حدقتيه اللتان لم ترَ لونهما هكذا من قبل!

أحست بشعور غريبٍ نحوه لا تدري كنهه فأعادت سؤالها بجدية:

- أين كنت يا نعمان؟!

تجعدت ملامحه بضيقٍ وهو يصدمها بقوله:

- لو أردت أن أجيب عن سؤالك، لكنت فعلتها منذ المرة الأولى. وقف أمام الفراش ومازالت حدقتيه بنفس اللون الغريب،ليُردف بذات النبرة المنفعلة:

- والآن يجب أن نعود، لدي أمورٌ أهم يجب عليّ معالجتها. اجتاح الحزن داخلها وانتشر على وجهها بعبوس، ثم احتل صوتها الضعيف لتتساءل بخوفٍ واضح من سماع إجابة تقتلها:

- أهم مني؟!

لم تتلق استجابة منه، وعلى عكس المتوقع ظل يُحدق بها بثباتٍ بدلا من أن يدير ظهره ليُخفي مشاعره التي تنقاد دومًا إليها، بينما كلمة) نعم (تتحرك على شفتيه بثباتٍ، حركت رأسها بدهشة وهي تردد برعب أصاب حروفها المتلاحقة:

- من أنت؟!

للحظات توقف الزمن حولهما، حتى صمت صوت الهواء وخرير المياه ولم يصدر سوى صوت أنفاسهما المتلاحقة، أحس بني النعمان بحركة غير عادية، فلم ينتظر حتى يتأكد من شعوره، بل اختفى من موضعه وظهر خلف روهان التي مازالت تقف عابسة تحبس دموعها داخل مقلتيها بشق الأنفس، ليلف ذراعه حول جسدها عائدًا

بها لغرفتهم، التفتت سريعًا نحوه تنظر لمقلتيه اللتان عادتا للونهما الطبيعي، لتتساءل بتشتت واضح ولكن بنبرة عنيفة وصراخٌ مرتفع:

- ما الذي يحدث؟!

فتح فمه بكلمة واحدة قوية:

- اهدئ يا روهان، لم يحدث شيء. دفعته بقوة بكلتا ذراعيها قائلة:

- لمَ نقلتني من هنا إلى هناك؟ وما الذي حدث لك لتكون بهذه الغلاظة؟

منعها من الابتعاد عنه وهو يقرب وجهه منها قائلا بضيق:

- أردت أن أرى نظرة السعادة التي زينت وجهك عندما رأيتِ هذا المكان، وأصبحتُ بهذه الغلاظة لأن زوجتي تتهمني بأنني أعاشرها رغمًا عنها، هل تعرفين جيدًا معنى ما قلتِهِ!

تلعثمت حروفها المتلاحقة بنبرة نادمة:

- لم أقصد هذا المعني، كنت أريدك أن تتوقف وتجيب عن سؤالي وكنت وما زلتُ غاضبة منكَ، لقد غبت عني ثلاثة أيام استدعيتك بها حتى بدأت نبضات قلبي بالتباطؤ خوفا من فقدك، هل فكرت للحظة في شعوري وأنا أناديك وأنت لا تُجيب؟ هل حاولت أن تتفهم أو تعي ما هو إحساسي وكيف غُدت لفترة فقدك وقد لعبت الظنون بي لدرجة أنني كدتُ أن أجن من شياطين أفكاري التي تلاحقني حتى في غفوتي؟!

وحين تعود تأخذني في غفلة لمكانٍ هادئ وتتعاشي عن سؤالي

وتتجاهل قلقي عليك بمنتهى القسوة وتريد مني أن أرتمي في أحضانك دون أن أفتح فمي بكلمة! هل تراني مجرد قطعة جماد!

أنهت حديثها سريعًا قبل أن تخونها دموعها الحبيسة بقلقٍ تبدد حين رؤيته ولكنه ترك خلفه مشاعر مكبوتة تريد انفراجة ولو بسيطة لتنفث عن غضبها..

سحبها داخل أحضانه وطوقها بذراعيه وهو يهمس في أذنها: - أعتذر منكِ على عدم تفهمي لما عانيته في هذه الأيام، ولكني كنت مشتاقا لكِ حد الجنون ولا أريد أي شئ سوى أن أغمض عيني وأنا أستنشق رائحتكِ الملاصقة لجسدي، تفهمي الأمر أنا لم أتوق إلا إليك.

صمتت فأكمل وهو مازال يشدد على احتضانها لتهدأ عاصفتها الهائجة:

- أقسم لكِ أنني لم أسمع ندائك، ولا تسأليني كيف حدث هذا أو ما تفسير ذلك الأمر، فلا يوجد لدي إجابةً.

أبعدته عنها برفقٍ وهي تنظر لوجهه الهادئ قائلة بقلق واضح على صوتها:

- لقد تغير لون عينيك للونٍ لم أرَه من قبل، وكذلك نبرة صوتك وغضبك وغلاظتك معي، كل هذه الدلالات تعني أنك تسير في طريقٍ لن يكون به ممر يؤدي إليّ يا بني النعمان. تعجب من حديثها فضيق عينيه بتساؤل:

- ما الذي تعنيه؟

أجابته وهي تُمرر كفها على وجنته برقة:

- أعني أن أيًا كان ما تفعله فيجب عليك أن تتوقف.

أمسك كفها الذي يعتلي وجنته وقبّل باطنهُ برقة مطمئنًا إياها:

- لا تقلقي يا حبيبتي سأعثر دومًا على الطريق الذي يؤدي إليكِ، واعلمي أنكِ أنتِ فقط وجهتي في هذه الحياة.

أنهى جملتهُ على شفتيها وهو يحملها نحو فراشهم لينهل من رحيقها الذي حُرم منه أيامًا كان بها منعزلا في محرابه يُرتب انتقامه بهدوءٍ وتروٍّ دون أن يترك ولو ثغرة واحدة يستطيع بها عدوه الفكاك من خلالها، أو حتى إيجاد متنفس لفرصة ولو ضئيلة لموته قبل أن ينال عذابه الأليم الذي لن ينتهى أبدًا حتى تخمد نيران غضبه...

***

صحراء- داناكيل

اختفى من الداخل ووقف أمام الكهف الذي صمم خُلفه عالمه الخاص بكل فخر، فرقع بإصبعيه فانفتح الحجر المصمم على هيئة باب، يظهر من الخارج كشكل يُكمل الصخرة المواجهة لأحد المنخفضات وسط الصحراء التي ترتفع درجة حرارتها صيفًا في هذا المنخفض لتلامس الخمسين درجة مئوية، مصحوبة بتلوث طبيعتها بالغازات السامة نتيجة وجود كثير من البراكين الثائرة دومًا، متزامنة مع وجود بحيرات كبريتية تتصاعد منها روائح كريهة تزكم الأنوف، وتؤثر سلبًا على الجهاز التنفسي للإنسان والحيوان؛ وتنخفض صحراء داناكيل أكثر من مئة متر تحت مستوى البحر،

لذا فهي منعزلة تمامًا عن البشر، ولا يمر منها سوى قوافل التجارة على فترات متباعدة، اختار آرام موقعًا لكهف يقع وسط البحيرات الكبريتية التي من المستحيل أن يقربها إنسي، تنهد بعمق وهو يستعد لدخوله عالمه السحري الذي سماه (أراديل) وبخطوات متزنة دلف للداخل وهو يفرقع مرة أخرى لتعود الصخرة كما كانت، تطلع آرام لأراديل التي كانت عبارة عن لوحة معقدة من الألوان والأفكار، حيث تتداخل الأحلام مع الواقع، والصحراء تربض حولها كرمز للوحدة والبحث عن الذات، عالمه السحري مليءٌ بالخيال والإبداع، حيث لم تُحدّه قيود واقعه الأليم الذي لم يعرف عنه سوى هوية مجهولة المصدر والأساس، كان عالمه واحة منسكبة وسط الصحراء الجافة، فيها غابات من الأشجار النابضة بالحياة، وأنهار من المياه الزرقاء الصافية تتلوى بين التلال، بينما سماءه دائمًا زرقاء صافية مزينة بغيمات بيضاء كالقطن، كانت الحياة في أراديل في تناغم تام، لقد قرر أن يصنع هو حياة لا يسلبها منه أحد، بات آرام في ضياع واستيقظ على حياة خاصة به وحده، أرضه كانت عبارة عن (أرض الألوان الزاهية) كل شيء في هذا العالم ينبض بالحياة والألوان الزاهية، أشجاره لها أوراق ملونة براقة، أما عن سماء العجائب في أراديل، توجد بها نجومٌ متحركة تشكل لوحات فنية ساحرة، كل نجم يحمل سرًا قديمًا يحتفظ به كي لا ينسى ما حدث منذ أن كان في أنبوب يراقبه أرشي حقير بسعادةٍ وكأنه صنعه بيده، تجري في أراديل أنهار من الضوء النقي، تعكس الألوان المحيطة بها وتُضيء الكهف بأكمله، خطى ناحية بحيرات الأحلام ونظر داخلها بابتسامة حبور، فهي بحيراث غامضة تحول الأحلام إلى واقع، و كلما اقترب

منها، زادت قواه السحرية وتجسدت أحلامه أمامه، رفع رأسه وغامت عيناه، فهو لم ينسَ أن يصنع لنفسه جُزر العزلة، وهي جزر صغيرة تطفو في الهواء بعيدًا عن الأرض، مليئة بالألغاز والتحديات، كل جزيرة تخفي بداخلها كنوزًا سحرية وأسرارًا قد خبأها بداخلها، استعد لتجربة أول حيلة داخل أراديل وهي تحويله للعناصر الأساسية لحالات أخرى، انحنى ليملأ قبضته ماءً من البحيرة ثم نثرها في الهواء وهو يتمتم بتعويذه جعلت الماء يتحول لنيران أشعلت الأشجار الملونة التي أطفأتها مياه الأنهار التي تتلوى بين التلال، لتعود الأشجار لحالتها السابقة على الفور، لم ينسَ آرام أن يصنع بعض المخلوقات الصغيرة السحرية التي تصاحبه في هذا العالم حتى لا يكون وحيدًا، أصدر صفيرًا خاصًا فأتته عائلة من (الطائر الوهمي) الذي يسميهم (إيلاتور) وهي طيور شفافّة تتلاشي وتظهر فجأة، تحمل معها رسائلا غامضة وأسرارا قديمة، لقد صنع منها عائلة ذكر وأنثى وطائر صغير يمثل ولدهما، حلق الثلاثة فوق رأسه يغردوا بنغمات خاصة جعلته يُغمض عينيه بهدوء قبل أن يفتحهما ثانية وينادي باسم (نوقار) فظهرت له (الغيلان الزئبقية)، وهي مخلوقات تستطيع تغيير شكلها وتتحرك بسرعة فائقة، وكما فعل مع عائلة إيلاتور فعل مع عائلة نوقار ولكنه هذه المرة اختار أن تكون ذريتهما أنثى، كانت تتميز هذه الغيلان بصوتٍ ساحر يُسمى (رين) يستطيعون من خلاله التواصل مع آرام وعالمهم السحري أراديل..

ارتفع آرام للأعلى وجلس على أعلى نقطة في أراديل تتيح له مشاهدة هذه الأرض بأكملها وهو في قمة سعادته، صفق بيده

فانقلبت أراديل لأسوء كابوس ممكن أن يتخيله مخلوق!

فالسماء التي كانت زرقاء صافية مزينة بغيمات بيضاء كالقطن، أصبحت مليئة بالغيوم شديدة السواد، ليضرب البرق والرعد أرضها بقوة، أما عن أنهار المياه الزرقاء الصافية التي تتلوى بين التلال، فقد أصبحت مياها حمراء تتدفق ببطء مثل الموت تحمل صراخاته الداخلية المعذبة لتنثرها كلما تسقط، أما عن البحيرات الغامضة فقد تحولت لبحيرات من الدماء تفوح منها رائحة الموت وتحوى أسوأ كوابيسه، وفي هذه اللحظة اشتبك إيلاتور و نوقار في حربٍ ضارية لتتحول أصواتهم الهادئة والمريحة للنفس لأصواتٍ مقبضة وصراخات تقوم باقتلاع القلوب من الصدور، هكذا جعل آرام أراديل جزءً منه، تُمثل ما شعر به لحظة الحقيقة التي جعلته ينقسم لنصفين، أحدهما يريد الانتقام ممن سلبه هويته وكيانه، والآخر يريد العودة لعائلةٍ لا تعرف عنه سوى اسمه، صفق ثانية أعاد عالمه لهدوئه وجماله الساحر، ثم صفق أخرى ليجعله في حالته المرعبة، وظل هكذا يتأرجح بين شعورين وطريقين لا يدري لأيهما سينجذب لكي يمشي به قدره، وفجأة ظهرت بثباتٍ أمامه تقف في الهواء بوجهٍ هادئ وهي تقول له:

- هل تريد مني مساعدتك على الاختيار؟

انتفض آرام من موضعه ينظر حوله بريبة وهو لا يصدق من أين جاءت هذه العجوز؟! فردد بذهولٍ:

- مستحيل؟ كيف دخلتِ إلى هنا؟ رفعت زاوية

فمها بابتسامة وهي تجيبه

- أنا أستطيع ولوج أي مكانٍ على الأرض.

ثم اقتربت من جسده وهي تدنو من رأسه واضعة سبابتها على جبهته لتردف:

- حتى أنني يمكنني الولوج هنا.

صمتت برهة تراقب ملامحه المندهشة لتستطرد جوار أذنه بثقة:

- بل والأغرب أنني يمكنني التحكم بأفكارك.

ثم ابتعدت لتعود مكانها وهي تحرك كفها على شكلٍ دائري قائلة:

- كلها.

لم تنتظر منه ردة فعل وقامت في لحظة بمحو أراديل من مكانها وتركت الكهف كما كان مجرد صخورٍ بعضها فوق بعض!

جحظت عينا آرام بذهول، لتتحول للون الأحمر من الغضب وبحركة فجائية هجم عليها، لتوقفه تاج وهي تقيده بقيودٍ خفيه جعلت جسده يلتصق بالصخور من خلفه قائلة: - اهدأ يا ولدي أنا هنا لأساعدك.

صرخ بها بغيظٍ:

- من أنتِ؟

أجابته ببساطةٍ:

- جدتك.

اتسعت حدقتاه وانعقد لسانه وتوقف جسده عن محاولة فك قيده وظل يحدق بها، لتكمل هي:

- نعم، فأنا جدتك التي ستجيبك عن كل تساؤلاتك التي لن تعرف إجابتها إلا عن طريقي، وأنا أيضًا التي سوف تعلمك من السحر الذي ستتفاجأ أمامه أن عفرين كان مجرد هاوي لا يملك من أسرار السحر سوى الفُتات.

حلت قيده وتركته يقترب منها وهو يسألها بتشتت واضح:

- جدتي؟

مدت له كفها قائلة بصدق رآه في عينيها على الفور:

- نعم، والآن هيا بنا لتتعرف على جدتك بشكلٍ أكبر.

لم يتردد في وضعه كفه بيدها وكأنه وجد الطريق الذي يبحث عنه منذ أن هرب من عالمه وقرر المكوث بمفرده في عالم خاص حتى يجد مساره، ويبدو أنه قد وجده بالفعل.

اختفث به تاج من الكهف، ولكنها قبل أن تختفي معه فرقعت بخفه لتعيد أراديل لوضعها المرعب ولكنها قررت إضافة جزءٍ في هذا العالم سيكون مفاجأة كبيرة لزائر أراديل القادم.

***

الفصل الثاني

قمة جبل توبقال – المغرب

كانت تتقلب في نومها بانزعاج، تشعر بنسيم البرد القارص يختلج في الغرفة الصغيرة، حاولت أن تتدثر بالغطاء لكن حرارة جسدها كانت لا تزال متقلبة، مما جعلها تستيقظ مرتجفةً، وبعيونٍ نصف مفتوحة بحثت عن شيث، لكن الغرفة التي جهزها لها بدت فارغة، إذ كانت قد اختار لها مكانًا منعزلا وسريًا على ارتفاع 3200 متر بعيدًا عن مُخيم توبقال.

كان قرارها البقاء هنا بالرغم من أن شيث كان يفضل مكانًا أكثر عزلة، ومع ذلك أبت أن تفوت الفرصة في استكشاف هذا الموطن الجديد، تذكرت كيف كانت تعجز عن الوصول إلى هذه المرتفعات سابقًا، لكن الآن، برفقة شيث، أصبحت قادرة على مواجهة تحدياتها.

نهضت ميلاف، تبحث عن شيء يدفئها، ولكن لم تجد سوى سترتها الخفيفة، وضعتها على كتفيها، وقررت أن تقترب من النافذة الحجرية.

من هناك، كانت المناظر مذهلة، لكنها سرعان ما تراجعت، إذ بدأ الارتعاش يسيطر على جسدها حتى شعرت بأسنانها تصطك ببعضها.

بصوتٍ مرتعش، نادت شيث، وعاد إليها على الفور، يحمل معه معطفًا من الفرو الثقيل، وضعه على كتفيها بحنان وهو يعتذر بصدق:

- أعتذر عن التأخير، لقد شعرت بجسدك يرتجف عند الصباح، فخرجت لأحضر لك شيئًا دافئًا، ولكنني وجدت شيئًا آخر جعلني

أتأخر، ولم أشعر بالوقت.

شعرت ميلاف بدفء المعطف يحيط بها، مما جعلها تتنفس بصعوبة، محاولة السيطرة على اهتزازات جسدها.

نظرت إلى شيث، الذي كان يبدو أكثر هدوء وثقة وهو يحاوط جسدها بكلا ذراعيه وحدقتاه تتطلعان لعينيها بتركيزٍ جعلها تبتلع ريقها بصعوبة حيث كانت تود أن تسأله عن الشيء الذي أخره، لكن كلماتها تجمدت في حلقها للحظات قبل أن تبتعد عنه وتخطو ناحية النافذة:

- ماذا وجدت؟

سألته، مستندة إلى النافذة، وكأنها تبحث عن إجابة في المنظر الذي يمتد أمامها.

ابتسم شيث برقة، وأجاب بنبرة مطمئنة:

- وجدت حجر الأمان.

التفتت نحوه فأردف بتفصيلٍ أكثر:

- يقال إنه يحمل قوى سحرية، وله تاريخ عريق في حماية الأرواح من الشر.

شعرت ميلاف بشيء من الدهشة:

- حجر الأمان؟ ماذا يعني هذا؟ وما علاقته بنا؟

اقترب منها وقام بتوجيه جسدها نحو النافذة مرة أخرى وهو يقف خلفها بثبات بينما هي جسدها بدأ يتوتر بشكل ملحوظ، فأشار

لها تجاه مكان الحجر وهو يشرح لها عمله:

- يقال أن الأشخاص الذين يلمسون الحجر بنية صافية يحصلون على القوة والشجاعة، بينما يُظهر الحجر للآخرين نواياهم الحقيقية.

كان صوته ينقل إليها هالة من الغموض والإثارة بالإضافة لجسده الذي يمدها بحرارة عالية كانت تستمتع بها رغم خطورة قربه منها بهذا الشكل.

عادت أفكارها إلى الصراع الذي كانت تواجهه لتسأله وهي تشعر بأملٍ كبير:

- هل يمكن أن يساعدنا؟ اليوم هو المحاكمة يا شيث.

أومأ شيث برأسه، وهو يشعر بذبذبات جسدها المضطربة، لكنه أضاف بحذر:

- ولكن هناك تحذيرات، عليك أن تكوني مستعدة لمواجهة أعمق مخاوفك، هذا ليس مجرد حجر، بل هو اختبار.

بدأت تتردد، لكن حماسها كان يتزايد، فكرة اكتشاف شيء جديد ومواجهة مخاوفها كانت مغرية، والأكثر إغراء هو مساعدتها على الثبات أمام جدتها والعائلة بأكملها الليلة:

- إذا كان سيساعدنا، فأنا مستعدة.

أخذ شيث يدها بلطف، مما جعل قلبها ينبض بسرعة:

- حسنًا، لنذهب معًا.

تقدما خارج الغرفة، إذ كان الهواء البارد يُحيط بهما، لكن دفء

جسده جعلها تشعر بالراحة، وهذا المعطف جعلها وكأنها ترتدي مدفئة تحيطها من جميع الجوانب، بدأت تخطو خطواتها بجرأة أكبر، وهي تفكر في ما قد ينتظرها في هذا المكان الخلاب، ضمها شيث إليه بشكلٍ أكبر فأغمضت عينيها وهو ينقلها لمكانه.

توجها نحو الحجر، حيث كان يجلس وسط صخرة كبيرة محاطة بنباتات غريبة، كان الحجر يبدو عاديًا في ظاهره، لكن كان له بريقٌ خافت يتراقص بانتظام، وكأنه يتنفس بطاقة غامضة..

- هل نحن مستعدون؟

سأل شيث، وعيناه تعكسان الجدية.

أومأت ميلاف، وهي تبتعد عن جسده بحرج وتتساءل عن كيفية تفاعل الحجر مع طاقتهما، ابتسم شيث بحماس وهو يجيبها:

- دعينا نكتشف ذلك.

ومع ذلك، كلما اقتربا، زادت الضغوطات النفسية التي شعرت بها، تذكرت صراعاتها مع عائلتها ومع الجن، وسرعان ما غمرتها مشاعر الخوف والقلق، لكنها تعلمت من شيث أنها يجب أن تواجه مخاوفها بدلًا من الهروب منها.

عندما وقفا أمام الحجر، وضع شيث يده على سطحه وطلب منها أن تفعل الشيء نفسه، شعرت بالاهتزاز في جسدها عندما لمست الحجر، وفجأة، رأى كل منهما رؤى مختلفة؛ شيث رأى ماضيه كجان وصراعاته، لتتوقف الصورة عندها كانت تنظر إليه مبتسمة ثم تحول وجهها عنه لتمشي في طريقٍ معاكس، بينما رأت ميلاف نفسها وسط

عائلتها، محاطة بالحب ولكن أيضًا بالقيود.

وبهذا، بدأت رحلتهما نحو الحقيقة، مع الحجر كمرشد لهما. عندما لمست ميلاف الحجر، شعرت بتلك الاهتزازات تخترق جسدها، وكأنها تتصل بشيء أعمق في أعماقها، انتشرت موجات الطاقة عبر ذراعيها، بينما تراكمت في صدرها، مما جعل قلبها ينبض بسرعة أكبر، كانت الرؤى تتوالى أمام عينيها، وكأنها تشاهد شريطا من الذكريات القديمة.

شاهدت نفسها كطفلة صغيرة، تلعب مع والدها في حديقة منزلهم، كان يضحك، ويخبرها قصصًا عن الجن والأسرار القديمة بينما كانت جدتها تراقبها عن كثب، لكن سرعان ما انتقلت تلك الصورة إلى ذكريات أكثر كآبة؛ فقد رأت نفسها تقف في وسط عائلتها، وهم يتشاجرون حول مستقبلها، واحتياجاتهم، وما يحدث في الضريح واجتذاب الممسوسين للأضرحة الأخرى.

أما شيث، فقد كان في عالمه الخاص، كان يرى نفسه في ساحات المعارك، يتصدى لأعدائه بشجاعة، لكنه كان يتألم من جروح الماشي، ويشعر بعبء الخيارات التي اتخذها، كل هزيمة كانت تترك أثرًا عميقًا في روحه، ليتوقف الزمن عند وجهها مرة أخرى..

عندما ابتعدت عيون ميلاف عن الحجر، انتبهت إلى شيث الذي كان يتنفس بعمق، وكان يبدو أكثر جدية مما رأته من قبل، نظر إليها بحذر وقال:

- هل تشعرين بذلك؟ هذه ليست مجرد طاقة، بل هي اختبارات لكل واحدٍ منا.

عادت إلى الواقع ببطء، وكأنها كانت غارقة في عالم آخر. - نعم، شعرت بالكثير... لكن ماذا يعني كل هذا؟

أجابها وعيناه غائمة ليتحول لونها للأسود القاتم:

- يعني أننا بحاجة لمواجهة ما نخشاه، سواء من أنفسنا أو من العالم من حولنا.

شعرت ميلاف بالقلق يتسلل إليها عندما رأته بهذه الحالة، لتسأله بريبة:

- هل تعتقد أنني قادرة على ذلك؟

أومأ برأسه وهو يتجنب النظر لعينيها وقد أخذه وجه المرأة لبُعدٍ آخر:

- كلنا قادرون، لكن الأمر يتطلب شجاعة، دعينا نبدأ بتحديد مخاوفنا ونواجهها معًا.

استعدت ميلاف للمواجهة، وقررت أن تضع كل شيء على المحك:

- حسنًا، دعنا نفعل ذلك.

مع اقترابها من الحجر مرة أخرى، شعرت بشجاعة جديدة تتولد داخلها:

- أنا أريد أن أتعلم، وأريد أن أكون قادرة على حماية عائلتي، مهما كان الثمن.

عندما لمست الحجر مرة أخرى، انبعث منها شعور أقوى، وكأنها

كانت تعلن عن نواياها للعالم، في تلك اللحظة، شعرت بأن جميع القيود التي كانت تعيقها تتلاشى، وكأن الضوء بدأ يتدفق في عروقها.

ثم تحرك الحجر، وأصدر صوتًا هادئًا مثل همس الرياح، كأنه يستجيب لعزمها، أحست بأن هناك شيئًا ما سيتغير، وأن طريقها نحو تحقيق ما تطمح إليه قد بدأ للتو، ولكن شعور شيث كان مختلفًا عنها، لقد أخبره الحجر عن سرٍ كان يُخفيه منذ زمنٍ بعيد، وعليه الآن أن يواجه مصيره المحتوم حتى ولو كان الثمن حياته.

***

في بيت عائلة إيلينا – المساء

كانت الأضواء خافتة في غرفة الجلوس، تراقب إيلينا من نافذة البيت مشهد الغروب الذي يغازل الأفق بألوانه الدافئة، يتسلل الضوء البرتقالي عبر الزجاج ليخلق ظلالا ناعمة على وجنتيها، كان قلبها مثقلًا بالحنين إلى عالم الجن، لكنها شعرت بالراحة والأمان بين والديها، حيث كان يحيط بها الحب الذي فقدته لفترة طويلة، كبشرية تعيش في عالمها الطبيعي.

تذكرت كيف كانت تعيش في ذلك العالم، عالم الجن، حيث القتال والخطر يتركان أثرًا في كل زاوية، وكما كانت تردد هي دومًا (كلُ يومٍ هو في شأن) لقد أثقلتها الحياة بهذا الشكل وكأنها تلهث كل ليلة كي تصل إلى فراشها آمنة مطمئنة، كانت تشعر بالمسؤولية تجاه عائلتها، لكن كان بداخلها دائمًا ذلك الشعور بالحنين للعودة إلى عالمها الحقيقي، وبينما كانت تفكر في كل تلك الأمور، جاء صوته

المرتعش من خلفها يخبرها:

- اشتقت إليك.

التفتت لتجد يوناس يقف أمامها، ملامحه تعبّر عن القلق والحنين، وعيناه كانتا مشعتين بشعاع من الأمل، لكنهما أيضًا تحملان عبء الغضب والمشاعر المتناقضة، كانت نظراتها الملهوفة عليه تفضحها، ولكنها آثرت الصمت:

- إيلينا، لقد جئت لأراكِ.

قالها بصوتٍ منخفض، كأنه يخشى أن يسمعه أحد، تراجعت إيلينا خطوة إلى الوراء، مترددة، لم تكن متأكدة من كيفية رد فعلها بعد رؤية وجهه، ذلك الوجه الذي كان يوما ما هو كل شيء بالنسبة لها.

حاولت التحلي بالشجاعة وإظهار صوتها بنبرة قوية:

- ماذا تفعل هنا، يا يوناس؟ لقد قررت الابتعاد، هذا أفضل لنا.. صدقيني أنا هنا في راحة.

ابتسم يوناس بحزن، وتحرك خطوة نحوها، عيناه تنعكس

فيهما العاطفة وهو يعبر أغوارها:

- لكن هذا ليس ما يريدهِ قلبكِ، نحن بحاجة إلى مواجهة ما ينتظرنا في عالمنا، لن نكون آمنين هنا إلى الأبد.

شعرت إيلينا بخفقان قلبها، لكنها تمالكت نفسها، تذكرت اللحظات التي قضتها في عالم الجن، حيث كانت تفتقده وتخاف منه في الوقت نفسه، كانت تعتقد أنها تستطيع الهروب من كل تلك المخاوف

هنا، ولكن هل كان الهروب هو الحل؟

- لكني أريد أن أكون هنا، بعيدًا عن كل المشاكل، بعيدًا عن عالم الجن وما فيه، لقد تعبت يا يوناس لم أعد أستطيع مواكبة عالمكم.

ردت إيلينا بحزم، لكن صوتها كان يرتجف.

قال يوناس بلطف وهو يتقدم نحوها، يمد يده نحو وجهها:

- أعلم ذلك يا حبيبتي، ولكن لا يمكننا الهروب إلى الأبد، أنت تعرفين أن روهان ونعمان الصغير بحاجة إلينا، وأن عائلتنا في خطر، لا يمكنني تركك هنا وأنتِ تشعرين بالضعف هكذا وفي ذات الوقت لا أمن عليكِ بمفردك.

توسعت عيناها وهي تتذكر روهان، الطفلة التي تتشوش أفكارها، كانت تشعر بالذنب حيال تركها، ولكنها تعلم أن طفليها سيتدبران أمرهما، ولكن في لقائهما الأخير لم يطمئن قلبها على روهان تحديدًا، فالفتاة تذهب للمخاطر بسعادة غريبة، كانت مشتتة ضائعة وهي تُخبره:

- لكنني أخاف، يا يوناس، ماذا لو عدنا وواجهنا خطرًا أكبر؟

لقد نجوت مما حدث لي بأعجوبة.

تراجعت إيلينا قليلًا، لكنه أمسك بيدها، وهو يشعر بتوترها الشديد، كان يراقب عينيها بتركيزٍ وهو يخبرها بصدق:

- أنا هنا لأكون بجانبك، لن أتركك تواجهين شيئا بمفردك، قوتك تكمن في عشقنا، وفي قدرتنا على مواجهة ما هو قادم معا يا إيلينا،

لقد تركتكِ ترتاحين قليلا ولكنكِ تعرفين أنني لن أستطيع العيش دونك كل هذا الوقت.

نظرت إليه بعمق، واحتبست أنفاسها، كانت عواطفها تتصارع، بين الخوف والحنين والاحتياج إليه، شعرت بأن كل ما كانت تخشاه يتحقق في تلك اللحظة.

- أنت تعرف كم أحبك، لكن هذا يجعل الأمر أصعب يا يوناس.

اعترفت بصدق، بينما كانت دموعها تكاد تنهمر.

أحاط يوناس بيده الأخرى خصرها، مقربًا إياها منه، بينما كان يشعر بحرارة جسدها، كانت حركته تلك تعكس الكثير من مشاعره، ضمها بقوة وهو يستنشق عبيرها بعمقٍ، بينما هي لم تستطيع الثبات أمامه أكثر من ذلك وهو يقول لها:

- يجب أن نعود معًا، يجب أن تكوني معي، لإعادة بناء ما دمره السحر بيننا، ولن أستطيع حماية عائلتنا وحدي يمكننا أن نجعل عالمنا أفضل ونحن سويًا يا حبيبتي.

سقطت دمعة على خدها، وشعرت بأن قلبها يتمزق بين الخيارين، كان هذا هو الخيار الذي كانت تخاف منه، العودة إلى المخاطر، لكن في قلبها كان هناك شيء آخر يدفعها للعودة.

- لا أريد أن أفقدك مرة أخرى.

قالتها بنبرة مرتجفة وكأن خوفها كله يدور في تلك الجملة الصغيرة..

أحس يوناس بشعورها، فضغط بكلتا ذراعيه على جسدها كما لو كان يحاول حمايتها من العالم الخارجي.

- لن أبتعد عنكِ ثانية، أعدك.. سأكون هنا دومًا، دعينا نعود ونواجه ما هو قادم وأنا أثق أننا سنمر بأي شيء مهما كانت صعوبته ما دمتي هنا.

استنشقت إيلينا نفسًا عميقًا، واستشعرت القوة التي تنبعث منه، كان وجوده بجوارها يشعرها بالقوة، بينما كانت تتخيل ما سيحدث إذا عادت، ابتعدت عنه وهي تنظر لوجهه بجدية وتحذير قائلة:

- حسنًا، دعنا نعود، لكن لن أسمح لك بالابتعاد ثانية. ابتسم يوناس بفرحٍ وهو يمسح دموعها، ابتسمت له تلك الابتسامة التي كانت تعكس له أملا جديدا، وعزيمة قوية لمواجهة المستقبل، لكن مع ذلك، كان في قلب إيلينا شعور مختلط بالخوف من المجهول، بينما كان الخوف يلتف حول عقلها، تذكرت والدتها ووالدها، وتذكرت كيف كانت الأمور تتدهور في عالم الجن، كانت هناك مشاعر عميقة تنتظرها، لكن كان هناك شيء أكبر يحفزها على العودة، وهو الحب الذي كان يجمعها به.

تأمل يوناس حدقتيها بشوقٍ كبير، ورأى فيهما الوهج الذي جعله يدرك أن العودة ليست فقط من أجل عالمهم، ولكن أيضًا من أجل الحب الذي يجمع بينهما، ليقترب أكثر من شفتيها بقبلة جعلتها تنسي كل ما مضي، ليبعدها عنه برفق وهو يؤكد عليها:

- إيلينا، إذا غدنا، سنكون أقوى، وستكونين أقوى من أي

وقت مضى.

ثم أمسك بيدها بإحكام، وكأنما يعدها بأن كل شيء سيكون على ما يرام، ومع هذا الوعد، بدأت إيلينا تشعر بالتحرر من قيود خوفها، وأصبح لديها رغبة قوية للعودة إلى عالمها.

- إذا كان ذلك ما تريده حقًا، فدعنا نذهب، لكن عِدني بأن

تحافظ على وعدك.

قالت ذلك بعزم، بينما كانت تدرك أن هذا هو الطريق الذي اختارته وللمرة الثانية لم تستطِع التمسك بطبيعتها.

- أعدك.

رد يوناس بصوتٍ هادئ، لكنه حازم، تاركا إيلينا تودع والديها، استغل وجوده مع خالته التي اشتاق إليها كثيرًا، لم ينس أن يرتدي سواره ويعود لجسد غيث قبل أن يجلس ثلاثتهم بعد انسحاب والدها لغرفته، كانت خالته تحضر فنجانًا من الشاي، وعندما دخلوا الغرفة، نظرت إلى ابنتها بفضول:

- يبدو أن هناك خطبٌ ما، ما بكما أخبراني.

ابتسم يوناس في محيا خالته، بينما بدت إيلينا متوترة بعض الشيء، كان في داخلها شعور بالحنين إلى العائلة، لكن الواقع كان مختلفًا تمامًا عن الذكريات الوردية.

- جئنا نتحدث قليلًا.

قال يوناس وهو يجلس على الكرسي القريب، وإيلينا تجلس على

الأريكة بجانبه.

- أحسنتما، يبدو أنكم بحاجة إلى بعض الوقت للحديث عن كل ما يجري.

أجابت دانا بينما كانت تسكب الشاي.

- نعم، هناك الكثير لنتحدث عنه.

أضاف يوناس، وأخذ نفسًا عميقًا. كان يعلم أن الحديث سيشمل الأمور الخطيرة التي تنتظرهما.

نظرت دانا إلى إيلينا بتفهم، كأنها تعرف ما يدور في ذهنها، لقد عاشت معها هذه الفترة ورأت كيف كان تأثرها بغيابها عن عالم الجن.

- إيلينا، إذا كان هناك شيء يمكنني مساعدتك به، فأنا هنا. قالت دانا بلطف.

ترددت إيلينا للحظة، ثم شجعت نفسها على الكلام، كانت بحاجة إلى مشاركة مخاوفها مع أمها:

- أنا متوترة بشأن العودة يا أمي، لقد تركت عالم الجن، لكنني أشعر بأن هناك شيئًا أكبر ينتظرني.

قالت، ويدها ترتجف قليلًا.

وضعت دانا يدها على كتفها برفق، بينما كان يوناس ينظر إليها بتفهم وهي تقول لها:

- تعلمين رأيي من البداية في زواجك من يوناس وانتقالك لعالم لا ننتمي له، ودومًا كنت على يقين إنكِ ستعودين إلى هُنا ولن

تستطيعي الاستمرار، ولكنكِ لم تعودي لسنوات كثيرة يا إيلينا، وحينها تيقنت أنكِ مثل خالتك، تنتمين لهذا العالم، لذا فليس هناك ما يجعلك تشعرين بالخوف، الحب الذي يجمعكما هو أقوى من أي شيء آخر يا ابنتي.

- لكن ماذا عن المخاطر؟ ماذا لو حدث شيء شيء؟ تساءلت إيلينا، وملامح وجهها تعكس القلق بداخلها. ابتسمت دانا وهي تمرر كفها على شعرها برقة:

- المخاطر موجودة في كل مكان، لكن الثقة والحب هما ما سيساعدانكما في التغلب على ذلك.

شعر يوناس بأن قلبه يزداد قوة عندما نظر إلى إيلينا، حيث كانت عيناها تتلألأ بالأمل، بينما بنظرة سريعة لخالته فطن عن حديث لم تقدر دانا على مواجهة ابنتها به، وهو أنها لا تملك الكثير من الوقت لا هي ولا والدها، لقد اقترب رحيلهما وحينها ستضيع ابنتها بين العالمين، يجب عليها أن تختار الاستمرار الآن قبل أن يفوت الأوان..

أمسك يوناس بيد إيلينا فضغطت على كفه قبل أن تتركه وتدخل غرفة والدها، اقتربت إيلينا من والدها، وعانقته بشدة، وهي تهمس له:

- سأعود قريبًا، أعدك.

- كوني حذرة، يا حبيبتي.

قال والدها بصوت مفعم بالقلق.

بعد لحظات، ودعت إيلينا والديها بالدموع، واحتضنها يوناس

بذراعيه، محاطا بالأمان والحب، كانت لحظة وداعهما مؤلمة، حيث شعرت بإحساس الفراق يعتصر قلبها، لكنها كانت تعلم أن الرحلة لم تنتهِ بعد.

***

حركت تاج سبابتها أمام نشروان (قطعتها المعدنية)، فاختفت صورة يوناس وإيلينا في لمحة، بينما استندت بظهرها للخلف، وملامحها الباردة بدت هادئة، ولكن عينيها لمحتا شيئًا من الغموض الذي لا يُنذر بالخير.

***

الفصل الثالث

القطب الجنوبي – مملكة الأرضيين

داخل القطب الجنوبي، بين ثنايا جليد لا تذوبه شمس، حيث تقبع مملكة الأرضيين بأسوارها الضخمة ومَمراتها

الحارسة ليلا ونهارا، وقف نعمان بجوار سارافيم في ظل جدار مرتفع، كان المكان خاليًا، لكن حِسّهم كان يلتقط همسات الحراس وأصوات خطواتهم على الثلج في الخارج، أشارت له سارافيم ليتبعها من مدخل سري، أوقفها نعمان وهو يحاوطها داخل عباءته، تعجبت الفتاة وهي تنظر إليها، كانت العباءة السحرية لنعمان قطعة من عالم آخر، نسيجها يلمع بألوان داكنة متداخلة كظلال الليل، تتراقص عليها تموجات خفيفة أشبه بأمواج بحر في ليلة حالكة، و كأن العباءة تتنفس بهدوء، ينساب بريقها في الضوء مثل شظايا نجومٍ انفجرت لتوها، تجمع بين السواد العميق وشراراتٍ من ألوان غامضة تتغير مع حركة من يرتديها، خيوطها مصنوعة من حرير الظلال، مزينة بنقوش غائرة من رموز قديمة لا يقرؤها إلا السحرة من الجن، تعويذات حُبكت بين طياتها تمنحها القدرة على إخفاء مرتديها عن أعين الأرضيين خاصة وعن الجن عامة، كانت العباءة حية، تحمي صاحبها بشغف، تلتف حوله كالأم، وتغمره بهالة سحرية كأنها ستار بينه وبين العالم، سحبها نعمان لمدخل المملكة حيث الغموض يلف كل شيء ويكتنفها الضباب الذي لا يخترقه أحد من الغرباء بسهولة، وقف نعمان وسارافيم عند مدخل أحد الممرات المظلمة، ارتدت سارافيم عباءة والدها السحرية التي جعلتها غير

مرئية تماما، بينما تملكها إحساس قوي بالمسؤولية لتوجيه نعمان عبر شبكة الممرات المعقدة في المملكة، هذا العالم المليء بالأسرار كان مألوفا لديها بقدر ما كان غريبًا بالنسبة له، فهي الوحيدة التي عاشت هنا وتعلمت دهاليز المكان.

خطت سارافيم بخفة على الأرض الصلبة وهي تشير لوالدها بتوخي الحذر، فقد كانت تعرف تمامًا أن أي صوت بسيط قد يكشف عن وجودهما للحراس، ضغطت بيدها على ذراع نعمان بحذر وهمست:

- من هنا يا أبي، هذا الممر يؤدي مباشرة إلى السجن القديم. ابتسم نعمان برضا، متأكدًا من أن ابنته تعرف طريقها تمامًا. تابعا سيرهما حتى وصلا إلى بوابة ضخمة، كانت تبدو عليها آثار الزمن، لكنها لا تزال محصنة بقوة السحر، سارافيم مررت يدها على إحدى الأحجار التي تحمل رموزًا غريبة وأغمضت عينيها لبضع لحظات، فتحت حينها البوابة ببطء، وأشارت إلى والدها بالدخول.

عندما دخلا إلى السجن الذي كانت تقطن به أمها، كانت الرائحة القديمة والغبار المحيط يشهدان على مدى عراقة هذا المكان، تأمل نعمان تعاويذه المنقوشة على الجدران بابتسامة متسلية، بينما تذكرت سارافيم والدتها التي كانت تحتجز هنا قبل موتها بشوقٍ رغمًا عنها جعل مقلتيها تغرورقان بالدموع، تحركت بين الغرف بسرعة، عيناها تبحثان بين الظلال والأركان عن المرآة السحرية التي كانت والدتها تخبئها.

لكنهما لم يجدا شيئًا!

ألقى نعمان نظرة فاحصة حوله، وبحركة سريعة بدأ يتمتم بكلمات لا يُدركها إلا السحرة القدامى، فظهر بصيص من الضوء الأحمر على الحائط حيث كانت تخبئ هند المرآة، شعرت سارافيم بالدهشة، فسألته:

- ماذا ترى؟

رد بنبرة هادئة ومليئة بالتركيز:

- أثر التعويذة هذه يشير إلى أن شخصًا آخر قد دخل هنا واستخدم سحرًا مشابهًا، هناك رائحة طاقة تخص آرام.

بدأ قلب سارافيم ينبض بسرعة، آرام!

كيف فعل هذا؟! لقد بدا أنه قد عثر على المرآة وأخذها من هذا المكان، نظرت إلى نعمان متسائلة:

- هل تعتقد أن آرام أخذ المرآة إلى مكان آخر بعيدًا عن هنا؟ حرك نعمان رأسه نفيًا وهو يجيبها:

- يبدو أن آرام أخفى المرآة في مكان أكثر أمانًا، ولكنه هنا، سأحتاج إلى تتبع طاقته، فهذا هو السبيل الوحيد لنعرف أين أخذها.

ثم بدأت سارافيم تشعر بالرهبة؛ فوجودها في مملكة الأرضيين الآن، محاطة بالحراس الذين يراقبون كل زاوية، قد يعرضها للخطر، خصوصًا إذا اكتشف أحد الحراس أو الأسوأ أن يكتشف ويون مكانهما، وبينما كانا على وشك المغادرة، لمحت سارافيم من خلال نافذة صغيرة مشهدًا لن تنساه، كان ويون، يسير على مسافة قريبة وكأنه سمع خاطرها، كان يرتدي ملابسه التي كانت تعشقها ويبدو

عليه الانشغال بأمر ما.

لم تستطع منع نفسها من التوقف وتأمل صورته، فقد عادت إليها ذكريات سعيدة وآلام قديمة في آن واحد، كان قلبها ينبض بشدة، وتملكتها رغبة عارمة في الذهاب إليه، لكنها عرفت أن والدها بانتظارها، وأن مهمتهما تتطلب تركيزا كاملا، كانت تشعر بتناقضات لا حصر لها، بين حبها القديم لويون وواجبها تجاه والدها وخططهما.

لاحظ نعمان شرود سارافيم، فتبع نظرتها ليرى ويون، لكنه لم يقل شيئًا، ابتسم همسًا لها بهدوء:

- سارافيم، علينا أن نتحرك قبل أن يلاحظ أحذ وجودنا هنا. تنفست بعمق، وأخذت خطوة للوراء، متجاهلة مشاعرها، عازمة على متابعة والدها للخروج بأمان.

واصلا التحرك عبر الممرات بصمت، مستغلين عباءة التخفّي السحرية التي كانا يرتدياها سويًا، سارت سارافيم أمامه وهي تبحث عن ممر يؤدي إلى قاعة خاصة كان يقال إنها غرفة آرام، و بعد لحظات من البحث، وصلا إلى باب ضخم يتصدره نقش قديم، شعرت سارافيم بشيء غريب تجاه هذا المكان، وكأنها تعرف ما خلفه، رغم أنها لم تزره من قبل.

استخدم نعمان التعويذة مرة أخرى للتأكد من وجود أي أثر

للطاقة السحرية، فاشتعل الحائط ببريق أزرق باهت، ابتسم نعمان ابتسامة صغيرة وقال بصوت خافت:

- هذا هو المكان يا سارافيم، ولكن لا يمكنني تخطي هذة الحواجز

دون مساعدتك، يبدو أن آرام قد وضع تعاويذ معقدة هنا ولو حللتها سينكشف أمرنا.

أشارت له سارافيم أن يتبعها، حيث كانت تعرف مداخل سرية للمكان، بحركةٍ رشيقة، تحركت إلى جانب الجدار، ثم ضغطت على أحد الأحجار الخفية التي كانت تتحكم في فتح الباب، ما أن فتح الباب، حتى دخلا إلى غرفة آرام ، بدت الغرفة وكأنها مكان مخفي منذ أمدٍ بعيد، مملوءةٌ برفوف تحتوي على

كتبٍ قديمة ومخطوطات تتعلق بالسحر، نظر نعمان إليها

بتمعن، وصك أسنانه بحنق، مرددا بين أسنانه: «ذلك اللعين لم يدخر جهدًا لتعليمه الأسوأ، لقد تضاعف حسابك الآن أيها النجس»! وفي وسط الغرفة، كان هناك منصة حجرية، وعليها المرآة السحرية محاطة بهالة غريبة، تقدمت سارافيم ببطء نحوها، ورفعت يدها لتلمسها، لكنها توقفت في اللحظة الأخيرة، شعرت بنظرات والدها تراقبها، وبحذرٍ لمست زجاج المرآة بحرص، أطلق الزجاج ضوءا خافتا، وكأنها تفتح نافذة على عالم آخر.

نظر إليها نعمان وقال بابتسامة فخر:

- لقد نجحنا يا سارافيم.

مدت يدها ببطء لتلتقط المرآة، لكنها شعرت بشيءٍ يحاول منعها، وكأن الطاقة المحيطة بها تريد التصدي لأي شخص يحاول لمسها، بحركةٍ حازمة، سحب نعمان مرآة صغيرة من جيبه ومررها أمام المرآة السحرية، فبدأت الطاقة تتراجع ببطء، وكأنهما قد نجحا في

خداع السحر المحيط بالمرآة.

أمسكت سارافيم بالمرآة، ونظرت إلى والدها، ثم همس لها: - علينا أن نغادر قبل أن يدرك أحد وجودنا.

في هذه اللحظة، سمعت خطوات قادمة من الخارج، فشعرت برعشة خوف تسري في جسدها، نظرت إلى والدها بتوتر، لكنها رأت الطمأنينة في عينيه.

بلمح البصر، رفع نعمان عباءته السحرية لتغطيهما، فتلاشي وجودهما تمامًا عن الأنظار، تجمدا في مكانهما، يستمعان لصوت الحارس الذي دخل الغرفة، لكنه لم يستطع رؤية شيء. وقف للحظات يتفحص الغرفة، وكأنه يشعر بوجود شيء غريب، لكن عباءة نعمان كانت قد حجبت كل ما قد يدل عليهما.

بعد دقائق، غادر الحارس، فتنفسا الصعداء وخرجا بهدوء من الغرفة، وعبرا الممرات وصولا إلى البوابة الكبيرة، وبمجرد عبورهم إلى خارج السجن، نظرت سارافيم إلى والدها وعيناها تلمعان بالفخر، فقد نجحا في الحصول على المرآة رغم العقبات، وعلى الفور انتقال الاثنان لقصرهما ليتركها نعمان ويختفي بالمرآة والعباءة عائدًا لمحرابه كي يُكمل أدواته في هدوء ما قبل العاصفة.

***

في أعماق عالم جهنم، حيث الأضواء تتراقص في ظلام دامس، كان المكان مفعمًا برائحة الكبريت، وكأن الظلام يكتنف كل شيء، باستثناء لمحات ضوء خافتة تبرز تفاصيل وجهها، كانت أجواء

الكهف تنبعث منها رائحة عميقة وغامضة، تتخللها أصوات تنبعث من كل زاوية، ابتسمت بإعجاب وهي تراقب الظبي، حيوانها الأليف، يتجول حولها سمته تاجّ، وهذا الاسم لم يكن صدفة، كان يمثل إرثا وقوة، وشغفا بالسلطة..

جلست تاج على عرش من الصخور السوداء، في قلب جهنم، حيث كانت تخطط لإعادة هيكلة العالم، وعيناها تتجه نحو آرام الذي كان يقف في حالة من التوتر والترقب، نظرت إليه بابتسامة غامضة، وأخذت تدرس ملامحه بحذر:

- أراك متوترًا، يا صغيري.

ثم أردفت تاج بصوت هادئ لكنه مُحمل بسلطة خاصة تهيمن بها على كل ما تريده:

- لا داعي لذلك، أنا هنا لمساعدتك، وأنت بحاجة لي أكثر مما تظن.

آرام، الذي كان يشعر بقوة غريبة تنبعث من وجودها، لم يستطع أن يخفي قلقه:

- ماذا تريدين مني؟

سأل بفضول، لكنه كان يعرف في أعماقه أن الأمر لا يمكن أن يكون جيدًا ورغم كل ما بداخله لم يستطِع إلا أن يكون معها..

تقدمت تاج نحو آرام بخطوات واثقة، وعندما اقتربت منه نظرت إليه وهي تُخرج من عباءتها أداتها الحديدية غريبة الشكل، التي تلمع في ضوء الكهف

:- هذه نشروان.

قالت وهي تدور بها في الهواء:

- أداة سحرية قوية جدًا، ستساعدني على السيطرة على العوالم المختلفة، لكنني أحتاج إلى مساعدتك لتحقيق ذلك.

شعر آرام بقلق أكبر وهو ينظر إلى الأداة، ثم نظر إلى عينيها قائلا:

- وكيف يمكنني مساعدتك؟

أجابت تاج وهي تنظر لنشروان الذي يستعرض قوته أمام آرام ليبهره:

- أحتاج إلى روح قوية مثل روحك، أنت ابن لعائلة عريقة من الجن، ومصيرك مرتبط بمصيري، سأنقل لك القوة التي تحتاجها لتكون أقوى من أي وقت مضى، لكن عليك أن تكون تحت سيطرتي.

- أنتِ جدتي كما أخبرتني، أليس كذلك؟ تساءل آرام باندهاش، غير مصدق لما سمعه.

ردت تاج بجدية:

- نعم، ولكنني لست مجرد جدة عادية، لقد عشت طويلا في عالم الجن والشياطين، ولدي القدرة على منحك القوة والقدرة على التحكم في السحر. معًا، يمكننا أن نصبح آلهة على الأرض، ونجعل العالم يخضع لنا.

تشتت تفكيره في كلماتها، ولكنه لم يستطع تجاهل الجاذبية

الغامضة التي كانت تُصدرها، لكن الخوف بدأ يتسلل إلى قلبه

مستفسرًا:

- هل تريدين استخدامي كأداة؟

- أداة؟!

ضحكت تاج بسخرية، لتستطرد:

- أنت لست مجرد أداة، أنت النور الذي سينير الطريق لعائلتنا، لنستعيد سويًا مجدنا، كل ما أريده هو أن تكون بجانبي.

في تلك اللحظة، قررت تاج أن تستخدم نشروان بشكل مباشر، فرفعتها نحو آرام، وصنعت بها حركات دائرية، حتى بدأ الضوء يتجمع حول الأداة، ليظهر شبح أزرق يتراقص حولهم، - انظر، هذا هو سحر الأجداد، مع هذه القوة، يمكنك فعل أي شيء.

آرام، الذي كان يشعر بجاذبية ذلك السحر، تردد للحظة قبل أن يتراجع:

- أنا لست مستعدًا لمثل هذا.

حركت تاج نشروان فخفت الضوء وهي تقول له: - مستعد أو غير مستعد، الأمر يتعلق بمصيرك. ثم أردفت بحزم:

- أنت لن تستطيع الهروب من هذا المصير.. لذا، خذ قراراتك

بحذر.

ومع تأجج المشاعر داخله، كان عليه أن يختار ما بين قبول القوة أو المقاومة، لكن تاج لم تكن لتسمح له بالخيار، جمدت يديها في الهواء، وبدأت تتحدث بتعويذة قديمة:

- أنا تاج، أم السحر والسحرة، أستدعي القوة لتخدمني. تجمعت الطاقة حول آرام، مما جعله يشعر بشعور غريب بالدوار، وكأنه يتم استنزافه، بينما كانت تاج تبتسم، عرفت أن الأمور تسير كما تريد.

بدأ يشعر بالقوة تتسلل إليه، ثم أدرك أنه في وضع خطير جعله يتوسل إليها:

- جدتي، أرجوكِ، أنا لا أريد ذلك.

لكن تاج لم تكن تستمع سوى لرغبتها:

- إنها ليست خيارك، بل خيار العالم، يجب أن تكون أقوى من أي شخص آخر.

مع كل كلمة، شعرت تاج بأنها تزداد قوة، وأخذت تفرض سيطرتها عليه:

- الآن، انضم إليّ، واسمح لي بأن أعلمك كل ما تحتاجه. تجدد عزم آرام على المقاومة، لكنه وجد نفسه في دوامة لا يمكن السيطرة عليها، ومع كل لحظة، كانت قدرته على المقاومة تتضاءل..

استمر تأثير نشروان في التسلل إلى عروق آرام، مما جعله يشعر بأنه محاصر في دوامة من المشاعر المتضاربة، كان يتمنى لو كانت هناك إجابة واحدة فقط على تساؤلاته المتزايدة حول هويته، من هو والده؟ ومن كانت والدته الحقيقية؟ كانت هذه الأسئلة تدور في ذهنه كالعاصفة، لكن تاج كانت تسد كل منفذ للخروج من هذا المأزق.

استعاد آرام شيئًا من تركيزه، وابتعد خطوة عن تاج، محاولًا فرض

سيطرته على أفكاره:

- أخبريني عن والدي ووالدتي، لماذا لا تريدين أن تجيبي؟

ابتسمت تاج ابتسامة غامضة، وعيناها تتلألأ كمن تخبئ سرًا عظيمًا:

- لكل شيء وقته يا صغيري، كل شيء سيظهر لك في حينه، ولكن عليك أولًا أن تتعلم كيف تسيطر على قوتك. - لكنني أريد أن أعرف من أكون!

كان صوته قد ارتفع، ومع ذلك، كانت كلماته مليئة بالضعف، مثل طفل يتوسل إلى والدته.

تقدمت تاج نحو آرام بخطوات بطيئة، وكأنها تحاول ملامسة مشاعره:

- يكفي أن تعرف أنك جزء من عائلة عظيمة، ومن المحتمل أنك تحمل في داخلك قوى تفوق ما تتخيل، ولكن عليك أولًا أن تثق بي.

- أثق بك؟

سخر آرام من نفسه ليستطرد:

- أنتِ تحاولين استخدامي لأغراضك الخاصة، ولستِ تخبريني الحقيقة.

تركت تاج تعبيرها الفاتن يتلاشى وتحولت إلى الجدية:

- الحقيقة ليست دائمًا ما تريد سماعه، أحيانًا قد تكون الحقيقة مؤلمة، ما تحتاجه هو قوة السحر لتكون قادرًا على مواجهة عالم

مليء بالأعداء، والديك ليسا ما يهم الآن.

صرخ بها بغضبٍ بعدما شعر أنه وقع في فخٍ لن يستطيع الفكاك منه بسهولة:

- لكنهم جزء مني، أحتاج إلى معرفة جذوري، من أين أتيت، كيف يمكنني أن أكون قويًا إذا كنت لا أعلم شيئًا عن نفسي؟

كان القلق يختلط بالاستسلام في صوته، مما جعل تاج تشعر بلحظة من الضعف، لكنها لم تسمح بذلك أن يظهر على وجهها وهي تؤكد له:

- أنت سليل العظمة، لكن العظمة تتطلب التضحية، إذا كنت تريد أن تعرف من هم والديك، يجب أن تكون مستعدًا لفعل ما يتطلبه الأمر، كل شيء له ثمن، وآمل أن تكون مستعدًا لدفع الثمن.

كانت كلماتها مليئة بالتحدي، لكنها كانت تتحدث بصوت

هادئ كأنها تطمئن نفسها أكثر مما تطمئن آرام.

بينما هو كان يختنق بتلك الأسئلة، بدأ يتساءل عما إذا كانت تاج تريد حقًا مساعدته أو أنها تخفي شيئًا أكبر:

- لماذا لا تخبريني عنهم؟ ماذا يحدث إذا اكتشفت كل شيء عن عائلتي؟

أصرت على المراوغة بقولها:

- ما تحتاجه هو السيطرة على قدراتك، وبمجرد أن تصبح قويًا، سيكون لديك القوة لتكتشف من هم والديك.

ردت تاج بحسم، محاولة توجيه حواره بعيدًا عن الأسئلة المحرجة:

- صدقني يا صغيري عليك أن تكون أقوى من أي وقت مضي، وستحصل على الإجابات التي تسعى إليها.

لكن آرام لم يكن راضيًا عن هذا الرد، بينما كان يتطلع إلى عيني تاج، كان يشعر بأن هناك شيئًا ينقصه:

- أنتِ تتحدثين عن القوة وكأنها كل شيء، ولكنني أشعر بالفقدان، أشعر بأنني لا أنتمي إلى أي مكان.

شعرت تاج بمدى صدق كلماته، لكنها تظاهرت بأنها لم تسمع:

- حسنًا، إذا أردت أن تنتمي، فعليك أن تقاتل من أجل ذلك، وكنتيجة لذلك، يمكنك أن تكون القائد الذي ينقذ عائلتك من الضياع.

مضت الكلمات في آذان آرام مثل طنينٍ عابر، كان يشعر بالتشتت بين ما يحتاجه وما يريد:

- وإذا كنت أريد أن أكون في صف والدي؟

قال بصوت منخفض، «كأن هذا الشقي يختبر حدود تاج» هي التي لم تكن لتسمح له بأن يخرج عن سيطرتها، ابتسمت ووضعت يدها على كتفه قائلة:

- إذا كنت ترغب في ذلك، يجب أن تثبت نفسك، اعطني ولاءك، وسأساعدك في العثور على كل ما تبحث عنه، لكن يجب أن تسير في طريقي، وعبر ممراتي فقط.. ستجد إجابتك.

كان القرار يبدو شاقًا بالنسبة له، لكن مشاعر الغموض كانت تضغط عليه، مع كل لحظة تمر، كان يشعر بتلك العواطف تتجدد، وكان على حافة الإدراك بأن تاج كانت تلعب بأفكاره، لكنها كانت أيضًا الطريقة الوحيدة التي يمكنه

بها الوصول إلى معرفته:

- أحتاج إلى وقت للتفكير.

قال أخيرًا، مُشعرًا إياها بأنه لا يزال في مرحلة البحث. - عليك أن تتصرف بسرعة، الزمن ليس في صالحك.

كانت تلك هي آخر كلمات تاج قبل أن تستعد للرحيل، مما جعل آرام يشعر بضغط شديد.

بعد مغادرتها، ظل آرام واقفًا في مكانه، عواطفه تتصارع داخل قلبه، كان من الواضح أن تاج لديها أهدافا خاصة، لكن الرغبة في معرفة جذوره كانت أقوى من أي شيء آخر، ورغم أنه كان مدركًا لخطر التعاون معها، كان هناك جزءٌ منه يريد أن يخوض تلك الرحلة، حتى لو كانت محفوفة بالمخاطر.

***

الفصل الرابع

قصر الملك الأبيض

تأمل نعمانُ الصغير ملامح أمه وهي واقفة أمامه، وكأن الزمن قد توقف عند هذه اللحظة، عيناها تشعان بالحياة، ووجهها مزيج من الحنين والدفء، لقد افتقدها بشدة رغم أنه لم يمر يومٌ دونَ أن يزورها عند جدته، لكنه لم يصدق للحظة أنها عادت، لكن لمستها على يده جعلته يؤمن، ولو قليلا، أن المستحيل قد تحقق.

ابتسم وَهو يهمس :

- أمي... أخِيرًا.

وقبل أن يواصل حديثه، شعَر بنسيم بارد غريب يمرّ من خلفه، وكأنه نسيم محمل بأسرار غير مرئية، لحظات.. ثم بدأت ملامح أمه تبهت شيئًا فشيئًا أمام عينيه، وكأنها صورة تذوب في الهواء، حاول أن يمسك بيدها لكنه وجد نفسه يسقط في الفراغ ويختفي كما اختفت هي.

كان يظن أن العالم سيتوقف عند تلك اللحظة، لكنّه وجد نفسه في مكان آخر، عالم لم تطأه قدمه من قبل، أرض قاحلة مليئة بأشجار جافة، أوراقها السوداء تتساقط كأنها قطع من الظلام، وعلى بُعد خطوات، لمح بناءً مهجورًا أشبه بمعبد قديم.

اقترب من المعبد وهو يسمع صوتًا بعيدًا، يشبه نغمًا غريبًا يناديه، ظل يسحبه بجاذبية لا تقاوم، تقدّم بخطوات بطيئة نحو الباب، الذي فتح تلقائيًا أمامه دون أن يمسه، دخل ليجد قاعة كبيرة تعجّ بآلات

موسيقية قديمة، بعضها لم يرَه من قبل، وآخر يبدو مألوفًا لكنه مُغطى بالغبار وكأنه مهجورٌ منذ قرون.

في زاوية القاعة، لفت نظره «ناي أسود» يبدو شديد الغموض، تصميمه مزخرف برموز غير مفهومة، اقترب منه ليشعر بيديه ترتجفان، لكنه لم يستطع مقاومة تلك الرغبة الجامحة في الإمساك به..

رفعه ببطء، ووضعه على شفتيه كما لو كان يعرف مسبقًا كيفية العزف عليه، وبمجرد أن بدأ يعزف، انتشر صدى نغماته في القاعة، كأنه يستحضر شيئًا من أعماق الظلام، فجأة، بدأت ظلال المخلوقات تظهر من حوله، الجن يلتفون حوله في دوائر، الإنس يتراقصون كما لو كانوا تحت تأثير تعويذة خفية، والشياطين يتجمعون في الأركان، يتطلعون إليه بعيون مشتعلة، وكأنهم ينتظرون أوامره.

استمر في العزف والنغمة تزداد قوة وسحرًا، تشتدّ النغمات وتعلو حتى بدت وكأنها أصداء تُحيي المكان. فجأة، شعر بقوة غريبة تتدفق عبر جسده، فهم للحظة أن له نفس موهبة أمه، لكن لم يكن هذا سحرًا عاديًا، بل كان شيئًا أعمق وأكثر ظلمة.

بمجرد أن توقف عن العزف، هدأت المخلوقات، واختفت واحدة تلو الأخرى، تاركةً إياه وحده في القاعة، نزل الناي من شفتيه ببطء، وفي عينيه نظرة ارتياح ممزوجة برهبة، كان يعلم أن هذا السحر سيغيّر حياته، لكن لم يتوقع أبدًا أنه سيفتح له بابًا إلى عالم لا يعرف الرحمة..

أخذ نفسًا عميقًا، يشعر بثقل غريب يلتف حوله، كأنما المكان يلفظه

أو يحذره من شيء لم يدركه بعد، كان كل ما يدور في رأسه هو كيف استيقظت فيه هذه القوة، ولماذا اختير لهذا النوع من السحر تحديدًا.

بينما هو غارق في أفكاره، سمع صوت خطواتٍ ثقيلة تتقدم

ببطء نحوه، التفت ليجد رجلا عجوزا، متشحا بملابس

سوداء، ووجهه محفوزٌ بتجاعيد عميقة، وعيناه تلمعان ببريق حاد، لم يكن هذا الرجل من الجن، وبالطبع لا يُشبه الإنس! فمن يكون إذًا؟!

وقف العجوز بعيدًا، ينظر إلى نعمان بتفحص، ثم نطق

بصوت هادئ يشبه الهمس:

- أخيرًا... وريث النغمة السوداء.

شعر نعمان بقشعريرة تسري في جسده، حاول أن يلتقط أنفاسه ويفهم ما يحدث، فسأل بارتباك:

- من أنت؟ وما معنى وريث النغمة السوداء؟

ابتسم العجوز، وابتسامته جعلت نعمان يضطرب قليلا ولكنه كان ثابتًا بوجهٍ جامد، اقترب منه العجوز ببطء، وقال:

- منذ عصور مضت، كان يوجد نوعٌ نادر من السحر، مرتبط بالموسيقى والأنغام، هذا السحر هو أخطر وأعظم أنواع السحر؛ لأنه يتيح لمن يتقنه السيطرة على عوالم الجن والإنس والشياطين، لكن لا يمكن تعلمه بسهولة، ولا يُمنح إلا لمن يحمل موهبة حقيقية وقدرًا كافيًا من الظلام بداخله.

صمت العجوز قليلا، ثم أكمل بنبرة مليئة بالغموض:

- أمك كانت تمتلك هذه الموهبة، لكنها اختارت أن تبتعد عن هذا الطريق، حتى حينما حاولت إرجاعها أبت أن تعود، أما أنت... فقد جئت هنا بإرادتك، وأمسكت الناي الأسود، هذا يعني أن لديك استعدادًا أكثر مما كان لديها.

ابتلع نعمان ريقه، وقد شعر بمزيج من الرهبة والإثارة، فقال له بصوت خافت:

- إذا كانت أمي تملك هذه الموهبة، فلماذا لم تُكمل طريقها؟! أو تُخلص نفسها مما حل بها مؤخرًا!

ضحك العجوز ضحكة مليئة بالسخرية وقال:

- لأنها كانت تعلم أن هذا الطريق ليس له رجوع، هي تعرف تمامًا أن من يمسك هذا الناي لا يعود إلى ما كان عليه، ولكن يوناس كان قادرًا على حمايتها وحمايتك، لكنه لم يُدرك أن السحر يجد طريقه دائمًا إلى من هو أهلٌ له.

نظرَ نعمان إلى الناي الذي لا يزال في يده، وتساءل إن كان قد قدر له أن يسير في هذا الطريق، تذكر ملامح أمه، وصوتها الذي لطالما كان يدعوه ليكون قويًا ومستقيمًا، لكنها لم تخبره قط عن الجانب المظلم الذي يمتلكه، هل كانت تعرف حقًا ما في داخله؟!

نظر إليه العجوز بجدية، وقال:

- هناك دروس عليك أن تتعلمها، وأسرار يجب أن تكتشفها، ولكن تذكر أن هذه القوة ليست مجرد وسيلة للتحكم في المخلوقات، إنها

مسؤولية كبيرة، وأي خطأ يمكن أن يكلفك حياتك... أو ما هو أسوأ.

حدق نعمان فيِ العجوز، وقال بجرأة لم يتوقعها:

- أنا مستعد. علمني كل شيء.

ظهرت نظرة إعجاب في عيني العجوز، لكنه لم يُظهرها علانية، أومأ برأسه، ثم أشار إلى كرسي حجري على جانب القاعة، وقال:

- اجلس هنا، وسوف تبدأ أول درس لك، هذا الدرس ليس دُرسًا في السحر، بل هو درْس في السيطرة؛ لأن من يريد أن يخضع غيره، يجب أولا أن يخضع نفسه.

جلس نعمان بتردد، يتنفس بعمق وهو ينظر إلى العجوز الذي بدأ يتلو تعاويذ غامضة بلغة غير مفهومة، أحس نعمان بضغط شديد في رأسه، كأنما الأفكار والأصوات تتصارع بداخله، وفجأة، شعر بنبضات قوية تعلو وتنخفض في عقله، وكأنه أصبح ميدانًا للمعركة بين قوى الظلام والنور في أعماقه.

مرت الساعات وهو يجلس في تأمل عميق، يختبر قوته الداخلية ويتعلم كيف يسيطر عليها، ومع كل لحظة، كان يشعر بأن جزء من روحه يتغير، بدا وكأن ظلالا خفية تتسلل إلى قلبه، تجعله يرى العالم من زاوية أخرى، زاوية من يمتلك القدرة على التحكم والتأثير.

وبينما هو غارق في هذا التدريب العميق، سمع صوت العجوز

يهمس في أذنه:

- تذكر، يا نعمان، أن السحر ليس مجرد قوة، بل هو عهد، عندما

ثمسك بالناي الأسود، أنت تفتح بابًا لا يغلق، تأكد أنك مستعدٌ لدفع الثمن.

نهض نعمان، وهو يشعر وكأن جزءًا من الماشي قد تركه، وجزءًا من المستقبل يُفتح أمامه، نظر إلى الناي في يده، وأدرك أنه أصبح الآن سيدًا للأنغام المظلمة، وربما لأكثر من ذلك.

***

حلَّ الليل بهدوء مخيف على أرجاء البلدة، ليصبغ الشوارع الضيقة بالظلال الكثيفة التي ترسمها أعمدة الإنارة المتباعدة، كان سليمان يسير وسط الأزقة شبه المهجورة، يغوص في أفكاره كعادته، يبحث في زوايا ذاكرته عن إجابات لأسرار أحس بوجودها لكنه لم يستطع فهمها بعد، خطواته كانت واثقة، وعلى وجهه تلك البراءة التي لا تخلو منها الجرأة، لم يكن يعلم أن هناك عيونًا خفية تراقبه عن كثب، بانتظار اللحظة المناسبة للاقتراب.

من جهة بعيدة، وقف «ليثان»، يُحدّق بعينيه الخضراوين في سليمان، يتأمله بملامح باردة يشوبها شيء من الغموض، كان يعلم أنَّ سليمان ليس كالأطفال العاديين؛ إنه زوهري، صاحب موهبة فريدة، يُمثل مطمعًا نادرًا لكل ساحر يسعى للسيطرة على تلك القوى.

رفع ليثان عصاه المزينة برموز قديمة معقدة، وبدأ همهمات غريبة، يُردد كلمات ليست من لغة البشر، بل كأنها نداءات تأتي من عالم آخر، وشيئًا فشيئًا، بدأت طاقة داكنة تتجمع حول سليمان، كأنها شبكة غير مرئية تلتف حوله، تحجب

عنه أي أمان قد يشعر به.

شعر سليمان ببرودة مفاجئة، كأن الليل نفسه قد زاد ثقلا من حوله، وكأن الهواء قد تحول إلى رياح تحمل شيئًا غريبًا، ظل يبحث بعينيه عن مصدر هذا الشعور، لكنه لم يجد سوى الظلام الذي بدا وكأنه يقترب منه، يغلق عليه الدائرة شيئًا فشيئًا، ومع ذلك، لم تهتز حدقتاه، و بدلًا من الذعر، ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة، فيها من التحدي أكثر مما فيها من القلق.

- سليمان...

همس صوت بعيد، عميقٌ ومخيف، كأنما يأتي من أبعاد لم يُدركها سليمان من قبل، كان الصوت يترجم كل ما هو مجهول وخفي، كل ما لم يرد سليمان استكشافه يومًا:

- لماذا لا تخاف؟ أليس الخوف غريزةً في قلب كل البشر؟

رد سليمان بثبات وهو يواجه تلك الهالة التي بدأت تتشكل

من حوله:

- الخوف ليس لي، فأنا لا أملك ما أخشاه، بل جميعنا ملك

لله، وأنا لن أخضع لأي قوة تحاول كسر إرادتي.

كانت كلماته واثقة، تنبع من يقين داخلي، وكأنما يقف على

أرض راسخة تحت قدميه رغم الظلام المحيط به.

زاد سحر ليثان اشتعالا، وبدأت الهالة الداكنة تزداد قوة وسوادًا، حتى بدت كأنها جدار غير مرئي يحيط بسليمان،

يحجبه عن العالم الخارجي، مدّ سليمان يده وكأنما يستشعر تلك الطاقة الغريبة، وفي عينيه إصرار ينبض بالإرادة.

شعر ليثان بدهشة، لم يكن معتادًا على رؤية من يمتلك الجرأة الكافية للثبات أمام قواه، وخاصة أنه مجرد طفل!

لكنه لم يتراجع، بل حاول أن يُزيد من قوة الهالةً، مستشعرًا بتحدٍ جديد يشعل حماسته. رفع عصاه عاليا، وكأنها مرآة تعكس تلك الطاقة التي احتشدت في الهواء، وكأنها تحيط سليمان بقفص لا فكاك منه.

في تلك اللحظة، أدرك سليمان أن هناك من يحاول سلب إرادته، أن هذا الوجود المظلم يسعى إلى تقييد قوته، وبصوتٍ ثابت نادى سليمان صديقه الوفي:

- شيث! تعال إليّ، أحتاجك الآن.

كانت كلماته تتردد في الهواء، تصل إلى أعماق العالم الآخر حيث يقف شيث مع ميلاف أمام قاعة المحكمة ولم يتبقى على المُحاكمة سوى القليل من الوقت، ولكنه بالطبع لن يترك صديقه الذي من الواضح أنه في ورطة، حاول النداء على روهان فتجاهلت الصغيرة ندائه وهي تعلم ما يريد، لم يجد حلا سوى الاعتذار لميلاف التي وقفت مشدوهة وهي تراه يغادر المكان في هذا الوقت الحرج..

وفي لحظات، ظهر شيث، كأنه تجسد من بين الظلال، بحضوره الهادئ وقامته الشامخة، يتأمل الهالة الداكنة التي تحيط بصديقه سليمان، كانت عيناه تتلألأ ببريقٍ غريب، لا يخلو من القوة والغضب،

أدرك شيث على الفور ما يفعله ليثان، وشعر بالحاجة الملحة إلى حماية سليمان.

ناداه شيث بصوتٍ غاضب:

- أطلق سراحه، يا ليثان! لن تسيطر عليه مهما حاولت، ولا تضطرني أن أستخدم معك أسلوبًا آخر، فبيننا عهد لا تحنث به، لكن ليثان لم يكن ليخضع بهذه السهولة، استمر في فرض طاقته، محاولًا الحفاظ على الهالة التي تحاصر سليمان، وكأنما يريد أن يثبت أنه الأقوى.

لكن سليمان، بابتسامته الهادئة، كان يعلم أنّ قوته ليست بحاجة إلى حماية شيث، بل تأتي من داخله، من ثباته وإيمانه بالله وبنفسه، بدأ يستدعي طاقته الداخلية، مستشعرًا نورًا دافئًا ينبعث من قلبه، ينتشر ليحطم قيود الظلام التي تحاول السيطرة عليه.

همس شيث بصوت مطمئن:

- كن هادئًا، سليمان، فأنت أقوى مما يظن، ركز على قوتك، واترك طاقتك تتحرر.

تجاوب سليمان مع كلماته، وأغمض عينيه، مستشعرًا بعمق النور داخله، قوة لا تأتي من حماية مخلوقات، بل من ذاته الراسخة.

بدأت الهالة الداكنة التي فرضها ليثان تتلاشى تدريجيًا، كأنها تتبدد أمام إرادة سليمان، فكانت هذه اللحظة فاصلة، وكأن المعركة الحقيقية لم تكن بين ليثان و شيث، بل بين قوى الظلام والنور داخل قلب سليمان.

ابتسم شيث وهو يرى صديقه يحرر نفسه من قيود الساحر، ووقف بجانبه كأنه يؤازره بتلك القوة التي لا تُهزم، قوة الثقة بالنفس.

نظر سليمان إلى الظلام المحيط، وتحدث بصوت واثق:

- ليثان، مهما حاولت، لن تستطيع أخذي إلى حيث لا أريد، قوتي ليست ملكا لك، ولن أسمح لأحد بأن يسلبني إرادتي.

أدرك ليثان أنّ محاولته للسيطرة قد فشلت، واختفى ببطء في الظلام، يتوعد بلقاءٍ آخر، عاقدًا العزم على فهم تلك القوة الغامضة التي يحملها هذا الطفل.

بعد اختفاء ليثان، توجه سليمان بنظره إلى شيث، ممتنًا لحضوره:

- شكرًا لك، يا صديقي، لا أعلم ماذا كنت سأفعل بدونك. ابتسم شيث وقال بنبرة مليئة بالثقة:

- لا تحتاج إلى الشكر، يا صغيري، فأنت تمتلك قوة خاصة بك، قوة يجب أن تتعلم استخدامها، لكن تذكر دائمًا، لن تكون وحيدًا في هذه المعركة سوف أكون معك دائمًا.

ابتسم له سليمان وهو يودعه كي يعود لمنزله، فأوقفه شيث بدهشة متسائلا:

- ما الذي أخرجك من بيتك في هذا الوقت؟! التفت له سليمان مجيبًا بخيبة أمل:

- كنت أنادي على روهان كي تلتقي بي في الخارج، فأنا أعلم أنها لا تحب الدخول لمنازل البشر.

شعر شيث بالحزن لأجله وفهم على الفور لما تجاهلت ندائه، فاقترب من الصغير وهو يضع كفه على كتفه قائلا:

- لا تقلق، فسوف يأتي الوقت الذي تجيب به روهان ندائك، ولكن عليك ألا تيأس منها.

أومأ برأسه وهو يلوح له مودعاً، فاختفى شيث عائدًا لميلاف التي بالطبع سوف تنفجر غيظًا منه.

***

الفصل الخامس

غابة الأرواح – كينيا

تحت ظلال الأشجار الكثيفة، حيث ينسج ضوء القمر خيوطا فضية بين الأوراق، جلست روهان على حجر كبير، مُحاطة بأجواء الغموض والإثارة، كانت تتعلم درسًا جديدًا من دارك، أحد الشياطين السبعة، الذي كان يحمل في عينيه عمقًا لا يُدرك:

- اليوم، سأعلمكِ حيلة سحرية قوية، تساعدكِ في مواجهة

الجن الخطرين.

ثم أردف دارك و صوته يرن كالأجراس في الهواء:

- هذه الحيلة تحتاج إلى تركيز وجرأة، ولكنها ستجعلكِ تسيطرين على قوة لا يتخيلها أحد.

سألته روهان وعيناها تتلألآن بشغف:

- ما هي هذه الحيلة؟ وكيف يمكنني استخدامها؟

ابتسم دارك، وبدأ في تحريك يده، مما أدى إلى ظهور دائرة

من النور حولهما وهو يشرح لها الأمر:

- هذه هي دائرة القوة، عندما تستدعى، ستنشئ حماية لكِ، وتسمح لكِ بالتحكم في عواطف الجن، وبهذا يُمكنكِ إلحاق الهزيمة بهم بطرق غير متوقعة.

أخذت روهان تتأمل الدائرة، فشعرت بطاقة غريبة تتدفق في

الهواء، فسألته بجدية:

- اخبرني كيف أستخدم هذه الدائرة؟

- الأمر بسيط.

رد دارك، عازمًا على تعليمها:

- عندما تواجهين جنيًا تريدين أذيته، ابدئي بالتخيل.. تخيلي أنكِ تمتلكين القوة لتجعليهم يرون ما تريدي أنتِ أن يروا.

حرك الدائرة في اتجاهات عديدة وهي يعبث بها كما يشاء، ليُكمل:

- استخدمي كلماتكِ كأسلحة، اجعليها تتجسد أمام أعينهم، وعندما يشعرون بالخوف، ستسيطرين عليهم في التو واللحظة.

كانت تراقب حركاته في السيطرة على الدائرة التي لا يسمح لها بأن تنفلت من يده، وبعينين ثاقبتان وبتركيزٍ تام كانت تتابع ما يفعله وهو يخاطبها بثبات:

- لا تفكري في القوة الجسدية.

قال، بينما كانت عيناه تشعان بذكاء:

- إنما في قوة الإرادة، تخيلي أنْ لديكِ القدرة على تدمير كل ما يعترض طريقك، هذه الحيلة تدمر الجن بسهولة، حتى الأكثر شراسة منهم.

استغرقت روهان لحظة، تفكر في كلماته، كانت تعلم أن القوة لا تعني فقط القدرة على الهزيمة، بل تعني فهم الذات.

- هيا بنا لنبدأ!

هتفت بها بتمكن وعاد شغف التعلم يملأ قلبها بقوة.

بدأ دارك في تعليمها كيفية تجميع الطاقة في الدائرة، وكيفية خلق صور ذهنية تستطيع من خلالها تحريك الجان، بينما

كانت تتدرب، شعرت بنفحات من الرعب تسرى في عروقها، تلك الفكرة كانت مذهلة حقا، كيف يمكن للمرء أن يتحكم في

الجن وكأنهم مجرد دمى؟

بينما كانت تركز، تردد صوت سليمان في الغابة:

- روهان! هل أنتِ هنا؟

كانت نبرته تحمل شيئًا من الشوق والقلق، لكنه لم ينجح في

جذب انتباهها.

»تجاهليه«

همست لنفسها عابسة، لتردف بثبات:

»هذا وقتك، لا تدعي شيئًا يُشوش تفكيرك.«

أتاها صوت سليمان ثانيةً كانه كأنغام موسيقية تحاول التسلل إلى قلبها.

- سأتعلم.

قالت بحزم، عازمة على عدم الانجراف وراء مشاعرها، فهي تهرب منه بشق الأنفس..

وبعد عدة محاولات، تمكنت روهان أخيرًا من استحضار الصورة الذهنية، تخيلت الجن الذي تتعلم كيفية مواجهته، ورأته يتحول أمام عينيها إلى كائن ضئيل، عالق في شبكة من العواطف.

- هذا هو! الآن أشعر بالقوة اللازمة للسيطرة عليه! صاحت، وكل شيء حولها بدأ في اللمعان.

لكن قبل أن تُكمل، ناداها شيث برجاء:

- روهان! تعالي هنا، أرجوكِ!

وكأن صوته المتصاعد، يحمل في طياته يأسًا غير مبرر. تجاهلت نداءه هو الآخر فلابد أنهما معًا، وعادت لتركيزها. »سوف استمر«

أمرت نفسها، ولكنها شعرت بموجة من الارتباك تجتاحها. لماذا كان

يؤثر عليها بهذه الطريقة؟

- التركيز يا روهان!

حثها دارك، بينما كان يراقب عينيها تتلاعب بين الدائرة وصوت سليمان،. ليحذرها بغضب:

- لا تدعي أي شيء يشتت انتباهك.

عندما أنهت الدرس، تركت المكان دون تردد، تقدمت نحو مكان بعيد وغامض، حيث كانت الأشجار تنحني وكأنها تحمي أسرارها، هناك في تلك الزاوية المظلمة من الغابة، استدعت عدار، الشيطان الذي تستطيع البوح معه على ما بداخلها في الوقت الحالي، ولا تعرف ما سبب شعورها هذا رغم أن عدار يعتبر عدوها اللدود في

هذه المجموعة، إلا إنها لم تقاوم رغبتها في ندائه:

- عدار!

مشاعرها تتأرجح بين الخوف والشغف، كان وجوده يهدئ من روعها، لكنها شعرت بأنها في صراعٍ مع نفسها.

حضر على الفور وعيناه تتفحصانها بعمق:

- ماذا هناك.. روهان؟!

لم تمنحه فرصة حتى للجلوس جوارها وقامت بالاعتراف فور وصوله:

- أنا أشعر بالتشتت، أحب قوة السحر، لكنني أشعر أنني أكره الضعف الذي أراه في البشر، كيف يمكنني أن أكون مثلهم وأكون قوية في نفس الوقت؟

جلس عدار جورها وبابتسامة عبثية أجابها:

- أنتِ لا تخافين استخدامي لهذا الاعتراف ضدك، أليس

كذلك؟!

لم تكن في مزاجٍ جيد لمزاحه، فصمتها كان دليلا على جدية ما تشعر به من ضياع وسط عالمين تكره أحداهما رغما انتمائها له.

- لا تدعي الكراهية تأخذك بعيدًا.

قالها عدار، وكأن كلماته تحمل في طياتها حكمة أقدم من الزمن، ليُردف بثقة:

- يمكنك أن تكوني قوية وتفهمي البشر، القوة لا تعني الفوضي، بل تعني القدرة على الاختيار.

هتفت، وأحاسيس الارتباك تتصاعد داخلها:

- لكنني أراهم ضعفاء!

نظر نحوها بتعجب لتستطرد بصوتٍ تائه:

- كيف يمكنني أن أكون قوية وأنا أشعر بالعجز تجاه مشاعرهم تلك؟!

تنهد بعمق وهو يتذكر أن مشاعرهم هذه هي ما جعلته أسيرًا لآنا، ليبدأ في شرح ما بداخله عله يدلها على الطريق:

- تقبلي مشاعرك يا روهان، استغلي قوتك في فهمهم، لا في كراهيتهم وتذكري، نحن جميعًا نتشارك هذه الأرض، وحتى الشياطين يعانون من الخسارة والحب، مشاعرهم ليست ضعف ولكنها نقطة قوة حتى أعتى الشياطين والجن في عالمنا يخرون تحت أقدامهم عاشقين.

تنفست روهان بعمق، وهي تحاول استيعاب كلماته:

- سأعمل على ذلك.

أضاف بحزم، وهو يلمح هذا الشعور الجديد من الإصرار وهو يتجلى في عينيها ليشير نحو موضع قلبها:

- ابدئي من هنا، من خلال مشاعركِ أنتِ، كل عاطفة تجعلك أقرب إلى القوة الحقيقية، وكل درس يعزز قدراتك سوف يجعلك تعرفين

أين تجدين هذه القوة.

بينما كانت تتحدث مع عدار، شعرت بشعور من التحرر، ربما لم تكن وحدها في هذا الصراع، وربما كان بإمكانها دمج كل تلك العناصر في كيان واحد، كانت قادرة على فهم البشر واحتضان قوتها في نفس الوقت ولكنها لم تكن تريد هذا الضعف الذي يجعلها تترك كل ما تصبو إليه لأجل نداء أحدهم.

- شكرًا لك، يا عدار.

همست، ونار الانتفاضة تتأجج داخلها، لكنها لم تعد ترى فيها مجرد اضطراب، تلك النار، أدركت روهان أنها هي سبيلها إلى القوة الحقيقية فوقفت بثبات، وعيناها تتأمل كل ما حولها، كانت الغابة تكشف لها أسرارها، وسحرها يتمازج مع أنفاس الأرض وروح الظلال التي تتراقص في صمتٍ عميق.

قررت روهان أن تتحرر من قيود مشاعرها، أن تصبح هي القوة ذاتها، السائرة في اتجاه مختلف، قادرة على التعايش مع كل ما يضطرم في قلبها، ومع كل خطوة جديدة اتخذتها في ذلك المكان البعيد، شعرت بتجدد كيانها، وكأن الغابة نفسها صارت جزءً من أعماقها، تفتح لها أبواب السحر الذي يسري حولها.

قادرة هي على محاربة الجان والشياطين، على أن تسيطر على قوى العالم الخفي، لكنها وجدت نفسها أمام تحدٍ أعمق وأعقد؛ فهم مشاعرها الإنسانية، المعركة ليست لإخماد ضعف أو كسر وهن، بل للوصول إلى التوازن، إلى القوة الحقيقية التي تجمع كل العناصر في كيانها الثائر..

غادرت روهان وهي لا تعي أنها تحت أنظار تاج، التي اشتعلت حدقتاها بغيظ شديد، وصرخت في حنق:

-كيف تجرؤ هذه الفتاة على الاقتناع بما قاله هذا الشيطان الساذج، كنت آأمل أن تكون روهان في صفّي، لقد كانت تملك من القوة والشجاعة ما لا يضاهيها أحد في العائلة، و لكن ها هي الآن تضل الطريق في ظلام ضُعف الإنس!

لقد كنت سأجعلها سلاحا لا يستهان به، والآن تبتعد، تاركة كل شيء خلفها!

لا أستطيع السماح لها بذلك، يجب أن أعيدها إلى الطريق الصحيح، لأثبت لها أن هذا الدرب الذي اختارته لن يقودها إلا إلى الخسارة.

***

محكمة الجان – ضريح بويا عمر

تراكمت ظلال اليأس فوق رأس توكدا، وهي تتكئ على الأرض الباردة في زوايا محكمة الجان، تتنفس الصمت الثقيل لهذا المكان الغريب عن عالمها، الجدران المظلمة من حولها تحيط بها ككابوس أبدي، تُرجع إليها أصداءً كأنها أنفاس أرواح غابرة، تحمل معها أسرار الأجيال التي مرت تحت هذا السقف.

كانت ضربات قلبها تتسارع، كأنها تدق على أبواب القدر الذي يثقل على كاهلها، تستشعر عبءالسنين المتكدسة على روحها، ويزداد ألمها حين تذكر ميلاف، لم تعد المسألة مجرد محاكمة؛ بل حياة بأكملها معلقة على حافة خيط هش، على وشك الانقطاع، تساءلت

بمرارة، »كيف وصلنا إلى هذا المصير؟«، ثم امتلأت عيناها بدموع ثقيلة، تعبر عن خيبة عميقة.

رأت في ميلاف أملا، بذرة تحيي إرث العائلة، لكنها الآن باتت تشعر أن تلك البذرة انقلبت لشقاء عظيم، مهددًا بالفناء.

تفتحت أبواب السجن أمامها، وظهرت عائلتها من ظلمة المكان، كان وجه حفيدها شاحبًا، وعيناه تتألقان بقلق بالغ،

- جدتي، كيف سنخرج من هنا؟

سأل، وصوته يكاد يختنق.

تجمدت توكدا في مكانها، تنظر إلى أحفادها الذين تتجلى على وجوههم ملامح الخوف، - علينا أن نتحلى بالصبر.

أجابت، وفي محاولة منها أن تبث فيهم الأمل، على الرغم من أنها كانت تشعر أن الأمل يبتعد عنها:

- ميلاف ستعود إلينا، يجب أن نثق في ذلك.

لكن كيف يمكنها الوثوق بفتاة أقدمت على فعل يخالف قوانين جدها الأكبر؟ جلست بين أفراد عائلتها، وبدأت تشعر بأن وحدتها تتزايد، كلما طال الوقت، ازدادت مخاوفها، هل سيكون مصيرهم الموت؟ أم السجن خلف هذه الأسوار إلى الأبد؟! كانت الجدران تعكس أصوات همسات الجن، يتبادلون الحديث عن مصيرهم، لم تكن الجدة توكدا فقط محبوسة، بل كانت أيضًا سجينة لمشاعرها المتضاربة.

- لا يمكن أن تتركنا ميلاف هنا للأبد.

قالها أخوها التوءم محاولا تهدئة باقي العائلة، ليردف مبررا:

- قد تكون في خطر، ولكننا نعلم أنها ليست شريرة، نحن عائلتها، وسوف تقف بجانبنا.

وفي تلك اللحظة، فجأة، انفتحت الأبواب الضخمة للمحكمة، وأطل عليهم الجن، يرتدون ملابس رفيعة، وعلامات القوة تتجلى على وجوههم، كان أحدهم، ذو القرون المتشعبة، يتقدم، وعلى وجهه ملامح غير مريحة.

- اجتمعتم هنا بجرم ما فعلتموه في الضريح، وعليكم أن تواجهوا عواقب أفعالكم.

عبرات الدموع عادت إلى عيني توكدا، ولكنها تشبثت بالأمل، فهي لم تكن تسعى للمال أبدًا، جُل ما كانت تريده هو مساعدة الممسوسين كما كان يفعل جدها، واستمرار هذا الضريح بكونها الأول في العالم على استشفاء المرضى والصرعى، شعرت توكدا باهتزاز عائلتها بيأس، فأقدمت عليهم قائلة بنبرة قوية:

- نحن هنا، وسنقاتل من أجل ضريحنا، ولن ندع شيئًا يقف في طريقنا.

وفي تلك الأثناء، انطلقت ضحكة غامضة من الجن:

- أنتِ تُظهرين قوة في وجه المخاطر، ولكن في عالمنا، القوة ليست كافية، يجب أن تكون لديك الأسباب القوية أيضًا كي تقصيها على الموالين وأعضاء المحكمة الموقرة.

أخذ الجن يتبادلون النظرات عليهم من خلف القضبان الحديدية، وكأنهم يبحثون عن نقطة ضعف في عائلة توكدا، ولكن توكدا كانت قد أعدت نفسها لهذا اليوم، وقد أعدت بعض الأوراق التي تحمل أسرار عائلتها، وعندما جاء دورها لتتحدث أمام الموالين قبل خروجها للمحاكمة، فنهضت بقوة قائلة:

- أنا توكدا، كبيرة موالين المقراج، وحياتي كلها كانت من أجل عائلتي، أطلب منكم فرصة لعرض موقفنا، نحن لم نرتكب جُرمًا ولم نفعل شيئًا يخالف عهود جدي معكم.

انطلقت أصوات الجن من الموالين، تتحدث همسًا فيما بُينهم، كان هناك توتر واضح في الأجواء، وكأن الحكم قد أعطي بالفعل، لكنهم ينتظرون اللحظة المناسبة لإعلانه حتى قبل إقامة المُحاكمة الكُبرى.

فجأة، اقترب أحد الجن، ذو مظهر غامض وقوة حقيقية ليسألها:

- توكدا، ماذا تقولين في اتهامات استخدامكم السحرة لتقويض قوة الأضرحة الأخرى؟

أجابته توكدا بثبات، رغم أن قلبها ينبض بسرعة:

- نحن لم نقصد الإيذاء، بل كنا نحمي الضريح ومكانته في قلوب الناس! لقد أدركنا أن قوتنا تكمن في وحدة عائلتنا، نحن لم نكن نأخذ أموالًا، بل كنا نحمي كل ما يمثل الأمان للناس.

توجه الجن بنظرات مشككة نحو بعضها البعض، وكأنها تتبادل الأفكار:

- أنت تراوغين يا توكدا.

شعرت بالتوتر يشتعل في صدرها، لكنها تماسكت:

- أنا لا أراوغ، أنا أشرح لكم أن الحب للعائلة لا يعني دائمًا القوة، نحن بشر، لدينا ضعفنا، وأحيانًا نخطئ في اتخاذ القرارات، لكن كل ما نريده هو أن نتجاوز هذه المحنة معًا، فنحن موالين المقراج وأنتم موالين الآذن ولن تُقام هذه المحكمة إلا بنا نحن الأثنان.

عندما انتهت من حديثها، عم الصمت القاعة الداخلية، وكان يبدو أن كلماتها قد أثرت عليهم، لكن لم يكن هناك أي تأكيد على ذلك، وفجأة، تقدم أحد الجن ليواجه توكدا، ملامح وجهه تشير إلى تفكير عميق.

- سنمنحكم فرصة للمثول أمام سيدي بولحرير وأضلاع

المحكمة الأربع، وهناك تستطيعين شرح ما تبغينه.

شعرت توكدا بنفحة من الأمل تدخل قلبها، لكن الشك كان لا يزال يحوم في ذهنها، كانت تعرف أن هذه ليست نهاية المشكلة، بل بداية جديدة. كانت بحاجة إلى الشجاعة والذكاء لاستعادة حريتها والحفاظ على إرث عائلتها، سمعت أذان العشاء يصدح من المآذن فعلمت أن الوقت قد حان لترتيب أوراقها أمام المحكمة، وقفت تستعد فلمحت ضوء من نور في نهاية النفق، فشعرت توكدا أن المعركة لم تنتهِ بعد، بل بدأت للتو.

***

الفصل السادس

في عمق صحراء بعيدة لا يسكنها بشر ولا جن، حيث لا يصل ضوء النهار ولا تعبرها أقدام، وقف نعمان أمام »محراب الأقدار« مكان من شي لم تطأه روح منذ قرون، هذا المحراب، المخبأ بين تلال شاهقة، كان محفورًا داخل صخرة هائلة من حجر أسودٍ كالح، باب المحراب كان يتلألأ بنقوش قديمة متداخلة، تبدو كأنياب ملتوية وعروق حجرية تسري في مسارات متعرجة، ترسم رمزًا يُعجز عن تفسيره حتى أمهر السحرة.

داخل المحراب، كان الظلام كثيفًا، يكاد يكون له ملمس بارد كالجليد، غُمست جدران المحراب بمواد تتوهج في عتمة متلألئة، كأنها أنفاس مخلوقات قديمة محبوسة في الداخل، تطلق نورًا أخضرًا باهتًا، سقفه الشاهق يرتفع على شكل قبة، يتوسطها فجوة ضيقة تسمح لشعاع ضئيل من ضوء القمر بالدخول، يتسلل كأنه دعوة لخبايا الغموض.

تقدم نعمان بخطواته، صوت حذائه يطرق الأرض الصخرية ويكسر السكون، حتى وصل إلى طاولة حجرية في منتصف المحراب، على الطاولة، وضع نعمانٌ مرآة دائرية مسحورة، لها قاعدة ذهبية مستديرة وتلفها دائرة من الذهب لها مؤشرات كل له حرف خاص، وينتصف مقدمتها حجر

أحمر اللون على شكلٍ بيضاوي، حيث كانت هذه المرآة بوابته لرؤية أعدائه وخلق عوالم تجعلهم على حافة الجنون بين ما هو واقع وبين ما هو خيالي، إلى جانبها كانت تقبع قارورته الصغيرة

التي تحتوي على سموم أفاعٍ قاتلة، ألوانها تتراوح بين الأزرق القاتم والأصفر المتوهج، كأنها تمثل روح الموت حيًا متجسدة في سائل لزج.

لكن نعمان كان يعلم أن هذه الأدوات وحدها لن تحقق انتقامه الكامل، كان يحتاج إلى عنصر ثالث، شيء نادر لا يمكن لغير السحرة الأقوياء التحكم به، وفكر للحظة، ناظرًا إلى المرآة، ثم مد يده إلى داخل عباءته وأخرج قلادة قديمة، محفورة بنقوش دقيقة، من المفترض أنها تحتضن حجرًا أحمرًا متوهجًا في وسطها. هذا الحجر كان يُعرف باسم عين «الغسق»، جوهرة تتيح لصاحبها التحكم بالأحلام وإرسال الكوابيس المدمرة التي تجعل من يراها يفقد عقله تدريجيًا.

ظل ينظر إلى القلادة التي في يده خالية من حجرها الملعون، و قرر أن الوقت قدْ حان لاستعادة «عين الغسق» تلك الجوهرة الأسطورية التي أشيع أن من يمتلكها يستطيع إغراق أعدائه في كوابيس لا فكاك منها، كانت العين قد أُخفيت في موقع غامض، مكان بعيد وغائر في باطن الأرض، حيث لا يصل إليه إلا من يمتلك الشجاعة والمعرفة القديمة بالإضافة إلى السحر القوي.

خرج نعمان من محرابه، مسرعًا نحو وادٍ محاط بجبال مظلمة وأودية مهجورة، تعج بأصوات غريبة ومرعبة لأي رجُلٍ غيره، قادته الخرائط القديمة التي يحفظها في عقله إلى فتحة صغيرة في الأرض، مغلقة بصخرة ضخمة مليئة بالنقوش، كأنها بوابة لعالم آخر، همس ببعض التعويذات، فتحركت الصخرة ببطء كاشفة عن ممر

ضيق مظلم يمتد نحو الأسفل، مغطى برطوبة خانقة كأنها أنفاس الأرض بذاتها تتنهد بتحذير خطير لمن يقترب منها من الجان.

لم يأبه نعمان وهو يدخل إلى الممر، وبدأ النزول عبر درج حجري قديم، مع كل خطوة كان الهواء يزداد ثقلا، كأن روائح الموتى والقدماء تتسلل عبر الشقوق، امتدت يداه على جدران الممر المتآكلة، مستشعرًا بقايا قوة خفية، كانت العتمة تزداد مع عمق نزوله، حتى لم يعد يرى شيئًا سوى لمحات متفرقة من ظلال خيالات تتراقص أمامه كأنها تراقب اقترابه من ضالته.

فجأة، توقفت خطواته عندما وصل إلى قاعة واسعة بُنيت على شكل دائرة، في منتصفها تمثال حجري لمخلوق غير مألوف، عيناه من حجارة سوداء لامعة، لكن الأشد رعبًا كان الشقوق العميقة التي تتخلل جدران القاعة، وتنبعث منها أصوات همس مخيف، كأن أرواحًا محبوسة فيه تستنجد أو تلعن كل من يجرؤ على الاقتراب.

توجه نعمان نحو التمثال بحذر، وهو يعرف أن عين الغسق كانت محمية بطلاسم قديمة، ويجب عليه كسرها قبل الوصول إلى الجوهرة، بدأ يتمتم بتعاويذ قوية، محاولا السيطرة على القوى التي تحيط بالمكان، ومع كل تعويذة، كان التمثال يتشقق شيئًا فشيئًا، حتى انفتح أخيرًا كاشفًا عن جوفٍ صغيرٍ في صدره، تتوسطه عين الغسق، جوهرة حمراء كالجمر، تتوهج وكأنها تنبض بالحياة.

لكن ما إن مدّ نعمان يده نحوها حتى انطلقت أصوات مدوية، وبدأت الجدران تهتز!

كان المكان ينهار، وأصبح على نعمان التحرك بسرعة. أمسك

الجوهرة وأعادها إلى القلادة، واندفع عائدًا نحو الممر الضيق الذي جاء منه. في هذه الأماكن الملعونة، تتوقف قدرته على الاختفاء، فلا بد له من مغادرة المكان مثلما دخل، وإلا شجن في عمق الأرض، ومع كل خطوة، كانت الصخور تتساقط من حوله، والأرض تتصدع، كأنها تحاول حبسه إلى الأبد.

لكن في اللحظة التي شعر فيها نعمان بأن أقدامه بدأت تسابق الوقت، ظهر أمامه كائنٌ مظلم، كان شكله غامضًا، وتنبعث منه هالة من السواد، عيونه تتلألأ كالجمر، وصوته مثل الصدى في كهف:

- أيها الأحمق! لا تظن أنك تستطيع الهروب، الحجر الذي تحمل يخصني، والعودة به إلى مكانه هي السبيل الوحيد لتجنب غضبي.

ابتسم نعمان نحوه وهو يتلو عليه تعويذة قديمة لا يعرفها إلا القليل النادر، جمع شجاعته، ورفع يده في تحدٍ، مُجسدًا قوة السحر التي اكتسبها، بينما كان ينطق الكلمات، انطلقت طاقة زرقاء متلألئة من يده، محاصرة الكائن في دائرة من الضوء.

تجمعت الأمواج السحرية حول الكائن المظلم، الذي بدأ في التململ والاحتجاج، بينما كان نعمان يشعر بقوة التعويذة وهي تتعاظم مسيطرة عليه وهو يقول له بضحكة واثقة:

- أنت لا تستطيع إيقافي أيها الأبله!

ثم رفع صوته معززًا تعويذته بقوة أكبر وفي لحظة حاسمة، دفعه بكلتا يديه مما جعل الكائن يتراجع بضعف، ثم اختفى في دوامة من الظلام.

مع ذلك، لم يكن هناك وقت للراحة، و بسرعة كبيرة أكمل نعمان طريقه عبر الممر الضيق، محاولا تجاوز الصخور المتساقطة، فهو كان يعلم أن عليه الهروب قبل أن تنهار الأرض بأكملها وتبتلعه في عتمتها الأبدية، وعندما اقترب من فوهة المخرج، سمع صوت الصخور وهي تئن تحت وطأة الانهيار، لكنه لم يتوقف، بل زاد من سرعته، مستعدًا للعودة إلى العالم الخارجي، وأخيرًا، وصل نعمان إلى فتحة المخرج وقفز خارجها قبل أن تنغلق عليه، ومع أنفاسه المتسارعة، نظر إلى القلادة، التي أصبحت الآن مكتملة بعين الغسق، وتوجه عائدًا إلى محرابه، مستعدًا لاستغلال كل ما في جعبته من أدوات لتحقيق انتقامه المنتظر، ألقى نعمان نظرة عميقة على كنوزه التي جمعها في لحظة حاسمة، حتى أنه لم يكن يصدق كيف استطاع تجميعها في هذا الوقت الضيق، تلك الكنوز، التي تمثل قوى عتيقة وأسرار السحر المدفونة، كانت تتلألأ أمامه وكأنها تعكس معاناته وصراعه الطويل.

تأمل في كل لحظة ضعف واجهها، في خيبات الأمل التي مر بها، وكيف أن هذا اليوم سيكون بداية النهاية لكل من اعتقدوا أنهم يمكنهم التلاعب به وبكل ما يخصه، كان قلبه ينبض بشغف الانتقام، وعقله ينسج خيوط خطة معقدة، تتألف من خيال عميق ورغبة لا تُقاوم في رؤية عفرين يتعذب أمامه ويرجوه أن يقتله كي يتخلص من عذابه.

أمسك بواحدة من الكنوز، تعويذة قديمة من الحجر الأسود، نقش عليها رموزٌ غامضة، أدرك أنها مفتاح استدعاء القوة التي يحتاجها

لتحقيق أهدافه، كل نبضة في قلبه كانت تضخ الطاقة في عروقه، موحية له بأن المصير في يديه.

»حان الوقت لأسدل الستار عليه«

همس لنفسه بصوت حازم، وعيناه تتطلعان لتلك الأدوات بشغف وكأنها تمثل عهودًا قديمة:

»ستدفع ثمن لمسك بزوجتي غاليًا، أيها الملعون«

رددها وهو يُلقي عليهم نظرة أخيرة مشحونة بالقوة والغضب، قبل أن يختفي في الظلام، بينما كانت ابتسامته المنتصرة تتألق على وجهه، كأنها وعد بالانتقام الذي لا مفر منه.

وفي هدوء الليل، عاد نعمان إلى قصره، يتسلل كأنه طيف بين أروقة القصر الباردة، حيث كانت روهان بانتظاره، شعر بوجودها حتى قبل أن يراها، إذ كانت هالة توهجها الدافئة دائمًا تجذب قلبه في كل مرة يعود فيها، تقدم نحوها مبتسمًا بخفة، ومدّ يده لها قائلًا ودون أن يترك لها فرصة حتى لاستقباله:

- تعالي معي، سأريكِ شيئًا لم يسبق أن رأيناه سويًا.

ترددت للحظة، لقد كان قلبها مشغولا بالأسئلة والحيرة، لكن رغم غضبها وقلقها، لم تستطع مقاومة إغراء فكرته، تركته يحاوطها بذراعيه وهو يُقبل جانب رقبتها برقة جعلتها تذوب بين يديه وهي تغمض عيناها كعادتها حين يستعدان للانتقال، توقف عن تقبيلها وظل يتمتم بتمتماتٍ خافتة لم تفهم منها شيئًا، ولكنها كان تترقب بحماس ما سيحدث بعد ذلك..

رفع شفتيه ناحيه أذنها، فقشعر بدنها وهو يهمس لها:

- افتحي عينيك.

فتحت روهان عينيها لتجد نفسها في مكان يبدو كأنه خارج حدود العالم المعروف لها، كانت الأرض تحت أقدامهما تتوهج برفق، كأنها مغطاة بغبار النجوم، تمتد إلى مالا نهاية تحت سماءٍ مرصعة بنجوم ضخمة تلمع بألوان زاهية كأنها قطع من الماس البراق، الأزهار التي كانت تنبت في المكان لم تكن مجرد نباتات عادية؛ كانت بتلاتها تضيء بألوان تتراوح بين الأزرق النيلي والأرجواني الداكن، وكأنها ترسم بساطا سحريا ينير الظلام من حولهم.

أصوات المياه المنحدرة كانت تتردد في الأفق، كان الصوت يأتي من شلالات رقيقة بلون الكهرمان من بين الصخور، تلتف حول نفسها كأنها لحن موسيقي عذب، يتناغم مع نسمات الهواء الباردة التي تداعب وجهيهما، وكانت أضواء الشلال تنعكس في عيني روهان، تمنحها لمعة ساحرة، فتبدو وكأنها تنظر إلى هذا العالم الساحر بعينين مليئتين بالدهشة والغموض، تراقصت ظلال النجوم على سطح البحيرة القريبة، مشكلة أمواجا خافتة تبدو كأنها تدعوهما للرقص فوق مياهها الهادئة.

لكن وسط هذا السحر الآسر، كان هناك عاصفة تدور في قلب روهان، كانت تتنفس بصعوبة، وشعرت أن جمال هذا المكان لا يستطيع أن يمحو القلق الذي يعتمل بداخلها، نظرت إلى نعمان بعينين حائرتين، وبدأت تتحدث، محاولة أن تخرج ما في داخلها، فصوتها كان متذبذبًا، مزيجًا من الحزن والخوف والغضب المكبوت:

- هل تظن أن اصطحابي لهذا المكان الساحر سيجعلني أطمئن؟!

ضيق عينيه بتعجب لتردف هي بثقة:

- نعمان، لقد تغيرت... أنا أعرفك كما أعرف نفسي، هذا الصمت وهذا البعد يؤلماني، لا أشعر بالأمان، كلما نظرت في عينيك، أشعر أن هناك شيئًا آخر قد بدأ بالسيطرة عليك، كأنك لم تعد هنا معي.

لم ينطق سوى:

- روهان..

كان صوته متحشرجًا بائسًا، لتوقفه سريعًا بسؤال كان الفيصل كي يبوح لها بكل ما في داخله:

- هل ذاك السحر الذي تسعى إليه يستحق أن يفصل روحك عني؟

كانت كلماتها كالسيف يخترق قلبه، لكنها لم تزل كافية لتجعله يبوح بما يدور في أعماقه، شعر بالتشتت يغمره، كان صوته خافتًا، كأن هناك قوى داخلية تتصارع في أعماقه وهو يصارحها:

- روهان، أعلم أن السحر الذي أسعى إليه يغيرني، وأشعر أنه يسحبني بعيدًا، لكن لا أستطيع الاستسلام الآن... هناك شيء مظلم في داخلي لن يرتاح إلا إذا انتقمت من عفرين، هذه هي المعركة التي لا يمكنني تجاهلها، أرجوكِ تفهمي هذا.

بدت الحيرة في عينيها أكثر حدة، كأنها تبحث في كلماته عن شيء يطمئنها، لم يكن هناك مجال للتراجع عن ما يشعر به، لكن في نفس

الوقت، لم يكن يريد أن يخسرها.

أمسكت روهان بيده، كانت أصابعها باردة لكن قبضتها قوية، كأنها تتشبث بما تبقى منه قبل أن يضيع في دوامة السحر والانتقام، لم تفلت عينيها عنه، تتفحص قسمات وجهه وكأنها تحاول اختراق طبقات روحه والوصول إلى ذلك الرجل الذي أحبته منذ البداية، كانت أنفاسها بطيئة وثقيلة، تخشى أن يكون ما ستسمعه منه قد يُسلب آخر بقايا الأمل في قلبها.

قالت بصوت عميق ومشوب بالحزن:

- نعمان، لا أستطيع التظاهر بعد الآن، أنت تتركني وحيدة كل مرة، غارقًا في بحثك عن هذا الانتقام الذي أصبح هوسًا، هل تظن أنني لا أرى كيف تغيرت؟ أصبح السحر مثل سم ينساب في عروقك، يغير نظرتك، يغير كلماتك... حتى قلبك، كأنك تبتعد عني ببطء، تفقد كل ما جعلك نعمان الذي أعرفه وأحبه.

تجمد قلب نعمان إثر كلماتها الثقيلة، يعلم أنها محقة، ورغم أن كلامها يجعله يشعر بغلظة لم يعتد عليه، إلا أنه أيضًا يفتح أعماقه لجروح لم يكن مستعدًا ليرى مدى عمقها، كان يحاول دائمًا إخفاء التغيير الذي يجتاحه عن روهان، محاولًا الحفاظ على صورة الرجل الذي تراه عيونها، لكن الحقيقة كانت أنه بالكاد يستطيع التمسك بذلك الجانب من نفسه.

ارتفع نظره نحو الأفق، حيث كانت النجوم تتلألأ ببراءة على هذا المكان الخيالي، كأنها تراقب صراعه الداخلي، شعر بالتمزق بين جانبيه، بين عاطفته الجياشة نحو روهان ورغبته الشديدة في أخذ

ثأره، ظل صامتًا لبضع لحظات، يحاول إيجاد الكلمات التي تصف ذلك التشابك المعقد من المشاعر المتضاربة التي يعانيها.

قال بصوت خافت، لكنه مليء بالندم:

- روهان، أنا لا أريد أن أفقدك، لكن الظلام بداخلي أكبر مما تظنين، كلما اقتربت من تحقيق هدفي، كلما شعرت بأنني أغوص أكثر في هاوية لا يمكن الفرار منها، أنا أكره ما أفعله، لكنني أشعر بأنني محاصر، وكأن هناك قوة غير مرئية تدفعني إلى الماضي قدمًا دون رجعة.

وضعت روهان يدها على قلبه، محاولة أن تشعره بدفء حبها، على أمل أن يزيح بعضًا من هذا الظلام الذي يلتف حوله، نظرت إليه وعيناها مملوءتان بالدموع، همست بصوت متهدج:

- هل حبك لي لا يزال كما كان؟ أم أن الانتقام قد ملأ مكانه؟ وقف للحظة ينظر إلى وجهها، إلى تلك العيون التي طالما وجد فيها ملاذًا، ودفئًا يبدد أي صراع، لكنه شعر أن هذا الدفء الذي أحبه، والذي كان يومًا ملجأه، قد بدأ ينحسر تحت وطأة شيء آخر داخله، حركت يده نحو كتفها، تلمس شعرها برفق، لكن حركة يده كانت ثقيلة، وكأنها تحمل عبء كل ما يُحاول إخفاءه.

بدأ صوته يخبو، وكلماته تخرج مكسوة بألمٍ عميق:

- روهان... أنتِ لا تحتاجين إجابة على سؤال كهذا، ولكني أريد أن أسألك أنا هل تعتقدين أنني أريد أن أبتعد؟ أشعر أن هذا السحر يستهلك مشاعري، أنني أتحول إلى شيء آخر لا أعرفه.

صمت للحظة وهو يحاول رفض ما تفوه به بكل ما اجتاحه من مشاعر مؤلمة، ليكمل بثقة:

- لكنني، رغم كل شيء، أعود إليك، لأنكِ الشيء الوحيد الذي يربطني بما أنا عليه... بما كنت عليه.

أجابت بنبرة يائسة:

- إذًا توقف عما تفعله.

كانت كلماتها بمثابة المستحيل بعينه، شعرت بهذا على الفور بنظرة واحدة لعمق حدقتيه المظلمة، فأخذت نفسًا عميقًا، وهي تنظر إليه بعينين دامعتين، محاولة أن تخترق هذا الجدار الذي يضعه بينهما:

- لكني أشعر وكأنك تعود لتتركني مجددًا، كأنك تتلاشى من بين يدي شيئًا فشيئًا، لم يعد يكفيني أنك هنا جسدًا، بينما عقلك وقلبك معلقان في مكان آخر، لقد بدأت تعيدني إلى..

لم تستطيع إكمال جملتها وهي تتذكر الوقت الذي ظهرت به هند، فاقتطعت حديثها سريعًا لتتوجه نحو حقيقة لا تريد التفوه بها:

- نعمان، أنا أحبك، وأخشى أن أفقدك ثانية، أن تفقد نفسك في هذا الظلام الذي تسعى له، حينها لن تعود، اقسم لك أنك لن تستطيع العودة.

كلماتها مزقت شيئًا بداخله، لكن عناده، وإصراره على الانتقام من عفرين، كانا يجذبان روحه إلى قاعٍ دامس، كان يعلم أن سعيه لتحقيق الانتقام قد بدأ يغيره، أنه بات يميل إلى استخدام طرق لا تشبهه؛ بدا أن كل يوم يقضيه في التعمق بالسحر الأسود، يطفئ جزءً

من مشاعره الطيبة، لكنه لم يكن قادرًا على التوقف.

رد عليها، وعيناه تنظران إلى البعيد، كأنه يبحث عن شيء يعجز عن لمسه:

- روهان، أنتِ ضوئي الوحيد فيما تسمينه ظلام، حتى وإن كانت طرق الانتقام هذه تغرقني في قاعٍ لا نهاية له، لكنكِ ما زلتِ هناك، في نهاية هذا النفق، أحببتكِ منذ أول لحظة، ولا أستطيع أن أتخيل حياتي بدونك، قد أكون تغيرت، نعم، قد أكون غارقًا في هذا الصراع، لكنني هنا، في هذا المكان، لأنني ما زلت بحاجة إليكِ.

التفتت إلى النجوم، وكأنها تتحدث إليها، بحثا عن أمل يشعل هذا الليل في قلبها، مدت يدها إلى يده، تشابكت أصابعهما بقوة، وكأنها تتمسك به بشدة لئلا تفقده نهائيًا، كانت تعرف أن ما يمر به نعمان ليس سهلا، لكن خوفها من أن يصبح غريبًا عنها كان يأكل قلبها، استسلمت لشفتيه اللتين تبحثان عن طوق نجاة ليتشبث به بكل قوته، ليتعمق في قُبلتها ويداه تضمان جسدها الدافئ لجسده الذي أصبح باردًا كالصقيع، حاوطت وجهه بكفيها وهي تتشبث به أكثر وأكثر..

و بينما كان نعمان وروهان غارقين في لحظتهما الرومانسية، كانت عينان أخريان تراقبان من بعيد، تخترقان حجاب المكان الساحر هذا..

تاج، الجدة العجوز التي لم تهدأ غيرتها منذ أن رأت روهان في هذا العالم الخيالي مع نعمان، شعرت بالغضب يشتعل داخلها كالنار التي

لا تهدأ، كيف تجرؤ روهان على أن تستولي على قلبه بهذه السهولة؟ كيف له أن يُغمر بهذا الوداد بينما تاج بقيت في الظل، تنتظر فرصة العودة واسترجاع سلطتها وعائلتها؟

تمتمت تاج تعاويذها بحقد، مستحضرة كائنًا من أقاسي الظلام، كائنًا نادرًا، تعرفه باسم «فارس الليل»، مخلوق أسود قاتم اللون، جسده يكتسي بدخان كثيف ينبعث منه، كأنه من رحم العتمة نفسها، عيناه تومضان بوهج أحمر ملتهب، وكان يطلق أصواتًا خافتة لكنها مهيبة، تملأ المكان بصدى رهيب، كان جسده أشبه بالسائل، يتحرك بمرونة وسرعة، لكن في الوقت نفسه كان كثيفًا وقادرًا على اختراق المسافات بسرعة لا تُصدق.

انطلق فارس الليل نحو نعمان و روهان، يقترب منهما بخفة شبحية، وقد بدأت ملامحه تُظهر تهديده المميت، شعر نعمان بشيء بارد يقترب، وكأن قوى الظلام انبثقت من تحت الأرض، رفع نظره نحو المخلوق القادم، وعلى الفور أدرك أن هناك من تجرأ على تهديده هو وزوجته!

دفع روهان خلفه بسرعة، وأخذ يتأهب لمواجهة الكائن الظلامي.

بدأت المعركة في الحال، عندما هجم فارس الليل على نعمان بسرعة مدهشة، محاولا تطويقه بجسده الدخاني السميك، لكن نعمان أخرج خاتمًا سحريًا من جيبه ليرتديه على الفور، كان الخاتم يُضيء بضوء أحمر مُشع، لتشق جسد الكائن السحري في محاولة لتمزيقه، كان الضوء الأحمر يلامس جسم فارس الليل، فينبعث منه شررًا من الدخان الأسود، لكن المخلوق كان يتكاثر بشكل غريب، كأنه

لا يتأثر.

ظل نعمان يقاوم بكل قوته، يحاول أن يصد الهجمات التي تتوالى، لكن قوة الكائن كانت هائلة، وكان يتفوق عليه بحجم هائل وسرعة غير عادية.

كان فارس الليل ينقض على نعمان بحركة سريعة، كالسهم الذي يطير في الفضاء، محاولا أن يمسكه بشرايينه الداكنة، لكن نعمان لم يكن مستعدًا للاستسلام، وفي عمق قلبه، كان يغلي من الغضب، تنفس بعمق، مسترجعًا طاقاته السحرية، وأطلق تعويذة تردد صداها في أرجاء المكان، ومع كل كلمة، انطلقت طاقة سحرية من خاتمه، تتلألأ بألوان زاهية مثل ألوان الطيف، لتحيط بهما وتحمي روهان من الخطر الذي يقترب، كأنها درع سحري، كانت تلمع وتحجب الكائن عن الوصول إليهما، لكن فارس الليل لم يتوقف، بل زاد من سرعته، واستدار حول نعمان محاولا اختراق ذلك الدرع السحري.

ارتفعت أصوات المعركة إلى ذروتها، حيث انتشرت رائحة البرق في الأرجاء، وملأت الألوان المتضاربة الهواء بالضوء، بدأ نعمان يركز طاقته، مدركا أن استخدام قوته السحرية لن يكون كافيًا إذا استمر هذا الكائن في تجديد قوته باستمرار هكذا..

»لا مفر!«

همس في نفسه، وبدأ يحضّر تعويذة أكثر قوة، تلك التي كان قد تعلمها في المحراب من أسلافه السحريين.

توجهت عيناه نحو روهان، التي كانت ترقب الصراع بعينين

مليئتين بالخوف، مما زاد من قوته

- روهان، ابتعدي!

صرخ نعمان، وألقى التعويذة بكل ما أوتي من قوة!

فجأة، انبثقت أشعة من النور الساطع من خاتمه، متخذة شكل طيف عملاق، شقّ طريقه إلى قلب فارس الليل، مسببًا له ارتعاشات ملحوظة، ارتبك الكائن للحظات، كأنه يواجه قوة لم يتوقعها، لكن سرعان ما استجمع قوته وبدأ يهاجم من جديد، صرخ نعمان بقوة، مصممًا على عدم الانكسار وهو يصرخ به:

- مت أيها الحقير.

صنع نعمان بخاتمه عدة دوامات خلقت موجة من الطاقة التي جعلت فارس الليل يصرخ بألم، وكأن النور قد اخترق سريانه.

وفجأة، اندلعت قوى الظلام في انفجار، وكأن الكائن كان يعاني من صراع داخلي، حتى بدأ يتراجع، مبرزا ملامح الذعر لأول مرة، استغل نعمان هذا الفرصة، وأطلق تعويذة نهائية، جعلته ينسحب ويترك المكان خاليًا.

وفي لحظة واحدة، انفجر فارس الليل إلى شرارات من الدخان، ورائحة دخانية ثقيلة انطلقت في كل الاتجاهات، بينما انقضت تلك اللحظة، أحس نعمان بموجة من الارتياح، لكن ارتباكه لم يختف بعد، نظر إلى روهان، عينيه مليئتين بالقلق:

- من أرسل هذا الكائن؟ من تجرأ على تهديدنا؟

انهى جملته واحتضن روهان بقوة، شاعرا بأنه لن يدع أي قوة خارجية تهدد هذه اللحظة الثمينة:

- علينا العودة.

قالها قبل أن يمسح الدموع التي كانت تتجمع في عينيها.

وفي لحظة، اختفوا عن الأنظار، عائدين إلى قصرهم، حيث كان نعمان ما زال يراجع تلك التجربة بتركيز شديد واهتمامًا أكبر عازمًا أمره على أن لا يمر الغد قبل أن يعرف من جازف بحياته كي يرسل لهُ هذا اللعين!

وعندما اختفى نعمان و روهان عن الأنظار، كانت تاج تراقب كل شيء من بعيد عبر نشروان، عيناها كانتا تلمعان بحقد وبسمة انتصار خفية، فقد أدركت نقطة ضعف نعمان في السحر، تلك النقطة لم تكن مجرد ضعف عابر، بل كانت جوهر قوة السحر الذي يتدفق فيه، وهي تعرف الآن كيف تستغلها لصالحها.

»المشاعر«

همست في نفسها بصوت مبحوح، »نقطة ضعفك يا ولدي الحبيب هي مشاعرك!« كانت تلك الفكرة كالسهم الذي أصاب قلبها، لقد أدركت أن نعمان، على الرغم من قوته الهائلة، إلا أن مشاعره هي ما يجعله ضعيفًا. حبه لروهان، انشغاله بسلامتها ورفاهيتها، كلها أشياء يمكن استخدامها ضده.

ابتسمت تاج ابتسامة خبيثة، تلمح فيها نواياها المظلمة، »أخيرًا أدركت السبيل إلى السيطرة عليك، يا ولدي العزيز. «قالت جملتها

وهي تنظر إلى قصر الملك الأبيض، كان عزمها واضحًا، وفكرتها أصبحت أكثر وضوحًا، ستستخدم مشاعر نعمان ضدّه، وستجعل من حبه سلاحًا يمكن أن تحطمه به، «سأجعل السحر الذي يسعى إليه نعمان هو ما يقوده إلى حتفه»، أكملت تاج، وهي تبدأ في استحضار قوى جديدة، لتستغل ضعف مشاعره ضدّه، كان لديها خطة، ولأول مرة منذ زمن طويل، شعرت بأن القوة تعود إليها، وأنها ستنتقم من كل الأذى الذي عانته بسبب رغباتها الفاشلة.

استمرت في الابتسام، وهي تخطط للمراحل القادمة، وكأنها لاعب شطرنج محترف يخطط لحركته التالية بدقة متناهية.

كانت تعلم أن المعركة لم تنته، بل إنها بدأت للتو.

***

الفصل السابع

غابة تايجا – كندا

كان الفجر يشرق ببطء في الأفق، محدثًا تحولات ساحرة في الألوان، تجمعت الأشعة الذهبية بين أشجار السرو المرتفعة، وامتلأت الأجواء برائحة الأزهار الربيعية التي تعطر النسيم الخفيف، وفي هذا المكان المنعزل، بعيدًا عن صخب المملكة، كانت الأجواء تنبض بالهدوء والسكون..

وقف ويون على ضفة نهر يجري برفق، ماؤه يلمع تحت أشعة الشمس، وكأن الطبيعة بأسرها تشاركه في حزن قلبه، لم يكن قد مر وقت طويل منذ تلك اللحظات التي استعاد فيها ذكرياته مع سارافيم، والتي كانت تلاحقه كأشباح، كتم مشاعره في أعماقه، بينما كانت الرياح تعصف بأوراق الأشجار، وكأنها تخبره بأن الوقت قد حان لمواجهة الماضي..

- سارافيم...

نادى باسمها بصوت رقيق، مشحون بالعواطف، وكان صدى صوته يختفي في الفضاء الواسع، كل كلمة كانت تحمل ثقل الذكريات، والألم الذي عاشه بسبب الفراق، كان ينتظر أن تعود إليه كظل يخرج من بين الأشجار، كفكرة ترفض الرحيل..

بعد لحظات من الترقب، ظهرت من بين الأشجار، ملامحها خافتة، وعيناها تعكس الألوان التي تحيط بها، استجابت لندائه آتية إلى هذا المكان الهارب من الزمن، حيث لا صراخ ولا صخب، فقط هدوء

الطبيعة الذي يرافق قلبها المضطرب.

- ماذا تريد يا ويون؟

جاءه صوتها كنسمة رقيقة تعبر عن القلق والألم كانت تنظر إليه بنظرة تعكس تضارب مشاعرها المرتابة؛ فبينما كانت ترغب في الاقتراب، كانت تخشى من الأذى الذي قد يأتي منه مرة أخرى.

أجابها وهو يحاول أن يخفف من وطأة اللحظة:

- أريد أن أتحدث إليك.

اقتربت منه خطواتها، لكن كلما اقتربت، كانت المسافات بين قلبيهما تتسع..

- لقد كنت هنا سابقًا، في هذا المكان، أفكر فيك... فينا.

عبر وجهها شعاع من الحزن، وكأنها تستعيد كل اللحظات الجميلة والمريرة التي عاشاها معًا، لتحدثهَ بقلبٍ مكلوم:

- نحن مختلفان الآن، يا ويون، لقد تغيرت كثيرًا، وأنت تغيرت أيضًا.

كانت تحاول أن تتماسك، ولكن دقات قلبها كانت تدق بسرعة، تعبر عن انزعاجها من هذا التوتر.

اقتربت منه أكثر ولكن بحذر وهمست وكأن الكلمات كانت تعبر عن رغبة خفية في استعادة ما فقدوه:

- هل نستطيع أن نفكر في علاقتنا مرة أخرى؟

مشاعره كانت مشوشة، إذ كان لا يزال يحمل شعورًا بالخذلان والغضب بسبب تصرفاتها السابقة، ولكن قلبه يريدها بشدة رغم كل ما حدث، وفي خضم هذه الحرب حاول التمسك بما جاء من أجله:

- أريد مساعدتك، هل تعرفين مكان آرام. - آرام!...

ترددت الكلمة على شفتيها، وكأنها تعيد لها شيئًا مفقودًا، لكنها ترددت في عينيه، مشاعر سلبية تتضارب مع رغبتها في مساعدته، لتستسلم للأمر الواقع مجيبة بحزن:

- لا أعرف.

كانت تريد أن تختفي من أمامه في هذه اللحظة، ولكنها تمسكت باعتذار كان يجب أن تقدمه له مرارًا:

- هل ستسامحني يومًا على ما فعلته بك؟!

كان قلبه ينزف بوضوح، ورغم كل ما حدث، كانت ذكرياتهما تلاحقه، وكأنها تسحب خيوطا من حبال الأمل، فأجابها بنبرة حاول أن تكون هادئة:

- لا أستطيع أن أنكر أنني ما زلت أهتم بكِ، وأنك جزء من كل ما عشته يومًا ولكن..

خيم الصمت بينهما للحظة، بينما كانت الرياح تداعب أشعارهم، وكأنها تتحدث بلغة لا يفهمها سواهما، لتشعر هي بالحنق على تدلِلِهِ الزائد عن الحد رغم ما فعله بها:

- أنا لا أستطيع أن أعود إلى تلك الأيام السعيدة دون أن أحاسبك

على ما فعلته، أنا مجروحة، يا ويون كل ما فعلته معي حاولت تبريره لك، حاولت تجاوزه.. وأنت ما زلت على وجهتك؟!

حاول أن يتحدث فأوقفته ودموعها تتجمع في عينيها، وكأن مشاعرها قد انفجرت كبركان، متحررة من ضغط السنين:

- لقد فكرث كثيرًا ولا أريد أن أكون السبب في جعلك تعاني مرة أخرى، أنت لك كل الحق.

وقبل أن تختفي من أمامه أمسك ذراعها وجذبها إلى جسده وقد انهارت كل حصونه أمامها وهو ينظر لعينيها الحزينتين قائلا:

- لا تغادري.. سأتحمل كل اللوم، سأتحمل كل الألم، لكن لا

تبتعدي عني مجددًا.

كانت كلماته مليئة بالشعور، وكأن كل كلمة كانت تخرج من أعماق قلبه:

- دعيني أساعدك، دعينا نعيد بناء ما تم تدميره.

كان صوته خافتا، لكنها استطاعت أن تري فيه العزم والإصرار، نظرت لحدقتيه السوداء وهي تعيد مشاهدهما معًا وقلبها ينبض بسرعة فائقة وهي تقول له:

- إذا كان هناك أي شيء يمكن أن يجمعنا من جديد، فهو حبنا، دعنا نبدأ من جديد، ولكن هذه المرة لن نسمح لأي شخص أن يتدخل بيننا.

تبادلا نظراتهما العميقة، وشيئًا فشيئًا، كانت المسافة بين قلبيهما

تتلاشى، وفي تلك اللحظة، أدركا أنهما لن يكونا قادرين على تجاهل ما يربطهما مهما كانت الصعوبات، كانت الطبيعة من حولهما تصنع سحرًا خاصًا، وهو يتجسد في إعادة شعلة الحب المفقود..

كان الليل قد أسدل ستائره، وغطت النجوم السماء بسجادة من الأضواء اللامعة، أصبح المكان أكثر رومانسية، حيث امتزجت أصوات الليل مع همسات الطبيعة، كان الهواء العليل يعبق برائحة الأزهار، وكل شيء من حولهما كان يتنفس برومانسية حالمة، لكن في قلب كل منهما كانت عواصف من المشاعر المتضاربة، اقترب ويون من شفتيها ينهل من رحيقها الذي امتنع عنه قصرًا وهو يُعيد ما كان لها بكل شوق..

مر الوقت عليهما وهما في موضعهما، كانت تنام على صدره بينما هو يطوقها بذراعيه، لتتنهد بقوة قائلة:

- ويون، أتعلم؟

ثم بدأت تحدثه بصوت يملأه الحزن:

- لقد عشت أوقاتًا صعبة، وكلما حاولت التفكير في ما فعلته، كنت أرى ظلك يلاحقني، كأنك جزء من عقوبتي.

أبعدها عن صدره ورفع وجهها إليه ويداه ترتعشان قليلًا، كأنه يخشى أن تكون تلك اللحظة هي النهاية:

- لم أستطع أن أنساك، كانت كل لحظة أمضيها بدونك كالعمر بأسره، لقد جعلتني أشعر بالعجز، وكل ما أريده هو مساعدتك.

نظرت إليه بعينين مبللتين بالدموع، وابتسامة ضعيفة تلوح على

شفتيها:

- لكني لست كما كنت يا ويون، لقد تعلمت من أخطائي، لكن الثمن كان باهظا.. أريد أن أكون أقوى، ولكن في نفس

الوقت، أحتاجك، ولكن عائلتك؟!

هز رأسه، مستمعًا إلى كلماتها كأنها قصائد من أعماق الروح ليخبرها:

- إذا كان هناك شيء واحد أستطيع أن أؤكده، فهو أنني أحبك، كل شيء يمكن إصلاحه، وكل ما نحتاج إليه هو الوقت والمثابرة.

ارتعشت سارافيم، وكأن تلك الكلمات قد أعادت لها الأمل المفقود:

- هل تعتقد أننا نستطيع استعادة ما فقدناه؟ هل سيقبل قلبك المكسور أن يفتح أبوابه مرة أخرى؟

- دعينا نحاول، سويًا.

قالها، مع ابتسامة مليئة بالأمل، ليزدف بإصرار:

- كلما كنا معًا، كلما كان العالم أكثر إشراقًا، لا أريد أن أفقدك مرة أخرى.

ومع ذلك، كانت المشاعر المشتتة تلوح في الأفق، كان قلقها من عائلته يسيطر على تفكيرها، لن يصمت ياوي على ما فعله ولده في الرجوع إليها، وماذا عن أخويه؟!

استجمع أفكاره، وأراد أن يطمئنها في ما يدور في عقلها:

- دعينا نكتم خبر عودتنا هذا في الوقت الحالي، وأعدك لن يستطيع أبي ولا شقيقي في التعرض إليكِ.

أخذت نفسا عميقا، وأمت إليه قائلة:

- أنا لا أريد سواك، ولا أخشى أيًا منهم فأنا أثق أنك ستحميني دائمًا.

كان قلبه يشتعل بتلك الكلمات، وكأنها دفعته للأمام، تلاقت أعينهما مرة أخرى، وتحدثت عما لا تستطيع الكلمات التعبير عنه، كانت كل نظرة وكلمة ترسم لوحة من المشاعر التي لم تُروَ بعد..

في تلك اللحظة، اجتاحت الرغبة في العودة إلى الماشي كل منهما، تذكرا اللحظات التي قضياها معًا، والتي كانت مليئة بالضحك والحب، كم كانا متعانقين تحت النجوم، يتبادلان الوعود وينسج كل منهما مستقبلاً مليئًا بالحب.

***

قاعة محكمة الجان الكبرى

في قلب قاعة المحكمة المظلمة، حيث تتنقل الأضواء السحرية برشاقة فوق رؤوس الحضور، كانت ميلاف تجلس بجانب شيث، وتحيط بها كائنات من عالم الجان، وقلوبهم تتراقص بين التوتر والحذر، كان شيث مستعدًا لإلقاء التهم، بينما كانت نظراته تحمل معانٍ خفية، تغذي طموحه في الانتقام.

- أشهد بأن عائلتها، ومن بينهم جدتها توكدا، هم من استغلوا ضعف الناس لمصالحهم الخاصة!

كانت كلماته تتردد في أرجاء القاعة، تتردد كالصدى، مما جعل ميلاف تشعر بقبضة من الألم تشد قلبها.

توكدا، الجدة الكبيرة، كانت خلف القضبان، وجهها مغمور بالانكسار، لكن عينيها تحملان قناعة صلبة:

- أنا لم أكن أريد إلا حماية عائلتي!

صاحت، محاولة الدفاع عن نفسها، بينما كان صوتها يرتفع وسط صمت الحضور.

ميلاف، التي كانت تجلس بجانب شيث، شعرت بجراحها تتفتح مرة أخرى، نظرت إلى جدتها، التي كانت تجسد كل ما تعنيه العائلة، وامتزج الحزن في عينيها مع شعور بالخيانة يترك مرارة في حلقها، هل كانت حقًا خائنة كما نعتتها جدتها؟!

تساءلت في نفسها، بينما كانت مشاعرها المتناقضة تتصارع في قلبها.

شيث، الذي شعر بضعفها، تابع بإصرار وعيناه على الموالين:

- إنهم يسعون خلف الربح على حساب الآخرين، ويستغلون

سذاجة الضعفاء ليزدادوا قوة وشهرة.

كانت كلماته بمثابة الرصاص، تصيب قلب ميلاف، لتجعلها تلتفت إلى عائلتها، حيث كانت جدتها، وأشقاؤها، يتبادلون نظرات اليأس.

»أنا هنا لأحميكم!«

قالت ميلاف في نفسها، محاولة استجماع قوتها، لكن صوتها كان يرتجف، وهي تراقب شيث ينظر إليها بنظرات مشبوهة، وكأنه يتحداها أن تدافع عن عائلتها.

توجهت نظرات الحضور نحو توكدا، الجدة، التي كانت تبدو وكأنها تحمل أعباء العالم على كتفيها:

- لقد فعلت ما كان يتوجب علي فعله من أجل حماية هذا الضريح.

كان صوتها عميقًا، لكن الحزن كان واضحا فيه.

شعرت ميلاف بتوتر الأعصاب في قلبها، فهي لم تعد تعرف أي اتجاه ينبغي أن تسلكه!

»هل سأختار واجبي تجاه عائلتي، أم أن العدالة تستحق أن تسمع؟«

تتلاعب الأفكار في ذهنها، تشعر بوجع الفراق بين مشاعر الحب لعائلتها وبين ما يتوجب عليها فعله، »إذا كنت أؤمن بالعدالة، هل سأكون خائنة لعائلتي؟«

شيث استغل صمتها، ليهمس لها قبل أن يطلب أعضاء المحكمة الاستماع لها علانية:

- ماذا ستفعلين؟ هل ستدافعين عنهم أم ستختارين أن تكوني في صف الحق؟

توقفت ميلاف للحظة، والدموع تملأ عينيها:

- لا أستطيع أن أتركهم.

كان القرار يصطدم بقوة مع ما كانت تؤمن به، لكن حبها لعائلتها جعلها تشعر وكأن قلبها يتقطع.

تجمعت الدموع في عينيها، فأمسك شيث كفها بتفهم وهي تقول له:

- سأدافع عنهم، ولكنني سأكون صادقة، أريد أن أرى العدالة تُحقق،

حتى لو كان ذلك يعني مواجهة عائلتي.

استعدت ميلاف للشهادة وهي تتجنب النظر لجدتها وأخواتها، وفي تلك اللحظة، بدت القاعة وكأنها تجمدت، والأعين تراقب عن كثب، لقد اتخذت القرار، وإن كانت عواطفها ممزقة، فإن قوتها ستظهر في لحظات الحسم.

و مع تصاعد التوتر في القاعة، كان شيث يستعد للانقضاض على الموالين وكأنهم فريسة بين أنيابه، بينما ظلت توكدا، الجدة، تراقب الموقف من وراء القضبان بتحدٍ وكأنها تنتظر شيئًا ما، وبينما كانت الأجواء تتوتر أكثر، ارتفعت يد أحد الحاضرين، شخص غامض ذو ملابس سوداء، ليقطع حديث شيث:

- لحظة واحدة!

كان صوته عميق ومهيب، مما جعل الجميع يتحولون إليه بنظرات مستغربة، كان أحد الحكماء المعروفين في عالم الجان، وهو شخصية لا يُستهان بها، اتسعت حدقتا شيث حين رآه واستمع لقوله:

- لدي أدلة جديدة يجب أن تعرض على المحكمة قبل أن يتم الحكم على هذه العائلة.

تسارعت أنفاس ميلاف، بينما اندلعت همسات بين الحضور.

- ما هذه الأدلة؟

سأل شيث باندفاع، محاولا السيطرة على الموقف.

رد الحكيم، وهو يبتسم بشيء من الغموض:

- لقد حصلت على شهادات من بعض الذين تدعي أنهم قد تم استغلالهم من قِبَل هذه العائلة، لكن ما هو أكثر أهمية، لدي دليل يثبت أن توكدا لم تكن على علم بمخططات الموالين والحرس.

نظرت ميلاف إلى جدتها، بينما ارتسمت الابتسامة على وجه توكدا للحظة، لتسأله ميلاف بتوتر:

- ماذا تقول؟!

استمر الحكيم، وهو يسحب من جيبه مجموعة من الوثائق القديمة:

- هذه الرسائل التي كتبتها توكدا، تثبت أنها كانت تحاول حماية عائلتها من السحرة الآخرين، وأنها لم تكن جزءً من أي مؤامرة.

كان شيث قد شعر بارتباك في موقفه، لكنه لم يتراجع قائلا بثبات محاولا التمسك بكلمته:

- هذا غير صحيح! هذه الوثائق يمكن أن تكون مزورة!

بينما كان الصراع يتصاعد بين شيث والحكيم، تصاعدت المفاجآت من الجانب الآخر، توكدا، وقد بدت أكثر قوة، تجرأت على الوقوف، رغم القيود التي تمنعها:

- هذا ليس كل شيء، أريد أن أتحدث! تساءل شيث بتحدٍ:

- ماذا ستقولين؟

بينما بدأ الحضور في الانتباه إلى تحركات توكدا التي صاحت:

- لقد قمت بمخطط سري لمواجهة السحرة الذين كانوا يهددون ضريح بويا عمر، وهذه العائلة كانت تحاول حمايتي! ثم أردفت وهي تحاول أن تقنع الجميع ببراءتها:

- كنت أعمل بصمت، لأنني كنت أخشى على عائلتي.

ومع ظهور هذه الشهادة المفاجئة، كانت مشاعر ميلاف تتضارب! لم تكن متأكدة مما يجب عليها تصديقه، لكن انبعاث القوة من جدتها أعطاها الأمل للحظة

»هل يمكن أن تكون جدتي محقة؟ والساحرة وما اخبرتني

به!«

بينما كانت توكدا تدافع عن نفسها، قدم المحامي مزيدًا من الأدلة:

- لقد وجدت أيضًا وثائق أخرى تتعلق بعمليات السحر التي نفذها السحرة الآخرين، وكانت جدتها في قلب المعركة، تدافع عن الناس الضعفاء وتحميهم من هجمات السحرة.

استمر التوتر في التصاعد، بينما ظهر شيث وقد فقد السيطرة على

الموقف، ليبتسم قائلا لكن صوته كان قد بدأ يفقد قوته:

- كل هذا مجرد ضجيج!

نظرت ميلاف إلى شيث، ورأت الخوف في عينيه لأول مرة، لتقول من بين أسنانها وهي مُحمله بمشاعرها المتناقضة:

- أنت تعلم أنني أريد فقط أن أساعد عائلتي! أمال رأسه نحوها قائلا:

- لكن يجب أن نعرف الحقيقة!

هنا، بدا شيث مصممًا على وجهة نظره، قررت ميلاف أن تُظهر قوتها بغضب:

- إذا كنت تريد العدالة، فلا يمكننا أن نغض الطرف عن

الحقيقة.

وقفت توكدا، عازمة على إثبات براءتها، وبدأت تتحدث عن الأحداث الماضية بصدقٍ حاولت إظهاره بكل ما تملك من قوة: - لقد حاولت دائمًا حماية عائلتي، وحتى لو كنت مخطئة، فإنني أتحمل المسؤولية. لكن، كان هناك من حاول استخدامنا! في لحظة غير متوقعة، اتجهت الأنظار نحو الحضور، حيث شخصيات غير معروفة بدأت في التقدم، كان هناك كائن غريب ذو ملامح مخيفة، يهمس في آذان بعض الأعضاء، مما جعل الجميع يراقبهم بقلق..

- من هؤلاء؟

تساءل شيث بترقب وهو يستمع لإجابة أحد القضاه:

- هؤلاء الجن هم أتباع السحرة الذين كانت تتحدث عنهم توكدا، وقد جاءوا ليفضحوا أسرار عائلتها، ابتسم شيث وهو يهمس لميلاف:

- أنا لم أكذب احساسي من قبل، فلا تراهني عليه مرة أخرى.

وقف كبيرهم وهو يقول لتوكدا التي ابتلعت لسانها:

- لقد كنا نراقبكم، وأسلوبكم في التلاعب بالضعفاء لن يمر دون عقاب.

فجأة، تجمعت الأجواء في قاعة المحكمة، بينما كانت ميلاف تحاول فهم كل ما يحدث حولها وهي تردد بداخلها

»كل شيء يتعقد أكثر مما كنت أعتقد«

عادت النظرات إلى توكدا، التي بدت وكأنها أصبحت رمزًا للقوة في تلك اللحظة، فجمعت شتات نفسها لتوجه حديثها نحو الجن:

- إذا كنتم هنا لتستغلوا ضعفنا، فأنا أعدكم أنني لن أسمح بذلك.

بينما تجمعت الأحداث، بدأت ميلاف تدرك أنها لم تعد مجرد ضحية، بل أصبحت جزءً من صراع أكبر داخل عائلتها، وأن العدالة قد تتطلب منها أكثر مما كانت تتوقع.

وهكذا، كانت قاعة المحكمة مكانًا للتحديات، حيث تتجلى قوة الحق والباطل، ويُختبر الولاء في أشرس صراعاته..

في تلك الأجواء المتوترة والمشحونة، رفع القاضي بولحرير صوته بوضوح، موجهًا نظراته إلى الجميع:

- بعد مراجعة الأدلة والشهادات، أقرر أن تؤجل الجلسة إلى الغد لحين اتخاذ القرار النهائي.

تسارعت الأنفاس في قاعة المحكمة، وكأن الجميع كان ينتظر تلك اللحظة الحاسمة، كانت ميلاف تشعر وكأن قلبها يتقطع، حيث انقسمت مشاعرها بين عائلتها وبين ما يجب أن تقدّره من عدالة، نظرت إلى توكدا، الجدة التي عانت كثيرًا، وقلقها على مصيرها.

بينما كانت تخرج من القاعة مع شيث، كانت عيناها مملوءتين بالدموع، وقلوب عائلتها تنبض بالألم

»لم أكن أتوقع أن تكون الأمور بهذا التعقيد«

همست، محملة بعبء الاختيار بين ما تعلمه وما تشعر به.. استدار شيث نحوها، وقرأت في عينيه نظرة من التعاطف، لكنه كان يحمل في قلبه مشاعر مختلطة من الفخر والذنب معًا:

- أنا آسف، لكنني هنا كي أساعدكِ. - تساعدني؟

سألت ميلاف، وكانت نبرة صوتها تحمل قلقًا عميقًا وهي تستطرد:

- كيف يمكنك مساعدتي وأنا قد أصبحت جزءً من كل هذا الصراع؟

أخذ شيث نفسًا عميقًا، وكأنه كان يحاول أن يتجاوز كل ما يدور في عقلها:

- أريد أن أريك شيئًا بعيدًا عن كل هذه الفوضي، مد يده نحوها قائلا:

- هناك مكان يمكن أن نجد فيه بعضًا من الهدوء.

رغم كل المشاعر المتوترة، وجدت ميلاف نفسها تعطيه كفها المرتعشة باستسلام، نقلها لمكان مميز بالنسبة له بينما كانت قلوبهما تنبض بشكل متسارع في صمت الجبل الذي هما على قمته، بينما تسلقت مشاعرهما الدرب الوعر الذي كان يقودهما إلى قمة، الهواء هنا كان منعشًا، لكنه لم يكن بوسعه تخفيف العبء الذي كانت تحمله في قلبها...

عندما نظرت ميلاف لما حولها وقف شيث أمامها، وعيناه تتأملان الأفق البعيد:

- هنا، يمكنك أن تكوني أنت، دون أي ضغط، دون أي حكم.

حاولت ميلاف أن تتجاهل جمال المنظر الذي يحيط بها، لكنها لم تستطع إلا أن تعترف بيأس ما زال يحتل نبرة صوتها بينما كان قلبها غارقا في الهموم:

- هذا الموقع مذهل يا شيث، وجماله فوضوي بشكلٍ رائع.

- لكن أليس كما هو حال قلبكِ؟

قال شيث، وابتسامة حزينة تزين وجهه ليُكمل:

- أعرف أنك حزينة، لكننا سنجد طريقة.

تأمل كل منهما الآخر، وشعور عميق من الحيرة والقلق كان يسيطر على الموقف، بينما كانت الأفكار تتخبط في ذهن ميلاف، شعرت بالحنين إلى اللحظات السعيدة التي كانت تجمعها مع عائلتها، لكنها

أيضًا كانت تعي أن عليها تحمل مسؤولية اختياراتها.

اقترب شيث منها أكثر مادا يده بلطف نحو وجهها، محاولا تهدئتها بهمس أذاب الجليد بينهما:

- أستطيع أن أكون هنا من أجلك. ليؤكد لها موقفه دون مواربة:

- لكن عليك أن تعرفي أنني لن أتراجع عن سعيي لتحقيق العدالة.

بينما كانت عواطفهما تتدفق كالنهر، احتاجت ميلاف إلى لحظة لتفكر قبل أن تقول له:

- أريد أن أكون معك يا شيث.

تنهدت وهي لا تستطع التحكم في مشاعرها:

- لكن كيف يمكنني تجاهل ما فعلته عائلتي؟

حاوطها بذراعه وهو يضمها لصدره أكثر وكأنهما في عالم آخر بعيد عن همومهما:

- أنت أقوى مما تتصورين، وأنا هنا لأدعوك لتكوني قوية.

تلاقت أعينهما، وفي تلك اللحظة كانت هناك صلة غير مرئية بينهما، جاذبية لا تقاوم، وببطء، تركت جسدها يرتخي بين ذراعيه وفي لحظةٍ من الشجاعة، منحا أنفسهما الإذن للتمسك بالحب وسط كل هذه الفوضي.

تلامست شفتاهما في قبلة خجولة، لكن سرعان ما تصاعدت،

وانطلقت مشاعرهما دون قيود، كانث ميلاف تشعر بمزيج من الحزن والارتياح، بينما كان شيث يقاربها بلطف، محاولا أن يعيد لها الأمل المفقود.

وببطء شديد، اندمجت مشاعرهما في تلك اللحظة، وتلاشت الحدود بين الحب والواجب، حيث أدركا أنهما يجمعان قوتهما في مواجهة كل ما سيأتي..

وهكذا، ومع غروب الشمس خلف الجبال، كانت قلوبهما تحمل بريق الأمل في عالم معقد، بينما كانت الأشجار تتراقص في النسيم، كأنها تشجعهم على المضي قدمًا، يدًا بيد، نحو مستقبل غير مؤكد.

***

الفصل الثامن

في أعماق المعبد القديم، حيث تتعانق ظلال الزمن مع صدى الألحان البعيدة، وقف نعمان الصغير مغمورًا في غياهب المجهول، هذا المكان لم يكن مجرد جدران وحجارة، بل كان ساحة لاختبار قواه الجديدة، تلك التي تمكنه من استدعاء السحر من أعمق نغمات الموسيقى، مشاعر القوة والفخر تتأجج في قلبه، وهو يمسك بالناي، وكأنه يحمل مفتاح خزانة أسرار الكون.

في تلك اللحظات، كانت تاج تراقب كل حركة له من خلال »نشروان«، القطعة المعدنية السحرية التي منحتها القدرة على مراقبتهم بوضوح، بل والتدخل في واقعهم إذا احتاج الأمر لذلك، كانت عيناها تومض بدهشة وفخر مختلط بقلق عميق، إذ أدركت أن ما سيحدث سيحدد مصير عائلتها، ومع اتساع دائرة التوتر، أرسلت له كائنًا مظلمًا، تحديًا يختبر حدود قوته، مخلوقٌ هائلٌ يطل كالشبح من ظلمات بوابة جهنم.

لكن نعمان الصغير، بفضل ثقته المتزايدة، لم يشعر بالخوف، بل ارتفعت نغماته قوة من أعماق قلبه، حرك أنامله برشاقة على الناي، عازفا لحنا يأخذ النفس بعيدا خُلف أسوار عالمه، يمزج بين الشجاعة والأمل، وكأن كل نغمة تعيد تشكيل الواقع من حوله، ومع كل نغمة كان الوحش يتراجع بخوف، ينهار تحت وطأة القوة الموسيقية، وكأن النغمات تطوقه بأحبال سحرية. لكن نعمان لم يكتفِ بذلك، بل اندفع إلى عمق الإبداع، ليصنع لحنًا يتحول إلى عاصفة من النغمات النابضة، كانت الموسيقى تتجسد حوله كسحابة من الطاقة، تتفاعل

مع قوى الكائن المظلم، في ثنائية تتحدى ما هو مألوف، وبدون إنذار، تجسد وحش عظيم من نغماته، يتكون من ألحانه ككائن حي ينبض بالقوة، يُشع أنوارًا موسيقية تتراقص في كل الاتجاهات. كان تراقبه من خلال »نشروان«، وهي لم تستطع كبح انبهارها، لقد شهدت شيئًا لم يكن في الحسبان؛ حفيدها أصبح يُبدع وحشًا بألحانه، معبرًا عن ذاته بطريقة لم يرَها أحد من قبل. لم يعد نعمان مجرد فتى؛ بل أصبح سحره فريدًا، يمزج بين قوة الموسيقى وروح الإبداع.

كانت نغماته تتسلل إلى أعماق الوحش المظلم، تصدح كعاصفة تعلن حربًا على كل ما هو شرير، ومع الخاتمة المذهلة لنغمته، انطلقت الطاقة التي أطلقها، ليصبح وحشه الصنعي مركز القوة في المعبد، متسلحًا بالألحان والأنغام، في تحول مدهش للقوى.

كانت تنظر إليه تاج بعيون متسعة، تدرك أن حفيدها قد تجاوز كل الحدود المعروفة للسحر، وفي تلك اللحظة، تجسدت لحظة الفخر والفهم العميق؛ نعمان الصغير أصبح حقًا سيد الموسيقى، حاملًا راية جديدة في عالم السحرة جميعهم، وقائدًا لأفكار لا حد لها، بالضبط كما توقعت من أول لحظة وقعت عيناها عليه، لقد علمت منذ أن رأته أن بداخله قوة ليس لها مثيل، وكل ما كان ينتظره لتظهر مجرد تحفيز بسيط، هذا هو الحفيد الذي سيشفع لهم ما فعلوه من مخالفات، ولكنه للأسف لن يشفع لأمه وجدته فقد صدر الحكم النهائي لهم بالإعدام..

***

في غرفة صغيرة تعكس ضوء الشمس الخافت، وقفت روهان الصغيرة على نهاية فراشه الذي كان يجلس عليه يطالع كتابًا، قلبها يتأرجح بين الأمل والقلق، كانت قد قررت زيارة سليمان بعد ما تردد على مسامعها أنه يبحث عنها، لكن لحظة دخولها الغرفة كانت كفيلة بتغيير كل شيء وهي تسأله بصوت يحمل نغمة مختلطة من الشغف والفضول:

- سليمان، لماذا كنت تناديني؟

أزاح الكتاب من على وجهه وهو يبتسم لها لكن ابتسامته كانت غير معتادة، حيث لم تكن تعبر عن الحنان الذي عهدته، ليجيبها بصوتٍ بارد، وكأن هناك جدارًا بينهما:

- ما الذي جاء بكِ إلى هنا، يا روهان؟

في تلك اللحظة، ابتسمت تاج عابثة بسحرها المظلم، لم يكن أحد ليعلم أن الروح التي تسيطر على سليمان الآن ليست روحه الحقيقية، بل كانت تاج قد اجتاحت عقله وأحاطت قلبه بظلال من الغلظة، استخدمت تعويذتها في عتمة الغرفة، حيث خفتت الأنفاس وأصبحت الألوان أكثر قتامة، وأشعلت نيران السحر القاتم حولهما.

حاولت روهان إظهار عواطفها، لكن كلماتها كانت تصطدم بجدار من البرود:

- ماذا بك؟! أنت لم تعد كما كنت! ما الذي يحدث؟

نظر إليها سليمان بعينيه اللتين لم تعد تعكسان الأمل، بل عبوسًا وقسوةً:

- ألم تفهمي بعد؟ لقد تخليتِ عني.

حاولت أن تتماسك وقررت أن تبادر باعتذار بالتأكيد سيتقبله فورًا:

- أنا آسفة.. ولكني هنا الآن لمساعدتك. ضحك بقوة وهو يهزأ بها:

- مساعدة؟

نهض من موضعه وهو يدور حولها مُردفًا:

- هل اعتقدتِ أنني أحتاج إلى مساعدة من شخص مثلك؟ أنتِ مثيرة للشفقة يا روهان، تظنين أن الكون يدور حولكِ، تعتقدين أن قوتك في ذكائك واستخدامك لتعاويذ الشياطين، ولكنكِ أغبى مما كنت أتوقع.

استمر سليمان في استفزازها، بينما تاج تضحك وهي تراقب روهان وهي تتعذب تحت وطأة الكلمات القاسية.

- توقف، رجاءً!

صاحت روهان، وبدأت تتراجع:

- لم أعد أريد الاستماع إلى هذا، لقد كنت أعتقد أنك بحاجة إلى دعم.

- دعم؟ أم أنك كنت تبحثين عن فرصة لتتغلبي على الآخرين كي تثبتي لنفسك الضعيفة أنكِ أقوى من كل أقرانك؟

كانت كلماته كالأشواك، كل واحدة تغرس في قلبها عميقًا، شعرت روهان بدموعها تغزو عينيها فقاومت وهي تسأله بدهشة:

- لماذا تفعل هذا، يا سليمان؟ كنت صديقي، كنت أعتقد إنك صديقي.

لكن في تلك اللحظة، تجلى سحر تاج في أعظم مظاهره، بينما كانت روهان تنسحب، تفجرت فيها مشاعر الندم، كأنها أدركت أنها أعطت الفرصة للأرواح الشريرة لتعبث بقلوب الطاهرين، انسحبت من الغرفة، وكأن كل شيء تبخر، واستدارت لتخرج، مشاعرها تتخبط بين الحزن والغضب وهي تستمع له:

- لا تعودي إلى هنا فأنا من الممكن أن أكون صديق لمن يعلمونك الشحر من الشياطين، ولكني أبدًا لن أكون صديق لأمثالك من المدعين.

كانت تغادر ببطء، حيث لم يكن سليمان كما كانت تعرفه، بل كان مجرد ظل مظلم يختبئ خلف الكلمات القاسية.

كان قلبها يئن تحت وطأة مشاعر متضاربة، الكلمات التي سمعته ينطق بها كانت كالسكاكين، تقطع في عمق روحها. لحظات فقط، كادت أن تتورط في فكرة الانتقام منه وقتله بأبشع الطرق، لكنّ رحمةٍ غريبة عادت بها إلى الواقع.

»لا، لا أستطيع...«

همست لنفسها، بينما تتنازع مشاعر الغضب والندم في صدرها.

تراجعت إلى الوراء، ورغبة القتل كانت تجري في عروقها، ولكن ذلك الشر الذي كاد يستولي عليها، سرعان ما تلاشى، كما لو كانت قادرة على رؤية آثار الفظاعة في عينيها.

شعرت برغبة قوية في الانتقام تتغلب على كل عواطفها، لكن تلك اللحظة من الضعف أثارت داخلها فكرةً مرعبة وهي تردد بقوة:

»لن أرحم أحدًا من البشر بعد الآن.«

عندما عادت إلى القصر، كان إحساس الغرابة يسيطر عليها، كان هناك شيء غير طبيعي يحدث، ملامح القلق كانت على وجهها بينما كانت تبحث عن أخيها نعمان وعلى غير عادتها وجدته أمامها يسألها بقلق:

- ما بكِ يا روهان؟

أشاحت بنظرها عنه سريعًا بصمت في محاولة منها للعثور على تفسير لما كانت تشعر به، ولكنها لم تجد من الكلمات ما يُسعفها، فقررت أن تتجاوز هذا الألم ولو لفترة وجيزة، فأجبته بوجوم وهي تختفي من الردهة:

- لقد عادت أمي، هيا بنا إليها.

وصلت إلى غرفة والدتها، حيث كانت عائلتها الصغيرة تجتمع هناك، لكن شيئًا ما كان ينقص، كان قلبها ينبض بسرعة، وكأنها تشعر بأن هناك شيئًا غير مألوف، وعندما اقتربت من أمها، نظرت جوارها فالتقت أعينها بعيني نعمان الصغير وهو ينظر إليها بغرابة، فرأت أنه يبدو شاحبًا، كأن شيئًا عميقًا يتملكه، فتوقفت خطواتها وهي تسأله بقلق:

- نعمان، هل أنت بخير؟

وبينما كان هناك شعور بالقلق يتعاظم في صدرها، كان هو عابسًا وصامتًا، وعيناه تحملان نظرات غريبة وكأنهما تحكيان قصة لا تريد أن تُقال، ليُجيبها ببطء:

- نعم، أنا بخير.

لكن كلماته كانت باردة وغير مقنعة. لم يكن هناك حرارة في صوته، ولا راحة في ملامحه.

بدأت إيلينا بملاحظة التوتر بينهما، فسألتهما بتعجب:

-ما بكما؟ يبدو أن هناك شيئًا غير عادي بداخلكما!

كان الصمت يسيطر على الغرفة، شعرت روهان بأن قلبها يتجمد، بينما كانت تراقب أخاها الذي بدا مختلفًا تمامًا، لم تعرف ماذا تتوقع، لكن لم يكن لديها الشجاعة للسؤال عن ما حدث.

- كل شيء على ما يرام، يا أمي، لا شيء يدعو للقلق.

أجابتها روهان وهي تقترب منها تقبل يدها بحنو، محاولة تجنب التفوه بأي شيء قد يثير الشكوك، فعل نعمان بالمثل بينما جلست إيلينا بينهما، شعرت بحيرة كبيرة بينهما وهي لا تكذب إحساسها أبدًا تجاههما:

- أشعر أن هناك شيئًا غير طبيعي يحدث بينكما، هل تودان التحدث عن الأمر؟

روهان نظرت إلى نعمان، وكان هناك شيء في عينيه جعلها تشعر بأن هناك سرًا كبيرًا يدور حوله، لكن نعمان لم يكن مستعدًا لمشاركة

ما يجري في داخله، وكأنما كان يحمل عبئًا أكبر من أن يبوح به، كان هناك صراع داخلي بين مشاعره، وشيء يثقل على كاهله.

ليجيب هو أمه بابتسامة غريبة:

- لا يوجد شيء صدقينا، فقط كنا نشتاق إليكِ في قصرنا. في تلك اللحظة، أدركت روهان أن الأوقات الصعبة التي كانوا يواجهونها لم تكن سوى بداية لأزمة أكبر، وأن رحلتهم قد أخذت منعطفًا مظلمًا قد يغير كل شيء، بينما كانت تنظر إلى نعمان، كانت تخشى من المجهول الذي ينتظرهم.

***

وبعدما تركها الاثنان وغادرا كانت تجلس إيلينا على حافة سريرها، في زاوية غرفتها الهادئة، حيث تراقص أشعة الشمس الخجولة عبر الستائر، تنظر إلى الجدران المليئة بالذكريات، ورغم الألوان الزاهية التي تزين الغرفة، إلا أن قلبها كان يثقل بشعور غريب، كان هنالك قلق يتسلل إلى أعماقها، كأنه ظلام يتسرب إلى نور حياتها، مما جعلها تشعر بأن شيئًا غير طبيعي يحدث مع أولادها.

أخذت تنظر إلى الباب، وكأنها تنتظر قدوم يوناس لكن السكون الذي يعم المكان كان يشعرها بالقلق أكثر، كانت تعي أن هناك شيئًا يتغير فيهم، شعور متزايد كان يدفعها للتساؤل:

»هل هما بخير؟ لماذا يبدو عليهما هذا البُعد والضياع؟« و بنبرة قلق واضحة نادت على زوجها:

- يوناس.

كان شعورها تجاهه عميقًا، وكأن قلبيهما يعيشان في تناغم خاص، إذ كان يعرف تمامًا أن هناك شيئًا يزعجها، لتعيد النداء بصوت يكاد يختنق بالقلق، كأنها تتوسل إليه أن يأتي:

- يوناس، تعال هنا!

بعد لحظات، دخل يوناس الغرفة، وعيناه تحملان تعبيرًا مقلقًا، كان يعلم أنها بحاجة إليه، إذ كان شعور القلق يربط بين قلبيهما، كخيط غير مرئي، تساءل وعبر صوته عن اهتمام عميق:

- ما الأمر، يا إيلينا؟ ما الذي حدث؟

نظرت إليه بحيرة، ودموع بدأت تتجمع في عينيها:

- أنا أشعر بشيء غريب، يا يوناس، أعتقد أن شيئًا غير طبيعي يحدث مع نعمان وروهان، لا أعرف كيف أصفه، لكنهما ليسا كما كانا.

اقترب منها، احتضنها برفق، كأنه يحاول أن يخفف من آلام قلبها:

- أنا أيضًا أشعر بذلك، يا إيلينا، كأنهما يعيشان في ظلام، وأنا خائف مما قد يحدث لهما، لذا أتيت إليكِ كي تعودي ولكني لم أكن متأكدا مما شعرت به، لذا كنت أحتاج إلى إحساسك الخاص بهما، ولم أرغب في إخبارك حتى لا أشوش تفكيرك.

توقفت لحظة، وكأن الثقل الذي كان يثقل كاهلها بدأ ينزاح ببطء، ورغم ما تشعر به إلا أن دعم يوناس لما تشعر به جعلها ترتاح قليلا وهي تقول له:

- نحن بحاجة إلى مساعدتهما، قبل أن يفوت الأوان، لا أستطيع أن

أرى أولادي بهذا الغموض ولا أعرف ما الذي يمران به.

ورغم أنه كان يشعر بقلق خفي، كأنه يواجه عدوًا غير مرئي، كانت إيلينا تشعر بالراحة، ولكن لا يزال الشك يساور قلبها، هل ستستطيع إنقاذهما من المجهول؟ كانت بحاجة إلى قوة أكبر من مجرد الحب، قوة لا تأتي إلا من الشجاعة والإيمان. توجهت بنظراتها نحو النافذة، حيث كان الغسق يبدأ في الهبوط، وكأن الليل يحمل في طياته أسرارًا مخيفة، فضمها إلى صدره وهو يشد على يدها، وكأن هذا الالتزام هو الرابط الوحيد بين قلبيهما قائلا:

- أعدك أنني سأفعل كل ما في وسعي لحمايتهما.

في تلك اللحظة، أدركت إيلينا أن الخوف الذي يجتاح قلبها لم يكن مجرد قلق عابر، بل كان إنذارًا، تحذيرًا من شيء مظلم يقترب، لكن مع زوجها إلى جانبها، كانت تشعر بأن هناك أملا في مواجهة هذا الخطر، حتى وإن كان المجهول في انتظارهم.

و في قلب الظلام، تجمعت الطاقة السحرية حول تاج وهي تُراقب حفيدها يوناس عبر »نشروان« كان يوناس يجلس بمفرده في غرفة جانبية بعدما نامت إيلينا، ملامحه كانت تتراقص بين القلق والحنين للسلام، كانت عيناه المغمضتين تتنقل ببطء بين صفحات كتاب »أسرار الجن «الذي يحمله بين جنباته، وهو يتأمل التعويذات التي قد تساعده في فهم ما يحيط بعائلته.

أحست تاج برغبة قوية في اختبار قوة حفيدها، »لعبة صغيرة قد تُظهر لي ما إذا كان يستحق القوة التي يحملها أم لا «

همست وهي تنسج تعويذة معقدة تنبض بالطاقة السلبية، وعبر «نشروان»، بدأ تأثير سحرها يعمل، واندفعت خطواته نحو الباب وكأنه مُساق بإرادة خفية، لكنه لم يكن يدري إلى أين كان متجهًا ولكنه موقن بداخله أنه يُجر نحو مصير لم يختاره...

عندما تخطى عتبة الباب، وجد نفسه في ساحة معركة غريبة، مكان تفوح منه رائحة الغبار وصرير الحديد، الأشجار كانت ميتة، والأرض مليئة بالخرائب، كأن الزمن قد توقف هنا، وشعور بالخطر كان يملأ الأجواء، ولكن مع ذلك، كانت قوة كتابه «أسرار الجن» تجري في دمه، فتحت له آفاقًا جديدة.

كانت تراقبه من مكانها تشعر بالبهجة وهي ترى حفيدها في تلك الساحة القاسية، لتمتم وهي تعبث بيدها: «أريد أن أرى ما يمكنك فعله، يا يوناس.»

ثم تابعت بصمت بينما كانت تنسج سحرًا آخر، يُظهر له مشاهد من الصراع الدائم بين الخير والشر، كلما زاد توتر المكان، زادت سعادة تاج، وكأنها تتذوق طعم الانتصار قبل أن يبدأ.

وبينما كانت المشاهد تتكشف، بدأت تحديات جديدة تظهر أمام يوناس، كائنات الظلال كانت تتجلى واحدة تلو الأخرى، كأنها تنبض من أعماق الظلام لكن كلما واجه كائنًا منهم، كانت التعويذات تتجلى أمامه في الكتاب، وكأنها تعكس طاقته بينما رفع يده في ثقة.

مشيرا إلى أحد الكائنات التي تهاجم، لتندفع نسمات سحرية من يده وتتحول إلى طائر صغير ينقض على الكائن ويبتلعه في ضباب أسود، لكن تاج لم تكن لتسمح له بالراحة، أرسلت كائنًا آخر إلى

الساحة، كائنًا أكثر وحشية، يتطلب قوة وإرادة أكبر.

«لا تظن أنك ستنجو بهذه السهولة!»

صاحت تاج في قلبها، وهي تراقب الصراع عن كثب، لكن يوناس، الذي تملكته قوة الإصرار، لم يتراجع وفي صمتٍ تام استمر في مواجهة التحديات، وهو يشعر بتلك القوة تتجلى أمامه، فكلما تخلص من كائن، جاءه الآخر، لكنه كان مستعدًا، أخرج سيفًا من ضبابه السحري، وانطلق نحو كائن الظلام، مختلطا بين الشجاعة والحنكة.

ومع كل كائن يختفي، كان يوناس يزداد قوة، وكان الكتاب يفتح أمامه المزيد من التعويذات التي يحتاجها في اللحظة المناسبة، كان يسير نحو انتصاره بينما تاج بدأت تشعر بخوفٍ يلتف حول قلبها، وهي تتسأل بقلق..

«هل سيكون قادرًا على هزيمتي؟»

بينما كانت تتلاعب بالسحر من بعيد، أدركت أن حفيدها قد أصبح خصمًا يستحق الاحترام، لكن في النهاية، كانت تحدياته لا تزال بعيدة عن الانتهاء..

«هذه اللعبة لم تنته بعد، يوناس»

همست، وهي تخطط لأفكار جديدة، تاركة له فرصة لإثبات قوته في عالم مليء بالشرور.

***

الفصل التاسع

في جوف الصحراء التركمانية، عند بوابة الجحيم المشتعلة التي تعرف بـ»باب جهنم«، انعكست ألسنة اللهب على رمال الأرض، تضيء وجه آرام المتعب والخائف، كان يركض بلا هوادة، يشعر بحرارة النار تكاد تلامس جسده من شدة قربه منها، وكأنها تنوي ابتلاعه في لحظة غافلة، كلما اقترب من الحافة، ازدادت أنفاسه توترًا وارتجفت أطرافه مع تصاعد لهبٍ جديد، هاربًا من الكوابيس التي تطارده، أدرك أنه لن ينجو إلا إذا وجد نعمان، الرجل الوحيد الذي يحمل مفاتيح الفِهم والخلاص، وقادر على إنقاذه من الهلاك الذي أحاط به من كل جانب.

أثناء هروبه قرب »باب جهنم«، كانت ألسنة اللهب المتراقصة تضئ المكان وتكشف عن ظلال مخيفة تتراقص معه، شعر آرام بنبضات قلبه تتسارع، ليس فقط بسبب الجري، بل لأن شعورًا غامضًا كان يسيطر على نفسه، خوف عميق كأنه يُسحب إلىَ مصَير مظلم مجهول، لم يكن يعرف ماضيه بالكامل؛ فقد فقد الكثير من ذكرياته، ولم يتذكر شيئا عن والده، كل ما يعيه هو هذا الشعور العميق في قلبه، ذاك النداء الداخلي الذي يدفعه للاستمرار في البحث.

مر عبر أشجار الغابة التي تكاد تكون شاهدة على رحلته، والأرض تحت قدميه تحكي صراعه بين رغبته في الهرب وبين عطشه للإجابات، تردد في ذهنه صوت نعمان، الذي لطالما سمع عنه قصصًا من الغموض والقوة، همس لنفسه وهو يجول بنظره في الأفق، »إذا كنت تبحث عن الأجوبة، عليك أن تجدني«. كلمات نعمان كانت

كضوء خافت وسط الظلام الحالك.

تجول بين الأشجار التي تتكاثف حوله، يحاول أن يقنع نفسه بأن تلك الأصوات المخيفة حوله ليست إلا صدى لخطواته، لكن فكرة العثور على نعمان كانت تعيده للتركيز، تُشعره أن هناك من سينير له الطريق ولو قليلًا، »أين أنت، يا نعمان؟ كيف أعثر عليك« همس آرام بيأس، مستحضرًا ذكرى المملكة حين رآه هناك للمرة الأولى قبل أن تُخبره سارافيم أنه والده الحقيقي..

وبينما كان يبحث بلا هوادة، أخيرًا لمح نورًا صغيرًا يتلألأ بعيدًا، كأنه وميض يلوح له وسط الصحراء المعتمة، اقترب بخطواتٍ حذرة، تتأرجح بين الخوف والأمل، حتى وصل إلى المخبأ الخاص به في صحراء- داناكيل، ذلك المكان الذي كان أشبه بملاذٍ له في أيامٍ خلت، وعند وصوله، دلف لأراديل وجلس داخل عالمه ينظر إليه بشرود وهو يُغمض عينيه مناديًا، حتى وجد نعمان واقفًا، تحيط به هالة من السكون، وملامح وجهه تفيض بالتفكير العميق، وكأن روحه تبحث عن معنى أعمق.

- بني نعمان!

صاح آرام بصوتٍ مشوبٍ بالارتياح والرهبة، وكأن لقاءه كان طوق النجاة لروحه المتعبة. أقبل عليه بني نعمان بنظرةٍ تعكس القلق، وقال بسرعة:

- آرام؟! ماذا تفعل هنا؟ أجابه آرام، لاهثا بصعوبة:

- هذا هو عالمي الذي صنعته لنفسي، وكنت أبحث عنك!

أحس أن الكلمات تنساب من فمه بقلقٍ شديد:

- أشعر أني محاصر في دوامة مظلمة، ولا أعرف شيئا عن والداي، ولا أفهم ما يحدث لي، كل ما أعرفه أنني بحاجة إليك، لا أستطيع الاستمرار بمفردي.

تردد لحظة قبل أن يقول له بتردد:

- لقد أخبرتني سارافيم أنك أبي وأمي هي أمها، أنا لا أصدق هذا الكلام، وأشعر أنني بحاجة لمعرفة الحقيقة الآن.

نظر نعمان إليه بتعبيرٍ عميق من الحيرة والاهتمام، واستدار ببطء، وكأنه يقيس حجم ما يقوله آرام:

- لقد سمعت نفس الشيء، ولكن ما الذي حدث لك؟ ولماذا تركت كل شيء خلفك واختفيت؟

ارتعش صوت آرام وهو يقف أمامه بحدقتين تدوران بتيهٍ:

- كل شيء يبدو ككابوس لا ينتهي، أحتاج أن أفهم، أن أعرف من أنا حقًا، هل يمكنك مساعدتي في اكتشاف الحقيقة؟

ساد بينهما صمت قصير، لكنه كان ثقيلا ومشحونا بآلاف المعاني، شعر نعمان بعمق الصراعات التي يمزق بها اليأس قلب آرام، ورغم أنه لا يملك كل الأجوبة حتى الآن، شعر بأن عليه مساعدته ومساعدة نفسه في معرفة الحقيقة، كأن صوتًا داخليًا يحثه على عدم تركه، ولكن هناك شعورًا آخر بالحقد يجره لكونه ابن عفرين، وحينها لا يعرف حقًا ما الذي سيفعلهُ به، حاول التمسك ببعضٍ من العقلانية و قال له بجدية:

- حسنا، إذا كنت عازما على ذلك، دعنا نبدأ، لكن عليك أن تكون مستعدًا لمواجهة كل ما سيظهر أمامك، مهما كان مرعبًا.

رفع آرام رأسه ونظر إلى نعمان بثقة رغم اضطرابه:

- كل ما أريده هو الحقيقة، هل يمكنني حقًا أن أجد إجابات في هذا العالم المظلم؟

ابتسم نعمان بخفةٍ وقال:

- سنجد الطريق معًا، لكن عليكأن تدرك أن رحلتنا ستكشف لنا أمورًا قد لا نكون جاهزين لها، أمورًا قد تغيّر كل شيء.

شعر آرام بالطمأنينة تسري في قلبه أخيرًا، ومع كل نفس يأخذه شعر بأنه مستعد للمشي قدمًا، ولو في طريق محفوف بالمخاطر، نظر إلى نعمان، وأحس بأن هذه اللحظة هي بداية لنهاية مخاوفه..

وقف نعمان في قلب الغابات المظلمة في أراديل، التي كانت تعبر بشكلٍ دقيق عما يدور داخل آرام، أوراقها الشاحبة تتساقط كأرواح شبحية، يتسرب من بين أغصانها ضوء القمر الخافت، كان قلبه يخفق بشدة، ليس بسبب الخوف من المجهول، بل بسبب ما يختلج في صدره من مشاعر متناقضة تجاه الشاب الذي يقف أمامه، بينما آرام كان يراقب تصرفاته، فكل حركة تصدر عنه تثير في نفسه تساؤلات متلاحقة، وكأن الروح التي ترفرف حوله تهمس له بأن هناك خيطا غير مرئي يجمع بينهما.

- أشعر أنني أدور في متاهة قاتمة لدرجة أنني لا أرى بها أي ضوء حتى ولو ضعيف.

كانت الكلمات صادرة من فم آرام كالرصاصة، تخترق سكون الليل. عيناه اللامعتان تعكسان لهفة للمعرفة، ونبرة صوته تحمل وزنًا من الألم والمراوغة.

استدار نعمان نحوه، وقلباهما يحاكيان لحظات الفراق، ورغبة مكبوتة في الاعتراف.

- وماذا عن سارافيم؟

سأل ببطء، لكنه لم يستطع إخفاء مشاعر الاضطراب التي كانت تتسلل إلى كلماته:

- لماذا لا تصدقها؟

جاء رد آرام عاطفيًا، مليئًا بالقلق:

- لأنني أشعر أنني جزء من شيء أكبر، وأن ياوي هو الوحيد الذي يمكن أن يعرف الحقيقة!

تنهد نعمان، وعقله يحتدم بالتساؤلات:

هل يمكن أن يكون هذا الشاب هو ابنه الضائع بالفعل؟! أم هل ستكون نتيجة البحث الذي يخشاه منذ أن عرف بوجوده ستكون ضد الجميع؟

تمتم نعمان، محاولا تقبل الفكرة:

- ياوي، هو المفتاح ولكن هل أنت مستعد للذهاب إليه؟

- نعم، ليس لدي خيار آخر.

كان قرار آرام حازمًا، رغم القلق الذي يعتريه، فصمت نعمان لحظة، تفكر فيما سيجلبه لهما هذا اللقاء، كأن الطقس نفسه يشهد على القرارات المتخذة، فظهرت غيومٌ تلوح في الأفق كأرواح محتجزة.

- حسنًا، لنذهب، ولكن يجب أن نكون حذرين.

قالها نعمان، وقد امتلأ قلبه بمزيج من الخوف والأمل، كان يدرك أن كل خطوة قد تقربه من الحقيقة، لكنها قد تكون أيضًا بداية لنهاية يخشاها بشدة.

انتقل الأثنان على الفور لمكان المملكة، وقررا أن يسيرا المسافة الباقية حتى لا يلفت ظهورهما المفاجئ أحد الحرس، وفي الطريق إلى مملكة الأرضيينٓ، كان نعمان يسير بجانب آرام، وشعوره بأن هناك خيطا رفيعا يربط بينهما كان يتضاعف بشكلٍ مُقلق، كان يستشعر في كل نظرة من آرام شغفًا، ولعنة، ورغبة في الانتماء، لكن السؤال الذي حيره: هل هو في الحقيقة ابنه، أم أنه مجرد إحساس خاطئ يزرعه عقله؟

ومع كل خطوة، كان الخوف يتسلل إلى قلبه، لكنه تمالك نفسه، محاولا إخفاء المشاعر المتلاطمة، كان على وشك أن يواجه ياوي، لكن حتى تلك اللحظة، لم يكن يدرك بعد عمق ما يجري في دواخله.

أخيرًا، اقتربوا من مملكة الأرضيين، ودق قلب نعمان بشكل أسرع، وهو يتساءل عما قد يكشفه ياوي من أسرار، وما إذا كانت هذه الأسرار ستغير مجرى حياتهم إلى الأبد أم أن هناك أسرارًا أخرى ستهوي بهم جميعًا؟

***

في ظلامٍ مُطبق يحيط به الصمت الثقيل، كانت روهان تسير ببطء بين متاهات الأنفاق السرية، عيناها تتلألآن بتصميم جامح، وقلبها يشتعل بغضبٍ مكتوم، خطواتها تدوي على الأرض الصخرية، وصدى أقدامها يعكس إحساسها بالوحدة التي تحيط بها من كل اتجاه، هي تعلم أن الطريق أمامها ليس سهلًا، لكنها اعتادت مواجهة الظلام وحدها منذ أن خذلها كل من حولها، بما فيهم هذا المسمى سليمان، الذي وقف يومًا أمامها يعاملها بقسوة وإذلال.

وقفت روهان أخيرًا أمام ممر مظلم تتخلله رموز منحوتة على الجدران، تلمع بلون أحمر كاللهب الخافت، أمّامها، في نهاية الممر، وقف كيان ذو هيبة مرعبة، يمتد ظله ليغمر المكان بهالة من الرهبة، كان هو «قيس المحارب»، أحد أعتى الشياطين المعروفة بقدراتها الهائلة وقسوتها الشديدة، نظراته الحادة اخترقت المسافة بينها وبينه وكأنها تسبر أغوار روحها المضطربة، فتوقفت في مكانها وكأنما استقرت داخل شبكته.

تقدمت روهان نحوه بخطوات ثابتة، رغم أن قلبها ينبض بشدة وهي تواجهه للمرة الأولى، قالت بصوت مليء بالحدة والعزم:

- قيس المحارب، لقد جئت إليك لأتعلم ما أحتاجه للانتقام. ابتسم قيس بابتسامة باردة، مشوبة بسخرية قاتلة، ثم قال بنبرة خافتة لكن مثقلة بالوعيد:

- القوة ليست ألعوبة، ولا تُمنح إلا بثمن باهظ، هل تظنين أنني سأساعدك بدون مقابل؟ أنتِ ستدفعين، وستدفعين غاليًا، لأجل كل

تعويذة وقوة تحصلين عليها.

نظرت روهان إليه بعينين ملتهبتين، دون تردد، أجابت بشجاعة:

- أنا مستعدة. سأدفع أي ثمن لأسترد ما شلب مني وأعيد لكل من استهان بي الألم مضاعفًا.

أومأ قيس برأسه ثم اقترب منها، ممددًا يده ليضعها على جبينها، إذ شعرت بنار مشتعلة تغزو عقلها وتفتح أمامها أبواب السحر المظلم؛ كلمات وتعاويذ لم يسبق لها أن سمعتها من قبل، تهمس في أذنيها كأصوات أرواحٍ معذبة، وبدأت تستشعر موجات من القوة تنساب إلى جسدها، تغذي كل خلية وتدفعها للتوق إلى الانتقام.

لم تكن تعلم أن والدها، يوناس، قد تتبع أثرها إلى هذا المكان، حيث وقف مختبئًا في الظلال، يراقبها بعينين ملؤهما القلق والخوف، كان يرى التغيير الذي حل بروحها وهي تنغمس أكثر وأكثر في تعلم فنون السحر الأسود، قلبه ينقبض وهو يعرف مدى خطورة الطريق الذي اختارته ابنته، ويتحسر في صمتٍ، عاجزًا عن منعها من الخوض في غمار هذا العالم الذي لا يخرج منه أحدٌ إلا وقد فقد جزءً من نفسه.

»روهان، ابنتي... لا تضيعي في هذا الظلام«

همس لنفسه بصوتٍ مبحوح، يتمنى أن يجد فرصة للحديث معها، ليعيدها من حافة الهاوية قبل أن تنغمس في الشر الذي بات يشوه روحها.

لكن روهان كانت مستسلمة لتعلم كل تعويذة تفتح أمامها بابًا إلى

قوى غامضة، وكلما تقدمت خطوةً في هذا الطريق، شعرت بقوة لم تعهدها من قبل، وتحت تأثير السحر، أخذت ترى صورًا مشوشة عن عالمٍ آخر، عن أشخاصٍ غريبين يخضعون لها، تتملكهم بلا رحمة، لكن شيئا ما بداخلها يصرخ، يحاول كبح جماح هذا الغضب الذي بدأ يسيطر على كل حواسها.

وبينما كانت روهان تغوص أعمق في ظلام السحر، شعرت بيدٍ باردة تمسك بكتفها، ليست يد قيس المحارب، بل يد أخرى، خفية وقوية كأنها تسحبها من أعماق أفكارها، حاولت أن تستدير، لكنها كانت مشلولة تمامًا، عاجزة عن الحركة أو التراجع.

ابتسم قيس، وكأن هذا كله جزء من خطته، ثم همس بصوتٍ ثقيل:

لقد أخبرتكِ أن هناك ثمن لكل ما طلبته، روهان... ولقد بدأ السداد.

عيناها اتسعتا بصدمة حين بدأت ترى أطياف أرواحٍ معذبة تلتف حولها، تحوم في ظلال المكان، تهتف بأصوات محطمة ووجوهٍ مشوهة، كان بينها طيف مألوف، يشبه والدها يوناس، الذي كان يحاول الاقتراب منها من خلف ستار الظلام، لكن شيئًا ما منعه، وكأن قوة خفية تفصل بينهما.

صرخت روهان، محاصرة بين شغف الشر وخوفٍ جديد يتسلل إلى قلبها:

- أبي! هل هذا أنت؟

لكنه لم يرد، اكتفى بالنظر إليها نظرة مليئة بالندم والأسي، وكأنما يدعوها أن تهرب قبل أن تغرق في مستنقع الظلام، ومع آخر نظرة

منه، بدأت روهان تشعر بألمٍ غريب، وكأن قواها تسحب منها، وكأن الظلام ذاته بدأ يبتلعها.

همس قيس بنبرةٍ باردة:

- قراراتكِ يا روهان قد لا تترك لكِ طريقا للعودة... والسؤال الآن: هل ستكملين، أم ستضيعين إلى الأبد؟

وفي اللحظة التي استجمعت فيها شجاعتها للرد، انطفأت الأنوار فجأة، وغمر المكان صمتٌ قاتم..

***

ترك يوناس ابنته تختار طريقها الذي تريد أن تسير فيه الآن، وتسلل بخطوات حذرة خلف نعمان الصغير، يتعقب أثره بقلق خفي ورهبة صامتة، عبر ممرات الكهوف السوداء، حيث كانت الجدران المتشققة تتلوى كأنها تشارك في طقوس قديمة، ومن فوقه تلوح الهوابط المسننة كأنها أنياب مخلوقات تنتظر فرصة الانقضاض، كان قلبه مُثقلًا، وعقله يغرق في أسئلة غامضة، كأن إحساسًا داخليًا ينذره بأن نعمان يسلك طريقًا خطيرًا هو الآخر، حيث السحر المظلم ينبض بين الصخور ويختبئ في أعماق هذا العالم السرمدي.

اقترب يوناس بخطوات مترددة، حتى توقف مصعوقًا أمام مشهد أسكت أنفاسه، كان نعمان يقف في ساحة مفتوحة داخل الكهف، ضوء شحيح من شقوق السقف يلقي بظلال متراقصة من حوله، وكأنها تنبض بروح غامضة، بينما نعمان يمسك بنايه، يعزف ألحانًا كأنها أناشيد من عصور منسية، تتردد بين الصخور المحيطة، تدعو

الأرواح من عتمة الكهوف للخروج.

ظهرت الأرواح تدريجيًا من الزوايا المظلمة؛ الجن والشياطين وحتى أرواح البشر الضائعة في الظلام، تتجمع حوله، تتراقص في رهبة واستسلام أمام نغماته، بينما يملأ عيونها بريق الانبهار ممزوجًا برعب خفي، كأنهم يعرفون أن هذه الألحان قد تكون بوابتهم إلى سحر مُهلك.

اختبأ يوناس في الظلال المتراقصة، متسمرًا وهو يرى ابنه وقد تحول لعازفٍ يسيطر على أرواح العالم السفلي، بقوة سحرية تجعله كائنًا فوق كل المخلوقات، وكأن نور الشقوق يضيء وجه ولده الصغير، فيكشف عن عزمه الجريء وطموح لا يعرف الخوف.

»ما الذي يحدث هنا؟«

همس يوناس، وعيناه لا تستطيعان مفارقة هذا المشهد العجيب، كان عاجزًا لم يكن بمقدوره الابتعاد، بينما تتماوج ألحان الناي في الفضاء المظْلم، ترغم الأرواح على الرقص حوله وكأنها مستسلمة، تبحث عن الخلاص في سحره، ومع هذا، بدأ قلبه يضيق برهبة تتصاعد، تنذر بعواقب تفوق الخيال.

»هل يدرك نعمان حقًا ما الذي يفُتح عليه هنا؟« تساءل بينه وبين نفسه.

توقف الزمن للحظات، حتى بدأت الأرواح بالتلاشي، وأصوات الناي تخفت شيئًا فشيئًا، أدرك يوناس أن عليه المغادرة قبل أن ينتبه نعمان لوجوده، فهمس لنفسه بخفوت..

«يجب ألا أكون هنا»

ابتعد ببطء، قلبه يموج بين مشاعر الفخر والخوف عليه «عليّ أن أحميه»

فكر، وقد قرر أن يكون في الظل، يحرس خطوات ابنه من بعيد، ليحفظه من ظلمات السحر التي تتربص به.

توارى في أعماق الكهف، فيما بقي نعمان، لا يدرك عينين ترقبه بقلق، تتوسلان أن تعود خطاه بعيدًا عن هاوية الظلام المتربص به، بينما وقف يوناس في المنتصف بين ولديه وقد توقف عقله عن العمل، ولا يجد مخرجًا الآن سوى أبيه.

***



الفصل العاشر

انتهت صلاة العشاء وبدأ الصمت يخيم على محكمة الجان الكبرى، تلتفُ الأنظار نحو المنصة العالية حيث يجلس القاضي، بهيبته التي تفرض الرهبة في قلب كل حاضر، حتى الأرواح الخفية، وبجواره يجلس الثلاث رتبات من الجن الموقرين بصمتٍ تاركين بولحرير يُطلق حكمه الأخير..

كانت توكدا وعائلتها يقفون مقيدين وسط القاعة، وجوههم تغطيها طبقات من الأسي والتعب، وميلاف تراقبهم من زاوية، قلبها يعتصر بين مشاعر الندم والغضب.

وقف القاضي بعد لحظات من الصمت، صوته كان كحد السيف، قويًا وواضحًا، عندما أعلن:

- توكدا وعائلتها من الإنس، حُكم عليكم بالسجن في سجون الجن الكبرى، حيث لن تروا النور ولا تسمعوا سوى أصداء أفعالكم، أما حرّاس الضريح من الجن، فمصيرهم الإعدام، عقوبة على ضلالهم واستغلالهم للقوى السحرية في أذى الأرواح البريئة، وأخيرًا، يُغلق ضريح بويا عمر نهائيًا، لفترة ستُحددها فيما بعد، على أن تظل المحكمة تُقام كل ليلة لتتابع أعمالها مع النواقم من الجن.

تأمل الجميع في الصدمة، وأصوات همسات متفرقة تتخلل الهدوء، وكأنها صفير الرياح في قاعة مهيبة، نظرت توكدا إلى القاسي بعينين شاحبتين، وقد بدا الزمن يثقل على ملامحها، بينما أبناؤها يلقون نظرات متحسرة على ميلاف، التي تشعر بثقل الخطايا وكأنها

على أكتافها، تلك اللحظة كانت كالسيف القاطع، تمزق بين التمسك بالعدالة والوجع العائلي.

عندما التفتت ميلاف نحو شيث، كان يقف هناك، متأملا بصمت، نظرة غامضة تعلو وجهه؛ شيء ما في عمق عينيه أثار شكوكا خافتة في قلبها؛

هل كان فعلا يقف بجانبها بصدق، أم أن هناك أجندة خفية، غرضًا ما يخبئه وراء دعمه الظاهر؟ همسات قلبها كانت تتساءل، تتراقص بداخلها مثل ظل لا يختفي.

حاولت إقناع نفسها أن شيث معها، أن حبهما يكفي ليجمعهما ضد العوائق، لكنها لم تستطع إنكار ذاك الشعور المندس في خفقات قلبها المضطربة، ذاك القلق الذي بدأ يتسرب إلى عقلها مثل الشم الزعاف، يحفر عميقًا بين أفكارها ويجعلها تتساءل عن نوايا شيث الحقيقية.

خيم السكون مجددًا على المحكمة، وأخذ الجن والإنس ينسحبون ببطء، تاركين توكدا وعائلتها في مواجهة المصير وحدهم، شعرت ميلاف بثقل العالم كله يسقط على كاهلها، كأن كل جريمة، كل صرخة مكلومة، تلاحقها إلى الأبد.

وفي تلك اللحظة، ومع اقتراب شيث منها ليهمس لها: - هيا بنا من هُنا.

حاولت أن تجد في ملامحه ما يبدد شكوكها، لكن ابتسامته الهادئة، ونظرته العميقة، زادت من ارتيابها، وكأن شيئًا في قلبه يظل مغلقًا، مستترًا خلف تلك الطمأنينة التي يُظهرها.. تسمرت ميلاف بين

طيات الصمت، تراقب مشاعرها المتأججة، وكأنها تلتهمها بنار القرار الذي بدأ يشتعل في داخلها، تنظر لجدتها التي يسحبها الموالين نحو السجن تارة، وتتأمل وجه أخيها وعائلتها الذي أصبح شاحبًا كالأموات وكأنهم يساقون إلى مقابرهم..

و أخيرًا رفعت عينيها نحو شيث، وهمست بصوت يقطر ثباتًا وصدى من الحكمة المكتومة:

- أعدني إلى بيتي، فقد آن لي أن أكون في رحاب ذاك الصمت العتيق، أريد أن أظل بمفردي.

كان طلبها واضحًا فاكتفى شيث بنظرة طويلة، غامضة، تملؤها ألفاظ غير منطوقة ودهشة محجوبة، ثم أومأ برأسه موافقًا، وكأنما فهم مغزى القرار دون أن تتبره كلماته، وفي طريق انتقالها لم تتبادل معه سوى النظرات العابرة، عيناها تحملان إصرارًا مستترًا بظلال العزم، وقلبها ينبض بخطة بدأت تتشكل كأنها طيف يتربص بقرارها..

وما إن وصلت إلى بيت عائلتها القديم، تقدمت بخطوات واثقة نحو المكتبة الغارقة في غبار الذكريات والنسيان، تلك التي كان جدها يحرس أسرارها، والتي لطالما حذروها من دنوها، حتى غدا اسمها في ذاكرتها محفوفا بالرعب والأساطير، وقفت أمام بابها، مدت يدها لتفتحه، وكأنها تفتح بوابة لعالم آخر، عالم يمتزج فيه النور بالعتمة، والأسرار بالألغاز.

أخذت عيناها تبحثان عن حجر الأمان، ذاك الذي كانت الحكايات تدور حوله همسًا، مشبعة برعب خامد، يتخفى خلف الأساطير،

امتدت يديها المرتجفتان لتزيح الغبار عن الكتب المتآكلة، وقلبها يتسارع نبضه، وكأنها تحاول سبر أغوارٍ لم يُكشف عنها من قبل، كانت تعرف، من أعماق يقينها أن هذا الحجر يحمل مفاتيح الخفايا، وأسرارًا عميقة تُلقي بظلالها على شيث وما يُخفيه من لغز.

وتحت وطأة ذلك الإحساس المرعب المختلط بالشغف، أدركت ميلاف أن عليها أن تغامر بالدخول إلى هذا العالم المحجوب، أن تتحدى المجهول، وترى بعينيها تلك الأسرار المدفونة، فالتمعت عيناها بإصرار وهي تتمنى بداخلها أن تكون ظنونها مجرد أوهام مختلطة بصدمة كبيرة بعد سماع حُكمٍ كانت تُدركه من بداية الأمر.

***

شق نعمان وآرام طريقهما عبر الممرات المعتمة التي تقود نحو مملكة الأرضيين، المخفية في أعماق القطب الجنوبي، كانت الجدران تعكس أضواء باهتة أشبه بأنفاس غامضة تتهامس في الظلام، بينما كان صوت الماء يتدفق من بعيد، كأنه إيقاع ينبض بانتظار مصير خفي، الهواء كان باردًا ورطبًا، مشبعًا برائحة الأرض العتيقة التي تضيف إلى رهبتهم شعورًا غير مسبوق بالحذر.

توقف نعمان للحظة، ألقى بنظرة خاطفة على آرام، وعيناه تشعان ببريق لم يدركه من قبل، وكأنما انتزع قلبه الذي ينبض بسرٍ دفين، همس بشيء يشبه الحذر والغموض في آن:

- لا تأمن لهذا المكان، كل شيء فيه يراقبنا.كانا يتحركان ببطء، مختبئين بين الأعمدة الصخرية العملاقة كأشباح تتوارى خلف ظلال الظلام، لكن السكون لم يدم طويلا، إذ شعر ياوي بوجودهما

على الفور، وكأنهما بيادق صغيرة في لعبة نسجها بذكاء مفرط، دون أن يدرك أنهما في الحقيقة كانا بيادق في مخطط أوسع... مخطط نسجه نعمان بنفسه، ليكون ياوي هو من يُحكم الفخّ ويظنّ أنه الصياد.

صرخة ياوي دوت في أروقة القلعة، كشظايا عاصفة تمزق الصمت المهيب:

- القوا القبض على الغرباء!

كلماته كانت شرارةً، فاشتعلت المملكة بحركة غير مسبوقة، وتدافعت الجيوش كأمواج تتقدم صوب نعمان وآرام، صدى صرخات الحراس كان يملأ المكان، كلهم في سباق نحو القبض على الهدفين اللذين وقعا في كمين مُحكم، كان المشهد أشبه بمعركة حاسمة تتداخل فيها الظلال مع صليل السيوف المتأهبة، بينما ارتسمت ابتسامة خفية على شفتي نعمان، كأنما يراقب خطته تتكشف بنجاح.

وفي قلب المملكة المظلم، حيث تلتف الجدران الغامضة حولهم كحاجز لا يمكن تجاوزه، وجد الاثنان نفسيهما محاصرين وسط حشد من الحراس الذين كانوا مستعدين لإحكام قبضتهم عليهم، عيونهم تبرق بالحزم والهيبة، وقوة الإرادة تتأجج في صدورهم، لكن شيئًا خفيًا كان يعصف في قلب نعمان، شعور بأن آرام يحمل سرًا لم يكتشفه بعد، علاقة غير مفهومة، تتربص لتنكشف في تلك اللحظة الحرجة. أمال نعمان رأسه نحو آرام هامسًا:

- استعدا! فالقتال هو خيارنا الوحيد.

لكن نظراته الخفية كانت مزيجًا من التحدي والغموض، عازمًا على إخفاء حقيقة تاج التي يُخفيها عنه حتى النهاية.

ومع تلك الكلمات، بدأت المعركة، انتزعت الوحوش الضارية من زوايا المملكة، تخرج من الكهوف المظلمة، عيونها المتوحشة تنير في ظلام المكان برعبٍ قاتل، كانت تلك الوحوش ضخمة، أشبه بالأسود الشرسة، ذات أنياب حادة وأجسادٍ تملؤها القوة، تنقض على خصومها بشراسة غير مسبوقة.

تراقص نعمان وآرام في قلب العاصفة، مستخدمين قواهما بمهارة لتفادي الهجمات، وحش ضخم، كائن مكون من الطين والحجارة، انطلق نحوهما، لكن نعمان كان أسرع، استدار وضربه بعنف بسلاحه، وكأنه يتحدى القدر.

آرام، الذي لم يكن أقل شجاعة، استجمع شجاعته واستخدم سحره لتعزيز قوته، أطلق صرخات ملحمية لإلهاء الوحوش، مما أتاح له فرصة للقتال جنبًا إلى جنب مع نعمان، و تحت وابل الهجمات، تساقط الوحوش كالأوراق اليابسة تحت وطأة قوتهم.

- هيا بنا.

بينما كان نعمان وآرام يخوضان معركة ضارية في قلب المملكة المظلمة، كانت الوحوش تتناثر حولهما كالشهب الملتهبة، انفجرت الأرض تحت أقدامهما، وظهرت من بين الظلال كائنات مرعبة، عيونها كالفحم المتقد، وأجسادها المشوهة تلتوي كما لو كانت خيوطا من الكوابيس نفسها.

كانت الرياح تعوي بشكل مرعب، ولكن عزيمتهما كانت أقوى من كل شيء، حتى وإن كانت الوحوش تتساقط كالأوراق المشتعلة حولهما، النار كانت تلتهم كل شيء، والظلام يحاول أن يبتلعهما، لكنهما كانا يسيران كالصخور الصلبة في وجه العاصفة.

أطلق نعمان تعويذة مظلمة بسرعة، فاندفعت الموجات السحرية من يديه لتطهر الفضاء من الوحوش التي تهاجمهم، حتى تناثر جسد الوحوش وتحول إلى رماد، لم يكن هناك وقت للرحمة، ولا مكان للضعف، ونعمان كان عازمًا على الوصول إلى هدفه مهما كلف الأمر.

- نحن قريبان، يا آرام!

همس نعمان بصوتٍ غارق في الحماسة، وعيناه تشتعلان كالجمر، كان قلبه ينبض بسرعة، وبينما كانا يقتربان من مركز المملكة، كان الإحساس بالخطر يزداد، هناك، في العرش الذي ارتكز عليه ياوي، كان يكمن السر الذي لا يريد أحد أن يكتشفه.

وفي لحظة، انفجر الحاجز أمامهما، وكشف عن العرش الضخم الذي كان محاطا بحراسٍ متوحشين، عيونهم مليئة بالشر والوعيد، كان ياوي جالسا على العرش، محاطا بهالة من القوة التي جعلت المكان يتنفس غضبًا.

- وصلتما أخيرًا.

قالها ياوي بصوتٍ هادئ، لكنه يحمل في طياته غموضًا شريرًا. كانت عيناه تومضان بشيء من الاستفزاز، وكأنه يعلم أن نهايته اقتربت، لكن لم يبدُ عليه أي قلق.

- لقد تكلفنا الكثير للوصول إليك، يا ياوي!

صرخ آرام بعزم، وكل كلمة منه كانت مشتعلة بالانتقام.

- الآن، حان وقت الحساب!

ابتسم ياوي ابتسامة مُرّة، وكأنما كان ينتظر هذه اللحظة، فرفع يديه ببطء، وأصدر أمرًا صامتًا، وفجأة، هاجمهم جيشٌ من الوحوش، وجميعهم يلتفون حولهما كظلال قاتلة، كان الصراع طاحنًا، ولكن نعمان لم يهدر لحظة.

فجأة، وأمام أعينهم جميعًا، تحولت الهالة المظلمة التي تحيط بياوي إلى وحش هائل، عملاق، مغطى بالوحل الأسود، بعيونٍ متوهجة كما الجمر. كان يتحرك بسرعة مرعبة، وأطرافه تشبه السيقان الضخمة التي تنطلق كالسيوف القاتلة، كانت الأرض تتشقق تحت خطواته، وصرخات الوحوش التي حوله كانت تعزف لحن الموت.

لكن نعمان، بتصميمٍ وحقدٍ عميق، أمسك بذراعه، وأطلق طاقته السحرية المظلمة التي انفجرت في قلب الوحش، فدمّرته من الداخل. كانت لحظة الموت بطيئة، ولكنها حاسمة، تحولت الكائنات الضخمة إلى كتلٍ من الرماد، ثم تلاشت في الهواء.

وحين ساد الصمت، توجه نعمان نحو ياوي، وعيناه تتوهجان بحقدٍ لا يرحم، رفع يده وبدأ يردد تعويذة مظلمة، فجمّد الحراس المحيطين بهم في أماكنهم كتماثيل من حجر، لم يتحركوا، ولا حتى أبدوا أي مقاومة.

ثم اقترب من ياوي، وعلى شفتيه ابتسامة قاتمة وهو يهمس في أذنه:

- لقد كانت تلك اللحظة التي كنت أبحث عنها، ياوي، ألم تتعلم أبدًا من المرات السابقة أن فخاخك لا تنطلي عليّ، لكنك لم تكن تعلم أنك عندما جعلتنا نقترب منك، كنتَ قد كتبتَ لك نهايتك.

في تلك اللحظة، همس ياوي بهدوء، وكأن قلبه قد فارقته كل مشاعر القوة والسيطرة وظهر الخوف جليًا على ملامحه:

- أنتما لا تعرفان كل شيء.

رد نعمان بعينين مليئتين بالشر:

- نحن هنا كي نعرف، وأنا لن ارحمك،ولن أسمح لك بالهرب. ثم توجه نعمان نحو آرام، وأشار نحو ياوي قائلًا:

- نحتاج أن نعرف كل شيء… خذنا إلى مكان بعيد، حيث يمكننا أن نسمع الحقيقة كلها، مكان آمن، لا أعداء فيه ولا مكائد، وإلا أقسم لكَ أنني سأقتلك هنا الآن وسط قومك ولتمت أسرارك معك.

أجفل ياوي، كأن الزمان قد توقف في لحظة، ثم، بلهجة مشحونة بالكراهية، همس:

- إن كان هذا ما تريدانه، فسأكون مضطرًا للذهاب معكما، ولكن تذكر، أن مكان السر هو أقرب مما تتصوران.

ثم فجأة، تحرك كل شيء حولهم، وبدأت المملكة تتنفس، وكأنها تستعد لاحتضانهم في مكانٍ بعيد، حيث كانت أسرارهم المظلمة

بانتظارهم.

توجه ياوي إليهما بإيماءة سريعة، فتتفتت حدود المملكة من حولهم وكأنها تذوب في الظلام، ومع غمضة عين، وجدا نفسيهما في مكان آخر!

المكان الذي انتقلوا إليه كان جبالا مهيبة، مرتفعة تعانق السحاب، تمتد فوقها أضواء القمر الخافتة التي تضفي على المكان سحرًا وغموضًا.

- هنا، في قلب الجبال، حيث لا يمكن لأحد أن يسمعنا، سنتمكن من الحديث بحرية.

قال ياوي بصوت خافت، وهو يشير إلى كهف واسع يمتد على جانبي الجبل.

- هذا المكان يُعرف باسم وادي الأسرار، حيث يقال إن السحر يتدفق من كل زاوية فيه.

في الداخل، كانت الجدران مزينة بنقوش قديمة، تعكس ظلال الماضي، الأضواء تتراقص حولهم وكأنها تعيش هنا، كان بإمكانهم استجماع أفكارهم بعيدًا عن ضغوط المملكة والحراس، وكان بإمكانهم مواجهة الحقائق التي طالما تخوفوا منها.

- تبدو وكأنها معزولة، لكن حذار من استخدام القوة أو السحر هُنا.

حذرهم ياوي، وهو يضع يدًا على قلبه:

-الأسوار هنا تحتفظ بالأسرار، وكل كلمة قد تكون لها عواقب،

ولكن..

توقف وهو ينظر لهما بتحدٍ:

- ستعداني الآن أنكما لن تقتلاني، وسوف أقسم لكما أنني سأخبركما الحقيقة كاملة.

تبادلا نعمان وآرام نظراتٍ حادة، وكان شعور الغموض يحيط بهما، وعليهما أن يتخذا قرارًا حاسمًا في هذا الوادي العميق.

- أعدك .. والآن قسمك قبل أن تُخبرني بكل شيء، يا ياوي.

قالها نعمان ودون تردد، وهو يخطو إلى الأمام بخطوات ثابتة، وعيناه تتقدان بعزيمة لا تتزعزع.

كان المكان يعد بمواجهة حقيقة تتجاوز التحديات والخصوم،

مكانٌ يفتح الأبواب أمام أسرارهم المدفونة، ومكانٌ قد يقلب كل ما يعرفونه رأسًا على عقب.

***

بينما كانت سارافيم تسير باتجاه غرفتها بعد لقاء مفعم بالذكريات مع ويون، شعرت بشيء غريب يلامس روحها، كأنه همسات بعيدة تحمل معها شعورًا بالعزلة، كان الليل قد بدأ ينسدل بهدوء، ولكنها شعرت وكأن الزمن نفسه قد توقف لوهلة، وكأن شيئًا غير مرئي كان يراقبها.

توقفت سارافيم فجأة على حافة الجرف الذي طالما اعتادت أن تراقب منه الأفق، لتشعر بشيءٍ مريب يتسلل داخلها، كان هناك نوع

من السكون الذي يحيط بالمكان، لكنه كان ثقيلا، وكأن الأرض نفسها تحمل سرًا مدفونًا في أعماقها.

همست لنفسها:

»ما الذي يحدث لي؟«

ولكن لم تجد جوابًا، سوى شعور متزايد بأنها مُدعوة إلى مكان بعيد، لا تعرفه.

بينما كانت تعود بخطوات غير ثابتة نحو المملكة، شعرت بتيار هواء غير طبيعي يلف جسدها، وكأن نسمة الليل كانت تهمس في أذنها بأسرار قديمة، تصحو من سباتها، كانت تلك الرياح تنقل إليها شيئًا غريبًا، وكأنها تدفعها نحو وجهة غير مألوفة، ومع ذلك لم تستطع مقاومة الإحساس بأنها مضطرة للذهاب.

بلا وعي، وجدت نفسها تمشي عبر الممرات المظلمة، ثم توقفت فجأة في منتصف الطريق، كانت قد عبرت كل المسافات التي كانت تعرفها، لتكتشف أنها قد دخلت إلى مكان لا تنتمي إليه، مكان يختلف عن أي مكان عرفته من قبل.

لم يكن هناك غابة، ولا صحراء، ولا حتى كهف، كان المكان عبارة عن ساحة شاسعة من الأرض القاحلة، لا تحدها حدود، ولا حتى أشجار أو صخورا

الأرض هنا بدت وكأنها تنبض بالحياة، تشع بقوة غير مرئية، كما لو كانت قد رُسمت على أرضية لا تعرف الزمان، كان الهواء في هذا المكان مشبعًا بشيء غريب، يشبه صدى آلاف الأصوات المتناثرة،

تهمس في أذنها كلمات لم تكن تفهمها.

فجأة، أغمضت عينيها لتكتشف أنها قد شحبت إلى قلب هذا المكان الغريب عن طريقة قوى أغرب، كان الهدوء الذي يحيط بها قاتلا، والمكان مليء بشيءٍ من الرهبة وكأن كل ذرة فيه حية، تراقب خطواتها بحذر، وبالكاد فتحت عينيها لتكتشف أنها تقف على حافة صخرة ضخمة، تنحدر منها مساحات شاسعة من الأرض المظلمة، التي كانت تومض بضوء غير طبيعي.

لحظتها، شعرت بشيء غريب داخلها، لم يكن سحرًا عاديًا، بل كانت قوة سحرية لا تشبه أي شيء تعلمته من قبل، كانت تلك القوة تتغلغل في جسدها كما لو كانت قد استيقظت من سبات طويل، رفعت يديها ببطء، وإذا بها ترى شعاعًا خافتًا ينبعث منها، لم يكن ضوءً عاديًا، بل كان نابعًا من أعماق روحها، يشع بطاقة غير مفهومة.

لم تكن تملكُ التحكم في أي شيء حولها، ولكنها شعرت بشئ مختلف، قوة تتدفق من داخلها تتخذ شكلا غير مرئي، تمكن عجيب في الدمج بين الظلال والضوء،

ارتفعت أنفاسها وتردد الصوت داخلها، وكأن العالم كله صار يتنفس معها.

وفي تلك اللحظة، التفت نحو مكان ما في الأفق البعيد، لتجد ضبابًا غامضًا يقترب منها تدريجيًا، مغطى بكائنات غير مرئية، تتحرك في تناغم مهيب، لا تجرؤ على الاقتراب منها، تجسدت حولها الطاقة الغامضة التي كانت تخترق كل جزء في جسدها، حتى شعرت وكأن تلك المخلوقات تتغلغل بداخلها.

ومع كل خطوة خطتها في هذا الموضع، كانت قوتها تزداد، حتى شعرت بأن شيئًا ما يتغير في روحها، كانت هذه ليست مجرد حصانة سحرية عادية، بل كانت طاقة روحية متجددة تنبع من أعماق وجودها، كانت تلك القوى لا تسيطر على الأشياء من حولها، بل كانت هي من تتحكم في نفسها، في كيانها، في روحها.

وبينما كانت تتقدم في هذا العالم الغريب، استشعرت حركة غير مرئية وراءها، وكأن هناك شيئًا يتبعها في الظلام، وفي قلب ذلك الخوف، كان هناك سر مغطى بالكثير من الغموض، حتى توقف شعاع الضوء حول يديها، وتحولت الرياح إلى همساتٍ خافتة، تروي لها حكايات قديمة عن القوى التي كانت تسيطر على هذا المكان، وحينما رفعت عينيها، رأتها، كان هناك كائن ضبابي، يقترب ببطء من بين الظلال، وأعينه تومض بالشر، وكأن العالم نفسه قد أرسل لها هذا التحدي الغريب..

و في تلك اللحظة، شعرت أن ما سيحدث الآن سيكون حاسمًا في تحديد مصيرها المجهول.

***

الفصل الحادي عشر

وسط ضجيج أنفاسها المرتعشة، رفعت ميلاف رأسها وأجبرت نفسها على استجماع ما تبقى من شجاعتها، شعرت بضغط ثقيل يجثم على صدرها وكأن جدران المكتبة نفسها تتنفس مع كل خطوة تخطوها نحو أعماقها المظلمة، هناك، عند طرف الممر، كانت الظلال تتراقص، تكاد تخفي جدارًا سحريًا مشعًا يتوهج بخيوط أرجوانية وزرقاء، يفصل بين عالمها وعالم لم تطأه أقدام البشر إلا نادرًا.

مدّت يدها ببطء، وشعرت بتيار خفيف يشبه النبض يتسلل من أطراف أصابعها، يحملها نحو قوة غامضة كانت تراقبها من بعيد، همست ميلاف بأدعية سحرية تعلمتها من كتب جدها القديمة، تهجّت حروف اسم جني لم تعرفه إلا بين صفحات مطوية وأسرار مكتومة، كان اسمه »أوزاث«؛ اسم يخرج من أعماق التاريخ، منقوش في ذاكرة الجن والبشر على حد سواء، محفورًا بدماء قديمة وأرواح معذبة.

لحظة صمت مرعبة خيّمت حولها، وكأن الزمن توقف عند ندائها، شعرت ميلاف بتيار جارف يملأ المكان، جلب معه رياحًا تعوي ودوامة من الظلام، وفي لحظة، انفتحت فجوة في الهواء، وتحولت المكتبة إلى دوامة من السحر الأسود، تقودها نحو بُعد آخر، بعيد عن الواقع، إلى نقطة تلامس الظلال العتيقة.

هناك، في ذلك الفراغ الأسود، انبثق أمامها شخص جبار، عملاق ذو ملامح غير مكتملة، تتمايل كأنها طيف لا يزال يتشكل، عيناه كانتا مثل ثقبين عميقين يبتلعان كل من ينظر إليهما، فيما كان صوته

ينبعث في كل زاوية، عميقًا كصدى الماضي، قائلا:

- ما الذي تبتغينه يا وريثة السحرة القدامى؟ أتعيين الثمن الذي ستدفعينه؟

شعرت ميلاف برعشةٍ تتسلل لعظامها، لكنها تمسكت بما تبقى من شجاعتها وقالت بصوت متهدج يكاد يخفي خوفها:

- أريد رؤية الحقيقة، مهما كانت، أريد أن أذهب إلى حجر الأمان وأن أعرف منه حقيقة شخصٍ قد انكشف على الحجر من قبل، وأريدك أن تفتح لي طريقا إليه، حتى لو كانت الظلمات تخبئ فيه مصيري.

ضحك أوزاث بصوتٍ مخيف، ضحكة تخللتها نبرات سخرية واستنكار.

قال ببطء محذر:

- الحقيقة ليست كما تظنين، وما تطلبينه سيفتح لك أبوابًا لا تعرفين إغلاقها، شيث الذي تبحثين عنه ليس كما تتصورين.

خفق قلب ميلاف بعنف، وترددت كلماته الثقيلة في عقلها، هل يمكن أن يكون شيث مختلفًا عما عرفت؟ ولكن عينيها المتقدتين بإصرار لم تترك لها مجالًا للتراجع، تقدمت خطوة، ورفعت رأسها بثبات قائلة:

- أنا مستعدة، لم أعد أخشى شيئاً.

بإيماءة غامضة، رفع أوزاث ذراعه، وبدأت حوله دائرة من الطاقة

تتجسد، بريقٌ خافت بدأ يظهر من العدم، ليحيل الظلام إلى ألوان متداخلة، ووسط تلك الدوامة، وجدت نفسها في غرفة حجرية قديمة، كأنها خارج حدود الزمان والمكان، كانت الغرفة مليئة برموز غريبة، محفورة على جدران كأنها تخفي آلاف الأسرار، بينما حجر ضخم يتوسط المكان، ينبعث منه وميض غامض.

اقتربت ميلاف بخطوات بطيئة، تشعر بكل خلية في جسدها تترقب الحقيقة، لكن هناك، بجانب الحجر، كانت مرآة قديمة، صغيرة مغطاة بالغبار، لم تكن مجرد مرآة بل بوابة إلى أرواح الأشياء، كاشفة عن جوهر كل من يقف أمامها، رفعتها ميلاف أمام وجهها، تنفست بعمق وهمست كلمات لا يعرفها سوى السحرة:

- أوزاث، أرني الحقائق المحظورة، اكشف عن ما يختبئ خلف هذا الجسد، واجعلني أرى الحقيقة المجردة.

بدأت المرآة تشتعل بلون أرجواني مخيف، وصورة شيث بدأت تظهر، بوجهه الوسيم وعينيه الساحرتين، لكن ما إنركزت عينيها حتى بدأت تتشوه الصورة، تلك الملامح المألوفة تلاشت، وحلّ مكانها كائن مشوه، تتداخل فيه مشاعر الخوف والغضب، كأن المرآة تكشف جانبًا آخر لم تعرفه ميلاف.

بدأت ترى لقطات غامضة؛ أصوات تهمس وأيادٍ تمتد من الظلام، لم يكن شيث مجرد ساحر غامض، بل كان يحمل داخله شيئًا خبيثًا، قديمًا ومظلمًا، كان طيفًا لعنة تتجسد، كائن يزخر بالتناقضات والخداع، وأسرار يتلاعب بها ليحكم قلوب البشر والجن. شعرت ميلاف بخنجرٍ خفي ينغرس في قلبها، وكأن المرآة تقتطع شيئا منها

مع كل ثانية تمشي. تراجعت مترددة، والكتاب الذي كانت تحمله تدحرج على الأرض، متفرقًا بأوراق قديمة، تحمل طلاسم غريبة، شعرت بأن العالم حولها ينهار، وحقيقة شيث أمامها كوابيس لا يمكن إيقاظها منها.

كانت تعرف الآن أن ما رأته لا يمكن نسيانه، وأن حياتها لن تعود كما كانت أبدًا.

***

في جوف الظلام الذي يكتنفه كغياهب الأبد، جلس شيث متصلبًا، لا يسمع سوى أنين الرياح التي تجتاح المكان من شقوق الصخور القديمة، تتخللها همسات متقطعة تذكره بشيء دفين في ذاكرته، لا شيء هنا سوى الصمت المطلق، والهواء الثقيل برائحة العفن، وكأن هذا الفراغ قد بُني ليكون مأوى لأرواح ضائعة، معلقة في سجنٍ أبدي، الجدران الملتفة حوله كانت نقشت من صخور كالحجر البدائي، بصلابة كأنها نتاج آلاف السنين من الجفاف، والأرض تحت قدميه باردة كالجليد، جامدة كأنها شظايا زمن مُحنط.

كان يحدّق في حافة حفرةٍ عميقة تتوسط الغرفة المظلمة، ينبعث منها ضوءٌ شاحب لا مصدر له، كأنه بريق يائس من زمن بائد، انعكست الأشعة الضعيفة على يديه المتشابكتين، وعلى وجهه الذي يلتف عليه قناعٌ من الهدوء، غير أن نظراته تبوح بشيء أعمق، أو انتظاره لشيء قادم، شيء يكاد يشعر به ينمو في صدره، كأنما هو جرح غائر عاد لينفتح من جديد وينزف ببطء..

ومن تحت الأرض، تسللت أصواتٌ خافتة، همسات غامضة تلتف

حوله، تلتصق بجدران المكان وتعود لتلتهم السكون، كان يشعر بأن هذه الأصوات هي صدى لأرواحٍ قديمة، تعرفه، أو ربما تذكره بشيء نسيه، أو حاول أن يدفنه، كانت تذكرة بأخطاءٍ عمرها أكثر من عمر الزمن، بأسرار حاول محوها في مكانٍ بعيد، لكنها تعود الآن تطالب بحساب، وكأنها لعنة ظلت

تحاك حول عنقه طيلة حياته..

في قلبه، دفن شيث سرًا قاتلا، ليس كغيره من الأسرار، بل سرٌ يعبر الحدود بين العوالم لم يكنْ مجردَ حادثة ندم عابرة أو ذنب يمكن محوه، بل كان وصمة أبدية في كيانه، جريمة ارتكبها بحق أرواح عريقة، قبيلة أسطورية عاشت بأسرار منسية، كانت تعرف مفتاح التوازن بين الجن والإنس، أرواح تحمل معرفة قديمة، علمًا يمكنه أن يعيد تشكيل حدود القوة في عالمه..

حينها، كان مجرد شاب، طائش، لا يدرك حجم العواقب، بيده القاتلة، أبادهم جميعً ا، ليس لأنه أراد ذلك، بل لأنه كان يأتمر بأوامر أمه، هي التي علقته بين أصابعها كدمية، تلاعبت بمشاعره وغذت طمعه بالقوة، ودفعت به إلى تلك الهاوية، أرادت منهم ألا يكون هناك من ينازعها في قوتها أو يكشف خباياها، فبعثت به ليحصد أرواحهم ويُخمد نور علمهم..

ولكن حينها، لم يدرك شيث الثمن الفادح لذلك الفعل، لم يفهم أن القوة التي أطلقها في يومٍ ممطر، حينما التهمهم نيران جنونه، قد تركت فيه جرحًا أعمق من طعنات السيوف، أثخنت روحه بجروحٍ

لا تندمل، وبقيت ككابوس يعشعش في أعماقه، لقد أطلق لعنة كالجحيم، قوة لا يعرف أحد كيف يروضها، واليوم، بعد سنواتٍ من محاولات الهرب، عادت لتطارده.

ومع الوقت، تكشفت له خيانةٌ أكبر، خيانة تمزق قلبه حتى النخاع، عرفَ أنه لم يكن فقط تحت إمرة أمه كجنٍ مطيع، بل كان نتيجة لعلاقة آثمة، وِلد من اتحادٍ خفي، سليل قوة مشؤومة زرعت في دمه رغبة السيطرة، في تلك اللحظة، تحوّل الإعجاب إلى ازدراء، والاحترام إلى مرارة، فهرب، فرّ منها، مختبئًا خلف أسماءٍ وأقنعةٍ لا حصر لها، حتى أنه غيّر هيئته وتجنب سلطتها لئلا يصل إليه خيط من أصابعها القابضة.

واليوم، في عمق هذا السرداب البعيد، عاد شيث لمواجهة ذلك الماضي الذي لطالما تهرّب منه، العودة كانت حتمية، لم يكن هناك مفرٌ بعد الآن، وخاصة بعدما ذكرهُ حجر الأمان بماضيه المظلم، فتح كفيه المرتجفتين ونظر إليهما، يحدق فيهما كأنهما مرآة تحمل آثار دماء تلك الأرواح القديمة، الدموع تتجمع خلف جفونه، لكنه يتماسك، يعرف أن هذا الطريق لا مكان فيه للضعف، ولا فرصة للتراجع.

كانت الظلمات من حوله تتراقص كظلالٍ شاحبة، تتخذ أشكال وجوهٍ مذعورة، أطياف أولئك الذينْ قتلهم تظهر وتختفي،

كان يشعر بأصابعهم تتلمس روحه، تطالب بحقها، تطالبه بردّ الحياة، لكنه يعلم أن هذا المستحيل، ويعلم أن اللعنة تتربص به.

انتفض قلبه عندما سمع تلك الهمسات تتزايد، تقوى وتتعاظم كأنها تقترب منه شيئًا فشيئًا، مدّ يده نحو حجرٍ عتيق مرسوم عليه رموز

قديمة تتوهج في الظلام، رسم بيدّه حركة ساحرة، ليحجب عن نفسه طيف تلك الأرواح، محاولا إحكام سيطرته على الفضاء الذي يحيط به، ولكن فجأة، تغير الجو من حوله، شعر بشيءٍ ثقيلٍ يهوي عليه من الظلام.

كان يُدرك أن ما رآه في هذه اللحظة ليس وهمًا، بل حقيقة، حقيقة لا يمكن تجاهلها بعد الآن.

***

في عتمة الليل الكثيفة، كانت ابتسامة ياوي الباردة تشبه ظلاما أبديا يتربص خلف

ملامحه، ابتسامة تحمل في طياتها كل الشكوك والأسئلة المخفية، وكأنها قناع يخفي أسرارًا تحبس أنفاس الحاضرين، عيناه المتقدتان بوميض غامض، كانت تجول في أرجاء الغرفة، وكأنها تحاول أن تسيطر على الموقف بكبرياء متغطرس.

وقف نعمان بثبات، بينما في داخله كانت العاصفة تتفجر، نبضات قلبه تتسارع كدقات مطرقة على جدران صدره، لكنه أبى أن يظهر ضعفه أمام ياوي واختلطت نبرة صوته بحدة وثبات، وقال بتحدٍّ متأجج:

- تحدث يا ياوي... ننتظر سماع الحقيقة.

شعر نعمان بوقع الأرض يهتز تحت قدميه مع كل كلمة، تلك اللحظة كانت محورية، أشبه بحد السيف، قال ياوي بنبرة باردة وكأنما يسكب الجليد على نار ملتهبة، نطق كلمات قاسية كضربة

مطرقة تهوي على الحديد:

- آرام... هو ابنك يا نعمان، وليس ابن عفرين كما خُدعتم. شعرت قلوبهم كما لو كانت قد توقفت للحظة، الكونّ بأسره اختنق في تلك اللحظة، الهواء حول نعمان أصبح ثقيلا، ثقل لا يُحتمل، جاثمًا على صدره، أصابته الدهشة كطعنة غير مرئية، تسلل الخوف والرعب إلى أعماق روحه، راح ينظر إلى آرام، الذي كان وجهه شاحبًا كالأشباح، عيناه تغوصان في الفراغ وكأنه فقد القدرة على التفكير، أو كأنه غارق في هاوية لا عودة منها.

بقي نعمان، مشدوهًا، عاجزًا عن النطق، وكأنما الزمن توقف عند تلك الجُلة وتابع ياوي، بصوت خافت لكنه محمّل بالكراهية والازدراء:

- أعلم يا نعمان، أن الحقيقة قاسية، لكنها مجرد بداية...

لقد قُمت بسبع تجارب على بويضات روهان، وكل واحدة منها لقحت بطرق مختلفة، كانْ هدفنا خلق كائن يحمل قوة عظيمة... وكنت أنا أحد الذين لقحت بويضاتهم.

ارتسمت على وجه نعمان تعابير الغيظ والصدمة، جسده اشتعل بالغضب، شعر أنه مقيّد بقوة تفوق إرادته، ود لو يقتلع ياوي من مكانه، لكن يد آرام كانت ثقيلة على كتفه، كأنها تبث في عروقه بعضًا من الهدوء الذي يفصل بينه وبين لحظة الانفجار.

ازدادت حدقتا نعمان سوادًا، وأخذ يسأله بصوت منخفض، لكن كلماته كانت مثل الشم الزعاف:

- من هي أم آرام الحقيقية؟

كانت أعين آرام زائغة، تنظر إلى ياوي كأنها تبحث عن جواب لا تحتمل سماعه، لكن ياوي لم يتردد، فأجاب بثقة تعلوها نبرة من الانتصار:

- روهان... هي والدته.

ارتجفت شفتا نعمان، شعر كأنه كان يلهث تحت ضغط عظيم، لكنه ابتلع صدمته، وحاول استيعاب هذه الحقيقة المفاجئة التي أسعدته رغم كل شيء، ثم راح يسأل، والنار تتقد في قلبه:

- وكيف؟ كيف استطعت سرقة بويضة زوجتي دون علمها، و تلقحها مني؟

تنهد ياوي، وكأنما وجد نفسه منتصرًا في نهاية معركة طويلة، بصوت يحمل التبرير البارد، قال:

- استدرجتني هند، كانت تعتقد أن خطتنا واحدة، لكنني كنت أحتاج لحمضك النووي، فهو الأسمى بين الجميع، أخفيت عنها الخطة الكاملة، بينما كانت تظن أنها ستنجب منك سلالة قوية، لم أخبرها أنني استخدمته لغايات أكبر، وبالنسبة لبويضة روهان فقد أخذتها عندما كانت في مخبري تُحقن بالمصل السحري الذي أعاد لها شبابها وأزاح عنها المرض.

كلمات ياوي كانت كالسكين التي تشق صدر نعمان مرة أخرى، نبرته كانت شديدة وكأنه يُخبره أنه قد أخذ ثمن حياة زوجته وليس عليه أن يحاسبه الآن، كل كلمة كانت تفتح جرحًا جديدًا وهو يتذكر

ساعته المشؤمة مع الملعونة هند التي كانت سببًا في هذه الكارثة، شعر أن كل شيء حوله يتداعى، وأنه كان لعبة في يد هذا الشيطان، ولكن الحسنة الوحيدة التي ستجعله يتأنى على موته قليلا هي أن آرام ولده من روهان، لو كان صدقًا..

اقترب منه، عيناه تتقدان بالغضب الذي يذيب الصخور، وقال بصوتٍ متحشرجٍ بالغضب المكتوم:

- لقد لعبت بمصيرنا جميعًا... لقد دمرت كل شيء!

وقف آرام هناك عاجزًا عن فهم ما يحدث حوله، لكنه شعر أن كل ما عرفه عن نفسه كان مجرد وهم، صرخة داخله بدأت تتصاعد، لكنها كانت خافتة، كأنها تهب وسط صحراء قاحلة، بهمسٍ كاد أن يكون صدى في الفراغ، قال بصوت منكسر:

- كل هذا... لتحطيم حياتي؟

لكن ياوي لم يُظهر أي ندم، بل واصل بصوت يعلوه القسوة، متوجهًا بحديثه لنعمان وآرام كأنهما دمى بيديه:

- آرام، كنت بحاجة لولاءٍ كامل مني، لهذا كذبت على عفرين وأخبرته أنك ابنه... كان يريد ابنًا من روهان، ووجدتك أداة مثالية، أما عفرين فقد خُدع كما خُدعتما، ولاءك لي كان شرط بقائك، والآن حان الوقت لتقبل كل هذا.

كان بني النعمان في تلك اللحظة أشبه ببركان على وشك الانفجار، يدرك أن ياوي لم يتوقف عند حد الخيانة بل تجاوز ذلك بكثير، ضغطت الأفكار السوداء على عقله، تتكالب عليه من كل صوب، لكنه

كان يعرف أنه لن يسمح لياوي بالعودة إلى مملكته كما يدعي إلا لو..

اقترب نعمان من آرام، تمعن في وجهه، تلك الملامح التي كانت جزءً من روحه، امتدت يده نحو كتف آرام وكأنما يقول له بصوت مزلزل بالإرادة:

- لا تحزن يا بني لن ندع هذا يمر، ولكننا أولا سنعرف الحقيقة كاملة مهما كان الثمن.

***

الفصل الثاني عشر

بينما كان ياوي يشير بيده بهدوءٍ مرعب، التفّ حول نعمان وآرام ضباب كثيف، عابق برائحة عتيقة شبيهة برائحة التراب الممزوج بالموت، شعر كلاهما بثقل المكان، كأنما انتزع الهواء من رئتيهما، وانسحب بهما الزمن عبر عتبات مظلمة لا تُفضي إلى مكان، تلاشى ضوء الغرفة، ومعه اختفت الحوائط، وما لبثا أن وجدا نفسيهما في مختبر غريب، أشبه بمدفن عتيق قابع في أعماق مملكة الأرضيين.

الجدران الشاحبة كانت مليئة بنقوش تتوهج بلمعان باهت، كأنها تحاولّ أن تنطقّ بأسرار دفينة طمُرت منذ قرون، كان الهواء ثقيلا، مشحونا بذبذبات سحرية تتغلغل حتى أعماق الروح، وتنبعث من زوايا المختبر أصوات هامسة كأنها شياطين مسجونة بين الجدران تتسلل إلى الأذنين.

ضحك ياوي ببرود، والتفت إليهما قائلًا:

- أهلًا بكما في مختبري الخاص جدًا... هنا تُختبر الأرواح، وتنكشف الحقائق التي لا يقدر الضعفاء على احتمالها، هٰذا المكان يمتصّ الطاقة، يسبر الخفايا، ويلامس كل ما لم تريدونه يوما أن يظهر للعلن.

تراجع نعمان خطوةً، لكن قدماه التقطتا صدى الأرضية المعدنية الباردة التي تجمدت فيها طلاسم أفعوانيه تتوهج بشعاعٍ خافت، كأنها شِراك سحرية تتهيأ للانقضاض، في حين وقف آرام يتأمل المكان بعينين ملتهبتين، يحاول تفسير النقوش التي تتراقص أمامه

على ضوء أزرق يترقرق من فوق رؤوسهم، متسرباً من بلورات مُعلقة تتمايل في الهواء كأنها عيون تنتظر لحظة افتراس.

اقترب ياوي منهما ببطء، وعيناه تقدحان شرًا غامضاً، قائلًا:

- ما سنفعله الآن ليس مجرد اختبار عادي... بل هو سبر لأعماق لا يُدركها عقل جني ولا انسي، هنا سنكشف ما تخفيه الطاقات المتراكمة داخل أرواحكم، تلك الروابط الغائرة التي لا تُرى بالعين، لكنها تتنفس في عروقكم.

دقق نعمان النظر إليه بتركيز وهو يسأله:

- وما الذي سنكتشفه بهذا الاختبار؟

أجابه ياوي بابتسامة باردة، وعيناه تلمعان كذئب في الظلام:

- إنه أكثر من مجرد اكتشاف... إنه عودة للأصل، انفكاك للعقد التي تربطكم بأبعاد أخرى، ستعرفون الحقائق المحرمة، تلك التي إن سمعتموها اليوم قد تعيشون تحت ظلالها إلى الأبد.

ثم مد ياوي يده نحو طاولة قديمة مغبرة، محاطة بجدار من الأدوات الزجاجية التي ترتجف داخلها سوائل حمراء وزرقاء ذات بريق مريب، وعليها رسوم محفورة بدقة تشبه رموز الكابالا السوداء، أدار بعض الأدوات بمهارة، وكأنما كان يضبط توقيت الشر نفسه، بينما همهم بأصواتٍ غريبة، وكأن لغة خفية تنبعث من بين شفتيه.

فجأة، ارتفعت دائرة سحرية من الأرضية، متوهجة بوميضٍ يتبدل بين الأحمر الداكن والأسود القاتم، حوافها كانت متعرجة كالأسنان، ومُحاطة بزوابع من الهواء الأسود يندفع داخلها كأنه يتنفس، قال

ياوي بصوتٍ أجش، وقد ازدادت ملامحه غموضا ورهبة:

- ضعوا أيديكم داخل الدائرة... واسمحوا للطاقات بأن تنكشف، لعلنا نجد ما يتجاوز عالمكم.

نظر نعمان إلى آرام بدهاء، ولم تلبث النظرات أن تحولت إلى قرار متردد، و بخطواتٍ ثقيلة، مد كلاهما أيديهما، وابتلعت الدائرة طاقتيهما كجُبٍّ عميق لا قرار له.

ما إن غاصت أيديهما في الدائرة حتى شعر كلاهما بطاقات غير مرئية تسري في عروقهما كأنها أفاعٍ باردة، تسحق العظام وتلتهم الروح، و فجأة، انفجرت الهمسات في رؤوسهما، أصوات تهمس بكلمات مبهمة، صور غائمة لأماكن بعيدة وأزمان منسية تظهر أمام أعينهما في ومضات خاطفة.

لم يكن هذا مجرد اختبار، بل كشفٌ عارم.

وقف ياوي على مسافة قريبة، متسمّرًا وعيناه تبرقان بتوهجٍ خبيث، يراقب باهتمام يضج بالفضول، مرددًا بلهجة خشنة كأنها ترنيمة شريرة:

- حافظوا على تركيزكم و اتركوا الطاقات تتحد، لتكشف لكم حقيقة لم تعرفوها يوما.

ازدادت حدة التوهج حول أيديهما، وبدأت الرموز السحرية تتحرك كأفاعٍ ملتوية، تتشابك وتتراقص، حتى بدا أن كل شيء في الغرفة يدور حولهما ببطء وهدوء قاتل، كان الهواء مشحونًا بذبذبات غامضة، تكاد تلتهم الأنفاس، كأن شيئًا مروعًا كان يترقب اللحظة

المناسبة للانفجار.

وعلى حين غفلة اشتعلت شرارة حادة، كبرقٍ شق الغرفة بنورٍ يعمي العيون، وأصدرت الرموز صوتًا كالصراخ المكتوم، اختفت الظلمة للحظات وجيزة، لتغمر الغرفة في ضوءٍ خافتٌ مشؤوم، حتى سكنت الطاقة ببطء، لكن الهواء كان محملا برائحةٍ معدنية غريبة، وبرودة تلامس العظام.

ابتسم ياوي ابتسامة باردة، وقال بصوت يحمل دهاءً عتيقًا:

- لقد نجحتم... ما بينكما ليس مجرد سحر عابر، إنه رابط يكسر الحدود، يتجاوز ما هو مرئي ومعلوم. إنه صدى يتردد من أعماق بعيدة.

نظر نعمان إلى آرام، وملامحه تعكس قلقًا يمتزج بتساؤل عميق، كأنه أدرك أن هذه التجربة قد أخذتهما إلى ما هو أبعد من الحدود المسموح بها، ووسط صدى أنفاسهما المتلاحقة، شعر كلاهما بشيءٍ غير مألوف قد بدأ ينبض بينهما، نبضات تشدّ كلّ منهما للآخر بقوة لا تقاوم.

همس آرام، وعيناه مشدوهتان إلى ياوي:

- ما الذي يعنيه هذا الرابط؟ هل هو بداية لنهاية أم عهدٌ على حقيقةٍ مخفيةٌ؟

ارتسمت نظرة مريبة على وجه ياوي وهو ينظر إليهما بتحدٍ، قائلا بنبرة مملوءة بالغموض:

- هذا الرابط هو الميثاق الذي سيكشف كل الأسرار، وسيفتح أبوابًا

لم يكن على أحدٍ منكما أن يجرؤ على ولوجها، من هنا ستنطلقان في رحلةٍ قدْ لا تستطيعان العودة منها، لأن هذا المكان ذاته يخفي أسرارا لا ترحم، وحقيقة قد لا يتحملها إلا من يتشبث بروحه.

عند تلك اللحظة، تحولت الغرفة إلى عاصفةٍ من الخوف، كأنّ الكائنات الخفية تستعد لتعلن ظهورها، بدأت الأدوات القديمة على الطاولات تهتز كأنها على وشك التحطم، والجدران تصدر أنينًا متقطعًا، بينما تشابكت الخيوط الغامضة من السحر حولهما كأنها تحاوطهما بمصيرٍ لا فرار منه.

راقب ياوي الأجواء المظلمة بنشوةٍ صامتة، وكأن هذا الخوف العارم هو ما كان يسعى إليه، وقال بصوت أشد غموضا ورهبة:

- الآن، قد بدأ المستقبل الذي لا رجعة فيه، هذا المختبر لن يكون سوى البداية، فما ينتظركما في مملكة الأرضيين يتجاوز كل ما تتخيلانه.

عندما انتهى ياوي من كلماته، شعر نعمان بنبضاتٍ تتصاعد داخله، موجاتٍ عارمة من الغضب والتوتر تكاد تحطم كيانه، وكأن الكلماتٌ الغامضة التي نطق بها ياوي استدعت شيئًا مظلمًا مخبأ في أعماق روحه، حدّق في ياوي بنظرة تعتصرها الكراهية، ونار الانتقام تلتهب في عينيه، إذ أدرك أن هذا المخلوق الماكر قد تجاوز حدوده، وأنه ليس بوسع أحدٍ أن يتحكم في مصيره بهذه الطريقة.

رفع نعمان يده ببطء، وبدأت أصابعه تشتعل بوميضٍ أسود كثيف، كأنها تتغذى من ظلالٍ خفية تسري في الهواء من حوله، كانت الغرفة قد امتلأت بأشباحٍ من الطاقة الداكنة، التي راحت تتكاثف كضبابٍ

سام يغمر المكان أحس ياوي بقشعريرةٍ تسري في جسده، لكنه لم يبد متفاجئا؛ بل بدا وكأنه كان ينتظر أن يصل نعمان إلى هذه اللحظة.

همس نعمان بصوتٍ بارد، يقطر من كل كلمةٍ تحديًا قاتمًا:

- لقد لعبث بأكثر مما ينبغي، أيها الحقير والآن حان وقت النهاية.

بدأت الدائرة السحرية التي تقف في منتصف الغرفة تتشقق ببطء، كأنما تدفعها قوة غاضبة قادمة من أعماقٍ حالكة، وأصدرت الأرض تحذيرًا كصوت أنينٍ خافت، متصدعة تحت وطأة الشر العميق الذي استدعاه نعمان، تشكلت حوله دوامة من الظلام، تتماوج وتتلوى كأنها أرواح تائهة، غارقة في الحقد، أخرج من صدره همسة خافتة، كأنما يطلق تعويذة بحد السيف، فاشتدت العتمة حوله حتى أحاطت بكل جزءٍ من الغرفة.

لم يكن أمام ياوي سوى جزءٍ من ثانية، إذ أدرك بحسه القوي أنه لو انتظر أكثر، فإن قوته لن تكفي لمقاومة سحر نعمان الجارف، وبسرعةٍ مدهشة، أطلق ياوي ضحكة ساخرة، ورفع يده في حركة سريعة، لتغلف آرام ضبابية خافتة، ووسط اندفاع السحر الأسود، كان ياوي قد أمسك بها وانسحب بمهارةٍ شيطانية إلى الخلف.

لم يكن الأمر بتلك السهولة، فقد تعلقت عيناه بنعمان لآخر مرة، حيث شعر بنظرة الموت تتربص به، وفي لحظة خاطفة، قبل أن يغرقه نعمان بالكامل في الظلام، انطلقت منه تعويذة هاربة، كانت كافية لتشكيل بوابةٍ مضطربة بين أبعاد مملكة الأرضيين، حيث تشكلت خلفه دوامة من الظلال والرياح الهائجة.

كاد أن ينتزع آرام بقوة عبر البوابة، ولكن بني النعمان لحق به ليختفي ياوي تاركًا خلفه وميضًا خافتًا لحظة عبوره، وكأنما يستهزئ بآخر محاولةٍ لنعمان في الإمساك به.

اندفعت موجات الطاقة السوداء عبر كل زاوية في المختبر، كأنما أطلق نعمان طوفانًا من قوى خفية متوحشة، فاستحال المكان إلى دوامة من الظلام كعاصفة تلتهم كل شيء حولها، بدأت الجدران تتشقق وتنهار كما لو كانت مصنوعة من غبارٍ أسود يتطاير في الهواء، الظلام يزداد كثافة، وكأنما هو ستار يغمر المكان في رهبة صامتة، جاعلًا من المستحيل رؤية أي شيء واضح تحت ظلاله المخيفة.

تفتتت الحجارة وتساقطت الألواح، واهتز المختبر تحت وطأة قوى نعمان العميقة، التي أحاطت به كهالة قاتمة تحمل بين طياتها غضبًا لا يرحم، وفي وسط هذا الدمار، وقف نعمان ثابتًا، يُحدق في مشهد الخراب ببرود، وعيناه تلمعان بوميضٍ شرس وهو يرى خصمه يختفي في غمضة عين، ورغم إحساسه بجبروتٍ طاغٍ، شعر بمرارة طفيفة؛ ياوي قد نجا في اللحظة الأخيرة.

وعندما تأكد نعمان أن المختبر قد تحطم تمامًا، وأن كل شيء حوله قد ذاب في الظلال التي أحاطت به، التفت نحو آرام ببطء، وقبض على ذراعه بقوة، مذكرًا إياه بصمت أنه هو الناجي الوحيد من هذا الجحيم الأسود، كان وميض من العزم البارد يبرق في عينيه، كأنه يُحذّر آرام بصمت أن هذا الدمار هو جزء ضئيل مما قد يُحدثه إذا لزم الأمر.

وبخطى ثابتة ودون أن ينبس بكلمة، سحب نعمان آرام من بين الأنقاض المتساقطة، واندفع به نحو الخارج، تاركا خلفه المختبر وقد تحول إلى رمادٍ تحت وطأة العدم، ومع كل خطوة يبتعدان عن المكان، كان السواد ينحسر تدريجيًا حتى وصلا إلى الحدود الأخيرة لمملكة الأرضيين، وعينا نعمان ما تزالان متوقدتين بعزمٍ لا يلين، كأنما يقسم أن طيف ياوي لن يظل بعيدا عنه طويلا، وأن الانتقام سيلاحقه أينما ذهب..

لم يكن نعمان يعرف الهدوء الذي سكن المكان بعد هروبه من المختبر، فقد خرج يحمل في قلبه الغضب يتأجج كاللهب، وقد ترك خلفه مشهد الدمار الذي أسفر عن تداعي الأسوار والأعمدة في مختبر ياوي، أصوات الانهيارات ما زالت تتردد في أذنيه، وأمواج الطاقة المظلمة التي أطلقها تتلاشى ببطء في الفضاء المحيط.

وقف نعمان وآرام على مسافة من أنقاض المختبر، وكان من الواضح أن الغضب لم يغادر قلب نعمان بعد، نظر إلى آرام، الذي بدا عليه الحيرة، وشعرَ للحظة بأن عليه كشف الحقيقة ولو بشيء من الغموض، عله يحث آرام على الاقتراب منه لا الابتعاد.

بصوت عميق وبارد، قال نعمان:

- هذا المكان ليس آمنًا لك، ولا لي، ما كنت لأسمح لياوي بالخروج حيًا لولا أنني أدركت أن الوقت ليس في صالحنا الآن، إن أردت الحقيقة كاملة، فيجب أن تعرف أن هذه ليست النهاية، بل مجرد البداية.

شعر آرام بتيارٍ من الخوف يزحف إلى روحه، ومع ذلك حاول أن

يبدي تماسكا، ليجيب بصوت متردد:

- وما الذي سيأتي بعد ذلك؟ ما الذي تخفيه؟ اقترب نعمان منه، وأمسك بكتفه بإحكام:

- أنا لا أخفي شيء، لقد تأكدنا من كونك ولدي والآن دعنا نعود إلى البيت و هناك ستكتشف المزيد، لكن اعلم أن هناك ثمنًا لكل هذا، وثمن معرفتك ليس ببسيط، إن أردت، فعليك أن تعدني بشيء واحد.

بدا الدهاء في عيني نعمان كأنه يفتش عن التزام من آرام، عن رغبة في تحدٍ طويل الأمد، فقال:

- أريد وعدًا... وعدًا بالانتقام، أن تنتقم من ياوي يومًا ما، حتى لو كان هو من علمكَ كل شيء، هل تجرؤ على ذلك؟

كان وقع الكلمات ثقيلا، أحس آرام بتردد يجتاحه، لكنه تمالك نفسه بصعوبة، وقال بنبرة تنم عن حزم:

- سأفعل... سأنتقم، متى ما حان الوقت.

تسلل الرضا إلى نفس نعمان، كأنما قد حقق شيئًا من مخططه، ومع ذلك كان يعلم أن هناك خطوات أخرى في انتظارهم:

- إذن فلنذهب... هناك من ينتظرنا، وهناك من عليك أن تعرفه، وعليك أن تكون مستعدًا لأي شيء، فأنت قد أصبحت جُزءً من هذه اللعبة، سواء أردت ذلك أم لا.

أمسك نعمان بذراع آرام، وفي عينيه بريق مُبهم من الحماية التي

لا تخلو من الغموض، وقال:

- عائلتك تنتظر، لكن تذكر، ليس كل ما تراه هو كما يبدو، سنعود إلى القصر، حيث ستتعرف على عائلتك، وسنكون مستعدين لكل تهديد يقترب منا.

بينما انطلقا معًا نحو القصر، كان الظلام يزداد عمقًا من حولهما، كأنما يغرقهما في رعبٍ صامت، يحمل في طياته ماضيًا مليئًا بالأسرار ومستقبلاً محملاً بالتهديدات.

و في أعماق قلب مملكة الظلال، حيث تمتزج أنفاس الأرض برائحة الموت والمخاطرة، وقف نعمان وآرام أمام أبواب رحلة تحمل أكثر من مجرد مغامرة، كانت السماء السوداء متوجة بهالة غامضة، وأشعة قمر باهت تتسلل عبر الشقوق الضيقة بين الجبال، تلقي ضوءً رماديًا كئيبًا على ملامحهما المتوترة، سكون الليل لم يكن إلا وهمًا، فكأنما الهواء الثقيل يتآمر مع الظلام ليبث الرعب في نفسيهما، كأن المملكة نفسها تنتظر بفضول شرير لتختبر قوة علاقتهم وتكشف خبايا الأسرار المدفونة.

كان آرام يشعر بارتجاف غير معتاد يسري في جسده، إحساس غريب بين الشوق والرهبة. لم يكن قلقه عاديًا؛ بدا الأمر كما لو أن همسًا خفيًا يعبر إلى أعماقه، يشير إلى أن هذه اللحظات ليست مجرد عبور عادي بين ظلال الماضي والحاضر، قلقه الحقيقي لم يكن على نفسه، بل على العائلة التي لم يعد يعرف كيف سيكون وجههم حين يكتشفون وجوده..

«كيف سيستقبلونني؟ هل سيستطيعون رؤيتي كما كنت، أم

أن الهوة بيني وبينهم باتت واسعة كفجوة هذا الظلام الذي يغمر المملكة؟»

ألقى نظرة على نعمان، على الرجل الذي لم يعرفه يومًا كأب، ولكنه الآن يبدو كجدار واقٍ يحمله في هذه اللحظة، مزيج من الطمأنينة والرعب كان يشوب نظرة آرام، فها هو يقف أمام أسطورة، لكنه ليس مجرد أسطورة؛ هو أب وأمل وربما عدو!

كان نعمان يسير بخطوات مترددة، تحكمها ذكريات معقدة، عيناه متيقظتان كأنهما تبحثان عن ظلال الماضي في كل زاوية، وفي كل خطوة كان صدى خطواته يعلن عودة محتملة للمجد أو الضياع.

ما إن وصلا إلى عتبات القصر حتى خيم صمت ثقيل، نعمان كانً يبدو قويًا من الخارج، لكنه في داخله كان يغلي، يحمل عبئًا ثقيلا يكاد ينهار تحته؛ حقيقة أن له ابنًا لم يعرفه ولم يتخيل وجوده حتى وقت قريب، داخل صدره، تنازعت السعادة مع الألم كطيفين عابثين، لم يكن يتخيل يومًا أن يرتبط مع شخص بعيد، غامض، كآرام.. «ابني... هو ابن روهان،»

همس لنفسه بصوتٍ متحشرجٍ، وكأن الحروف نفسها تخنقه.

لحظة واحدة تلاقى فيها البصر بينهما، تململت فيها حواس نعمان، شعر بارتباك آرام، وكأنما يرى في عينيه الخوف الذي عرفه يومًا، خوف الفقد والغربة، فهمس له:

- لا تخف يا بني ستكون الأمور بخير، سأكون هنا بجانبك، ولن أسمح لأحد أن يمسك بسوء.

كانت نبرة صوته مزيجًا من الحنان والعزم، كأنما يحاول أن يؤسس لدور الأب الذي لم يره آرام من قبل.

بينما كانا يقتربان من باب القصر الضخم، شعر آرام بشيء أشبه بالشوك يسري في عروقه، لم تكن مجرد رهبة العودة، بل كانت انذارات القدر تدق أجراسها، كأنما يحذرانه أن كل شيء سيأخذ منحى آخر، منحى يحمل في طياته ذكريات طي النسيان وحسابات لم تتم تصفيتها بعد..

»هل يمكنهم تقبلي كما أنا الآن؟«

تردد السؤال في عقله، يتردد في كل خطوة ويعيد إليه خوفه من الرفض.

في تلك اللحظة، استشعر نعمان الصمت البارد الذي خيم، وعاد به عقله للحظات الضياع التي عاشها، اللحظات التي فقد فيها أشياءً وأشخاصًا لم يكن يتوقع أنهم سيتركونه يومًا، كان قلبه يعتصر، فهو الآن يجد ابنه، لكنه يدرك أيضًا أنه فقد الكثير.

»كيف يمكن للقدر أن يجمع شتات أرواحنا في وقت كهذا، وأنا على حافة الهواية«

شقًا طريقهما عبر قاعات القصر الذي بدا كالطيف المظلم يعج بأسرار عائلته، وجدران تهمس بأحاديث الماضي وأشباحه، كل زاوية كانت تحتوي على قصة منسية، كأنما القصر يحتفظ بذاكرته الخاصة، ذاكرة لعنة أو قدر محتوم، لحظات الصمت كانت تختلط بصدى خطواتهما، ترتد على جدران القاعات كأنها تعكس الألم

والحنين والأمل المضطرب.

أخيرًا، وصلا إلى باب عتيق يكاد ينكسر تحت وطأة الزمن، وبينما كانت الأبواب تفتح ببطء، بدت تلك اللحظة كأنها فاصلة بين زمنين، شعر آرام أن كل شيء على وشك الانفجار، أن الأسرار التي تراكمت في قلبه وكلمات أبيه التي كان يخفيها خلف قناع الغموض، كلها ستتفجر...

لكنه كان على يقين أن لا شيء سيبقى كما هو بعد هذه اللحظة.

***

الفصل الثالث عشر

في قلب القصر المظلم، حيث كانت الجدران مليئة بالذكريات المخبأة، شعر آرام بثقل خطواته وهو يقترب من الباب الذي يؤدي إلى الغرفة التي تحتضن والدته، روهان...

كان قلبه ينبض بسرعة، كأن كل نبضة كانت تحمل في طياتها آلام السنين التي مضت، والأسئلة التي لم يجد لها إجابات، تردد في المشي خطوة أخرى، فكل جزء من كيانه كان يصرخ بالخوف من المواجهة، ولكن في الوقت ذاته كان هناك شوق جارف يربطه بتلك اللحظة التي طالما حلم بها..

وعندما دفع الباب برفق، انفتحت أمامه غرفة مليئة بالضوء الخافت الذي يصطدم بالجدران العتيقة، وكأنها تصارع الظلال التي كانت تخيم على كل شيء، وفي الزاوية، كانت روهان تجلس، عيناها تتوهجان ببريقٍ غريبٍ، وعلى الرغم من نور الغرفة، كانت الظلال التي حولها تنبئ بشيء من الغضب الكامن في أعماقها.

عندما التقت عيونها بعيون آرام، ارتجف قلبه بشدة، كان هناك شيء في نظرتها لا يمكن تجاهله، لم يكن ذلك الحنين الذي توقعه، بل كان خيبة أمل وغضب لا يمكن إخفاؤه..

- أنت؟!

همست بصوت منخفض لتحدق في بني النعمان بغضبٍ وكأنه يتحداها به..

لم يكن آرام مستعدًا لتلك المشاعر التي غمرت المكان، شعر بمزيج

من الذنب والارتباك، كان يشتاق إليها بشدة، لكن هذه المرة لم تكن اللحظة كما تخيلها، حاول أن يبتسم، لكن الشكوك التي تغلغلت في قلبه جعلته يرتبك أكثر، فحاول أن يشرح، لكن الكلمات خنقته:

- أمي... أنا...

وفي تلك اللحظة، اقتحم نعمان الغرفة بخطوات سريعة، وكأن قلبه هو الآخر يسرع لضبط إيقاع هذا اللقاء العاصف، كان يعرف أن روهان قد تكون غاضبة، وكان يجب أن يكون هناك لتهدئة الأمور، تقدم بسرعة، ووضع يده على خصرها برفق يضمها إليه وهو يؤكد لها:

- اسمعيني، يا روهان... هذا هو آرام، ابننا، ابننا نحن الاثنين، سأشرح لك كل شيء بعد قليل، لكن الآن... استقبلي ولدكِ كما يجب.

أصابتها كلماته كالصاعقة، ولكن كان هناك شيء في نبرة صوته يعكس صدقًا عميقًا، بالتأكيد لو آرام ابن عفرين من المستحيل أن يأتي به نعمان لغرفتها، أخذت لحظة لتنظر في عينيه، ثم عادت لتنظر إلى آرام، الذي كان يقف أمامها، متجمدًا بين الخوف والارتباك، لكن شيئًا ما في عينيه كان يؤكد لها حقيقة لا يمكن إنكارها.

- ابننا؟

همست بصوت ضعيف، بينما كانت نظرتها تتحول من الغضب إلى شيء آخر، خليط من الحيرة والدهشة وهي تلتقط انفاسها قائلة:

- لم أكن أعرف... كنت أنت دائمًا في أحلامي، ولكن لم أتوقع أن أراك متجسدًا أمامي.

كان آرام لا يزال يشعر بالذنب، تحرك خطوة نحوها، وقال بصوت مرتعش:

- كنت أبحث عنكِ طوال هذه السنوات، لم أكن أعرف أنني سأجدكِ، ولم أكن أعرف أي شيء عن عائلتي. كل شيء كان ضبابًا في ذهني، لقد كنتِ أيضًا تقتحمين أحلامي كل ليلة.

كان نعمان يقف بينهما، عيناه مليئتان بالحزن تارة وبالرغبة القوية في الانتقام تارةً أخرى.

وكانت تلك اللحظة نقطة التحول، حيث بدأ كل شيء في التماسك أمام أعينهم، حاولت روهان أن تبتسم، تلك الابتسامة التي كانت تطير من قلبها، مترددةً بين الحزن العميق وبين الفرح الذي بدأ يطفو على سطح مشاعرها.

- سنكون معًا الآن... وأخيرًا.

قالتها بضعف، لكنها كانت تعرف أن هذا اللقاء هو بداية لمصير جديد، مصير كان مدفونًا تحت طبقات من الزمان والألم.

وفي تلك اللحظة، تلاشت كل الكلمات التي لم تُقل، لأن المشاعر كانت تتحدث بصوت أعلى من أي كلمات قد تُقال.

وفي مساء دافئ، كانت الأضواء تتراقص على جدران القصر، وتنعكس عليها الظلال بطريقة غامضة، كما لو أن كل زاوية تخفي سرًا جديدًا، في هذه الأجواء المشحونة بالتوتر والانتظار.. وفي جوٍ مشحون بالترقب، دخل يوناس إلى غرفة أبيه، حيث وجد هناك زوجته إيلينا و سارافيم ومعهم آرام يلتفون حول أبيه وأمه،

اتجهت العيون نحوه تتأمله وهم يعتقدون أن نعمان قد استدعاه كما استدعاهم، لكن ملامح يوناس كانت مضطربة وكأن هناك شيء غير اعتيادي، شيء ثقيل جدًا يعيق حركته وكأن قلبه قد وقع في قاع هاوية، أوقفته اللحظة عند الباب، لكنه دخل بصمتٍ ثقيل.

وقفت إيلينا أولا، ونظرت إلى وجهه المرهق، فشعرت بشيء غريب يغمر المكان، سارافيم كانت تنظر إلى وجه أخيها وتراقب في عينيه ما لم تفهمه بعد، أما آرام، فقد شعر بشيء غريب يملأ صدره، إحساس بالضياع لم يعرفه من قبل، كان الجو مشحونًا، والقلوب تنبض بسرعة كأنها تنتظر الشرارة التي ستفجر الصمت.

ألقى يوناس نظرة خاطفة على الحضور، ووقف هناك، عيناه مليئة بالثقل والهم كان كمن يحاول أن يجد الكلمات المناسبة ليكسر حاجز الصمت الثقيل الذي يلف الغرفة، فترات الصمت كانت تطول، وعيناه تتحاشى النظر إلى أي منهم لفترة طويلة.

فهم نعمان على الفور، أن هذه الزيارة لم تكن مجرد مرور عابر، بل كان يوناس يحمل سرًا ثقيلا يود أن يشاركه، وقف نعمان في مكانه، وعيناه تغطيها نظرة حادة مليئة بالفطنة، وبدأ بالكلام بصوت منخفض ولكنه ثابت:

- لقد جئت في الوقت المناسب يا يوناس، لقد أخبارنا ياوي إن آرام هو ابني من روهان.

الكلمات كانت تنساب ببطء، لكن كل واحد منهم كان يدور في فلكٍ عكس الآخر..

نزل عليهم الخبر مثل الصاعقة التي تهز الأرض تحت أقدامهم، قلب كل فرد في الغرفة توقف للحظة، وكأن ما سمعوه لا يمكن أن يكون صحيحًا، اتسعت أعينهم، وامتدت الدهشة إلى أعماقهم كأنه فجر جديد.

سارافيم، التي كانت تعرف جيدًا أن آرام هو شقيقها من جهة الأب نعمان والأم هند، توقفت للحظة، ولكن بمجرد سماعها لكلمات نعمان، كان الأمر أشبه بزلزال يضرب قلبها، تساقطت الدموع من عينيها بشكل مفاجئ، لم تكن تعلم إذا كانت دموعها تعبيرًا عن الصدمة أو عن خيبة الأمل، كيف يمكن أن يكون هذا؟ كيف يمكن أن يكون آرام ابن روهان وليس هند؟ قلبها كان يئن من هذا الاكتشاف، وذهبت أفكارها بسرعة في كل الاتجاهات، نظرت إلى آرام، الذي كان يقف بصمت، وداخلها شعور مزدوج، خليط بين الحب الأخوي والشعور بالخذلان.

أما عن يوناس، الذي كان طوال حياته يشعر بالوحدة، ويعتقد أنه الوحيد الذي يحمل عبء العائلة، شعر بهزة عنيفة في قلبه، لم يكن يتوقع أبدًا أن يكون له أخ آخر، فكل حياته كانت تدور حوله وحول فكرة العائلة المترابطة، لم يكن يشعر بالغيرة أو الغضب، بل بالعكس، كان هناك شعور غريب من الراحة، كأن هذه الحقيقة قد جعلت حياته أكثر اكتمالًا، ولم يستطع إخفاء ابتسامة صغيرة على وجهه، رغم أن الأمر كان يحتاج إلى بعض الوقت ليتأقلم معه، ولكنه سيحاول جاهدا أن يتخيل كيف ستبدو العلاقة مع هذا «الأخ» الجديد بالإضافة لسارافيم بالطبع.

أما إيلينا، فكانت مشاعرها غريبة تمامًا، كان الأمر بالنسبة لها وكأنها سقطت في حفرة عميقة من الأسئلة، لقد كانت قد اكتشفت مؤخرًا وجود سارافيم، لكن الآن عليها أن تقبل فكرة أن لديها ابن خالة آخر غير يوناس، »أخ آخر؟«

همست بصوت منخفض، محاولة استيعاب المعنى الكامن وراء تلك الكلمات، كانت مشاعرها مشوشة، غير قادرة على تحديد مكانها في هذا الدوامة العاطفية التي أحاطت بها، كان عقلها يرفض تصديق الفكرة، لكنها كانت تعرف في أعماقها أنه لا مفر من الحقيقة.

وفي تلك اللحظة، ابتسم نعمان بخفة، ووقف إلى جانب روهان، محاولا منحها الطمأنينة التي كانت بحاجة إليها، كانت ابتسامته غير عادية، كان هناك في تلك الابتسامة لمحة من الحنين، وتأكيد على أن هذا التغيير الكبير سيكون بداية لفصل جديد..

روهان، التي كانت تتأمل كل ما يحدث حولها، لا تستطيع إخفاء شعور السعادة الذي بدأ يتسلل إلى قلبها، كانت تعلم أن كل شيء سيختلف الآن، وأنها قد تحصل على فرصة جديدة لإعادة بناء علاقاتها مع عائلتها، عندما التقت عيناها بعيني نعمان، شعرت بشيء عميق، وكأن قلبها أخيرًا بدأ يشعر بالسلام وسط هذا الزلزال العاطفي.

كانت الأجواء في الغرفة مليئة بالصمت المطبق، وكأن الزمن قد توقَّف فجأة ليتنفس الجميع معًا قبل أن تأتي لحظة الحقيقة، نظر نعمان إلى آرام بحنان عميق، وكأن كل لحظة مرت من عمره قد تجمعت في هذه اللحظة التي وجد فيها ابنه، الذي كان جزءًا من قلبه

المفقود منذ سنوات طويلة، لكن في تلك النظرة كان هناك شيء أكثر من مجرد الأبوة، كان هناك ارتياح لكونه ولده من حبيبته التي لم يعشق غيرها، وبصوت عميق، كانت كلماته لا تنبع من مجرد أمر عابر، بل كانت تنضح بمشاعر مُعقدة، مزيج من الفخر، والشوق، والخوف:

- آرام، سأتركك مع والدتك لبعض الوقت.

عيناه كانتا مشدودتين إلى يوناس وهو يحاول استيعاب ما يخفيه عنه:

- أريد أن أجتمع مع يوناس لأمر هام.

شعر آرام بتلك الكلمات كما لو أنها شعاع كهربائي أصاب قلبه، كان لا يزال يغرق في بحر من المشاعر المتناقضة؛ السعادة التي ربطت قلبه بعلاقة جديدة مع والده، والخوف الذي تسلل إلى صدره وهو يشعر بفراغ قديم ينبعث من جوفه، كان يريد أن يصدق كل شيء، لكنه لم يستطع التوقف عن القلق وخاصة بعدما ظهرت تاج في حياته، تلك العجوز التي من الواضح أنها تريد إحداث عاصفة قوية ستغير كل شيء..

- لكن، هل سأراك قريبًا، يا أبي؟

كانت نبرته ترتجف قليلا، وكأنها تتنقل بين الأمل والحيرة، وكأن ذكرى كل اللحظات الضائعة بينهما تتجدد أمام عينيه في لحظة واحدة، كانت الكلمات تخرج منه بصعوبة، كأن الحروف نفسها كانت تتردد في محاولة الإمساك بالحقيقة كاملة وهو يناديه أبي..

تأمل نعمان وجه ابنه لحظة، وتراجع قلبه قليلًا، لكنه سرعان ما

ابتسم ابتسامة خافتة وهادئة، كأنه يحاول أن يمنح نفسه الأمل في هذا اللقاء المتأخر:

- بالطبع، سأعود إليك يا بني.

كانت كلماته مليئة بالوعد، لكنها كانت تحمل في طياتها أيضًا حزنًا مريرًا، حزنًا على سنوات ضاعت من عمر الفتى وهو بعيدٌ عنه، ثم التفت إلى يوناس الذي كان يراقب كل شيء بعينين متلهفتين، كالطفل التائه الذي يبحث عن الخلاص:

- هيا بنا.

بينما كان نعمان يلتفت ليغادر، تقدمت روهان نحوهما بحركة هادئة، وتوجّهت إلى آرام، قلبها كان ينبض بعنف، مشاعر متضاربة تغمرها؛ فبينما كانت تشعر بفرحة عودة نعمان إليها بهذا الخبر السعيد، كانت هناك فوضى في أعماقها تجاه هذا التغيير المفاجئ، لكنها لم تستطع إلا أن تنحني لتحتضن ولدها بشوق وكأنها كانت تقدم له حماية كاملة، دفء العالم بأسره..

- تذكر أنني هنا من أجلك يا ولدي.

همست بكلمات تهدئ من روعه، كلمات كانت أكثر من مجرد تعزية، كانت وعدًا بأن لا يتخلوا عن بعضهم مهما حدث.

شعر آرام بالعاطفة الجارفة التي أفرغتها روهان عليه، وكان قلبه يعج بالأحاسيس التي كان قد فقد الأمل في الإحساس بها منذ سنوات، لكنه رغم ذلك، جمع شجاعته، وألقى على والدته ابتسامة خفيفة واثقة:

- وأنا أيضًا موجودٌ هنا لأجلك يا أمي.

كان صوته مليئًا بالعزم، مع أن قلبه كان لا يزال غارقًا في بحر من الأسئلة والقلق، لم يعرف كيف سيكون الوضع، لكنه كان يريد أن يصدق هذا الأمل.

ثم، أخذ نعمان يد يوناس واختفيا من المملكة بينما كانت تلاحقهما الظلال التي تخبرهما بشيء مظلم في الطريق الذي ينتظرهما...

كانت مشاعر كل فرد في الغرفة متضاربة، كلهم يشعرون أن شيئًا أكبر من مجرد كلمات قد بدأ للتو، وأن الحقيقة ستكشف عن نفسها ببطء، كما لو أن الأقدار نفسها تتآمر لتبين لهم مصيرًا جديدًا.

وفي عمق الصحراء الشرقية، بعيدًا عن العالم، حيث يتعانق الرمل مع الأزمنة الغابرة، كان وادي الحيتان يختزل في صمته عظمة الطبيعة وسحرها الغامض، وقف نعمان إلى جانب يوناس، يتأملان هذا المكان الذي اختاراه ليكون شاهدًا على أسرارهما...

هنا، وسط هياكل الحيتان العملاقة التي استكانت في رمالها كأنها حراس الزمن، استمع نعمان إلى كلمات ولده بتركيز شديد. فتحدث يوناس بصوت خفيض، كأنما يخشى من تسرب أسراره لهذا المكان العتيق:

- أبي... لقد رأيت روهان تتدرب على نوع من السحر الأسود لم أره من قبل، شيء يختبئ فيه ظلام غريب، كانت تحيط نفسها بهالة ثقيلة، كأن كل ذرة من الهواء كانت تنبض بقدرة مرعبة تنتظر أن تُطلق.

أطرق نعمان رأسه، ثم رفع عينيه إلى يوناس، يلتقط كل حرف وكل نظرة ليكتشف عمق ما يحمله الخبر، ثم سأله بنبرة جامدة كأنها تصفّر في هواء الوادي الخالي، وكأنه يعرف البقية حتى من قبل أن يُخبره:

- وماذا عن نعمان الصغير؟

رد يوناس بصوت متهدج، كأنه يقترب أكثر فأكثر من سر خطير:

- وجدته يعزف على ناي قديم، يا أبي... ولكن هذا العزف لم يكن عاديًا، كان نغمه يحمل معه شيئًا... شيئًا يُخضع من حوله، رأيت الجن، الإنس، وحتى الشياطين يستجيبون لموسيقاه كأنهم مسحورون، يتحركون وفق إرادته وكأنهم جيش تحت أمره.

صمت نعمان للحظات، يغرق في عمق أفكاره، وتسلل إلى ملامحه شيء من القلق المختلط بنظرات حادة تكشف عن فطنة قادرة على التقاط الخطر من قلب التفاصيل، لم يكن مجرد فخر بقدرات أبنائه، بل كان إحساسًا غريزيًا ينبئه بأن ما يحدث ليس عاديًا، التفت إلى يوناس وقال بصوت عميق ومهيب:

- إذا كانت قدراتكم قد ظهرت فجأة، بهذا العمق وهذه القوة... فهذا يعني أن هناك شيئًا عظيمًا قادم، ليس هذا النوع من القدرات يظهر دون سبب.

كان يفكر بأن هذه الطاقة التي بدأت تتجلى في عائلته لا تأتي إلا استجابة لحدثٍ كبيرٍ أو لتحدٍ مصيري، تأمل وادي الحيتان بنظرة عميقة، كأنما يحاول قراءة نبوءة قديمة محفورة بين أضلعه، وقال

بصوت متجدد بالعزم:

- هناك قوى تترقب من بعيد، شيء قادم نحونا، شيء أعظم من مجرد سحر عادي، علينا أن نكون مستعدين، لأن هذا ليس إلا نداء لبداية معركة قادمة، معركة لم نخترها، لكنها اختارتنا.

شعر يوناس بقشعريرة تسري في جسده، وعيناه تتسعان شيئًا فشيئًا وهو يستوعب حجم الأمر، أما نعمان، فقد استقام ورفع بصره إلى السماء الداكنة التي بدأت تغرق في ألوان الليل، وتحدث كأنه يخاطب الوادي العتيق نفسه:

- ونحن سنواجه أي قوة تقترب، وسنستعد... ستكون هذه البداية، وسنكون أعظم مما يتخيلون.

ومع تلك الكلمات، لم يكن نعمان فقط يعد نفسه، بل كان يعد وادي الحيتان ليكون شاهداً على ميلاد عهد جديد، عهد يستعد فيه لقوة أكبر، ومواجهة قدرٍ لا مفر منه.

***

تحت ضوء القمر الذي ينساب كخيوط فضية فوق الوادي العميق، جلست سارافيم وإيلينا على حافة الجرف، حيث تتساقط الظلال وتغمر الأفق المظلم، كانت الأجواء هادئة بشكل غريب، كأن الكون نفسه يحبس أنفاسه استعدادًا لما هو آتٍ، ومع ذلك، في داخلهما كانت المشاعر تتنقل كعواصف، مزيج من القلق والفزع، وبينما تراقب كل واحدة منهما النجوم التي لا تعبر السماء فحسب، بل أيضًا عوالم غير مرئية، كان كل شيء يبدو مختلفًا بعد عودة آرام.

سارافيم، التي كانت دائمًا تسيطر على مشاعرها بحزم، غمرت عينيها لمعة من التوتر:

- هل تشعرين أن شيئًا سيحدث؟

كان صوتها هادئًا، لكن نبراته تخفي خلفها دويًا من القلق، وكأن الكلمات نفسها تشعر بعبء السؤال:

- أقصد هل تعتقدين أن كل شيء سيعود كما كان بعد ظهور آرام؟

كانت إيلينا تراقب السماء بعينيها اللامعتين، أومأت برأسها في صمت، وهي تشعر بثقل هذه اللحظة:

- نعم، أشعر بذلك... ظهوره في هذا الوقت غريبٌ للغاية، كل شيء أصبح وكأنه تحول إلى شيء آخر، شيء لا يمكننا تحليله بسهولة.

كان صوتها مشوبًا بالحيرة، كأن النجوم التي تنير السماء تملك مفاتيح أسرار الحياة، لكنها عاجزة عن تفسيرها.

تبادلت الاثنتان نظرات عميقة، مشبعة بالتساؤلات غير المنطوقة، وكأن كل واحدة منهما ترى في الأخرى انعكاسًا لمخاوفها وآمالها التي تذوب في المجهول، لم يكن حديثهما مجرد كلام عابر، بل كان همسات قلوب محطمة، قلوب مملوءة بالألم والحيرة، تبحث عن بعض الضوء في هذا الظلام الذي لا ينتهي.

سارافيم، التي كانت تتجنب دائمًا الخوض في المشاعر العميقة، استدارت فجأة نحو إيلينا، وعيناها مليئتان بالذكريات التي تجتاحها كأمواج عاتية:

- لقد كنا نعتقد أن الأمور ستستقر، بعد كل هذا العناء، بعد كل ما حدث، لكن الآن... وجوده يعيد لي أحداثا كنت قد تخطيتها، أشعر أن مع ظهور فردًا جديدًا في هذه العائلة، يلتصق بكارثة حتمية.

كان صوتها يرتجف، كما لو أن الظلال التي تعيش فيها تأبى الرحيل، وكأن الحاضر نفسه يذكرها بشيء مظلم لا مفر منه. - أخشى أن تعود تلك الأوقات التي عشت فيها في الظلام، تلك الأيام التي لا أستطيع تحملها مجددًا.

كانت إيلينا دائمًا ما تملك قدرة غريبة على تهدئة الآخرين، حاولت أن تشعّ بالأمل رغم الاضطراب الذي كانت تشعر به هي نفسها:

- لكنني أعتقد أن وجوده قد يكون فرصة لنا لنبدأ من جديد، ربما يكون هو الأمل الذي نحتاجه، حتى لو كان كل شيء غريبًا وعقيمًا في البداية.

ابتسمت ابتسامة هشة، كأنها تحاول إقناع نفسها أكثر من أن تقنع سارافيم، لكن عينيها كانت تفضح قلقها العميق، ذاك الذي كان يختبئ وراء كل كلمة وكل حركة.

مرت لحظات صمت بينهما، كان كل شيء كأنه يتوقف، وكل صوت يخفى تحت وطأة هذه اللحظة، ثم فجأة، انفجر ما في قلب سارافيم، وتحدثت كلماتها كأنها تفجرًا داخليًا:

- أنا أريد أن أكون قوية مثل أبي، لكن أحيانًا أشعر بأنني ضعيفة، وكأنني غير قادرة على تحمل الضغوط التي يتطلبها هذا الدور، أشعر أنني أفتقد القوة، وكلما حاولت أن أتماسك، كلما انهارت بعض أجزاء

مني.

كانت الكلمات تُلقى كالدموع التي كانت تحاول أن تخفيها، كانت اللحظة ثقيلة، لكنها تعكس الحقيقة التي كانت تتقاتل داخلها.

استجمعت إيلينا قوتها وقالت بصوت حازم، رغم الوهن الذي كان ينهشها:

- لا تدعي تلك المشاعر تسيطر عليكِ يا سارافيم، نحن هنا معًا، وسنظل كذلك مهما كانت التحديات، وجود آرام معنا قد يكون الفرصة التي نحتاجها لنصبح أقوى، إذا كنا مستعدين للقتال من أجل ذلك.

أخذت سارافيم نفسًا عميقًا، محاولة أن تخفي وراء ابتسامتها الحزينة عبئا ثقيلا:

- شكرًا لكِ يا إيلينا، وجودك بجانبي يجعل الأمور أسهل بكثير.

كانت الكلمات صادقة، لكن داخليًا كانت تعلم أن هناك شيئًا أكبر مما يمكنها تفسيره، كان الليل نفسه يحجب عنها الإجابات التي تحتاجها، وكأن المجهول يبتلع كل شيء حولها.

ومع مرور الوقت، بدأت مشاعر الوحدة تزداد ثقلا على قلب سارافيم، كانت بحاجة إلى لحظة بعيدة عن كل هذا، لحظة لتصفية ذهنها من الأسئلة التي تتراكم وتلتف حول قلبها مثل شباك العنكبوت، شعرت بأن عليها أن تتخلى عن هذه الضوضاء المحيطة، وتغرق في الصمت العميق الذي كان يدعوها لاستكشاف أسرارها الداخلية، أسرار قد تغير كل شيء، فأمسكت يد إيلينا ونقلتها لغرفتها

قائلة بصوتٍ هادئ:

- عزيزتي، أتمنى أن تأخذي قسطا من الراحة الآن، سأتركك تنامين.

كانت كلمات سارافيم أشبه بوداع غير معلن، كما لو أن شيئًا يدعوها للرحيل، للابتعاد عن هذه اللحظة التي كانت تحاول بكل قوتها أن تحافظ عليها.

خرجت سارافيم من غرفة إيلينا وعادت لغرفتها تحاول أن تسترخي، ولكنها لم تتمكن من تهدئة أعصابها، شعرت بأن هنالك شيئًا غير مريح في الهواء، كأن شيئًا غريبًا يتربص لها خلف الظلال، دفعتها تلك المشاعر المقلقة إلى الوقوف ببطء، وجسدها ينبض بشدة، وكأن هناك قوة غير مرئية تسحبها نحو مكانٍ آخر.

فجأة، شعرت بشيء غير عادي، وكأن العالم من حولها بدأ يتغير، كانت الرياح تهمس في أذنها، وكان صوتها يقترب من قلبها بشكل غريب، استدارت سارافيم، وحينما رفعت عينيها، لم تجد نفسها في غرفتها بعد الآن!

وبدلًا من ذلك، ظهر أمامها شيء ما في الظلام، يخطو خطواته ببطء.

في تلك اللحظة، شعرت بهواءٍ ثقيل يحيط بها، وكأنها على وشك التفاعل مع عالمٍ آخر، كانت الرياح تدور حولها بشكل مستمر، وأشعة ضوء غريبة بدأت تنبعث من السماء المظلمة، تهتز جميع الأشياء المحيطة بها، وكأنها في انتظار أن يَحدث شيء عظيم.

وفي تلك اللحظة، شعرت بشيءٍ يدفعها نحو الاتجاه الذي لم يكن

بإمكانها مقاومته، كانت طاقة قوية تتحرك في جوها، غريبة ومقلقة، ما أن تقدمت خطوة، حتى شعرت به، كان يتبعها، يراقبها في الظلال!

ثم، كما لو أن الأرض قد اختفت تحت قدميها، تم سحبها إلى مكان آخر، إلى عالمٍ آخر... غريبٌ وغير معروف، وبدا وكأنها على حافة العوالم المظلمة التي لم تجرؤ يوماً على تخيلها، ومع كل خطوة كانت تتخذها، كان يملؤها شعورا متزايدا بالسحر، وقوة روحية متجددة.

حينما شعرت بأنها استقرت أخيرًا في مكان ما، كانت عيونها تلتقط كل تفصيل غريب في هذا العالم، وعلى الرغم من الظلام الذي يلف المكان، فإن هناك شيئًا ما مضيئًا في الأفق، كأن الضوء يأتي من مكان بعيد، لكنه يتناثر حولها بشكلٍ متقطع.

وفي تلك اللحظة، ظهر أمامها شخص آخر، كان طويلا ذو هالة غامضة حوله، عيونه تتوهج بتوهج أزرق غامق، وكأنما كانت تنبعث منه طاقة قديمة.

- سارافيم، لقد كنتِ دائمًا تستحقين هذا.

كانت كلماته تتردد في المكان، رغم أن الصوت بدا غير طبيعي، كأنما هو ينبعث من خلف الجدران أو من الزمان نفسه!

- ما تملكينه لا يتعلق فقط بماضٍ بعيد، بل بمستقبل يجهل الجميع قدره.

كان هذا الشخص، كما اكتشفت فيما بعد، ينتمي إلى قبيلة الشنفري العريقة، وكان أحد أجداد زوج أمها الأول، كان يمتلك قدرة كبيرة على التحكم في القوى السحرية العميقة، وكانت تلك القوة تتجاوز

تمامًا ما تعلمته من قبل..

- لقد راقبتكِ، ورأيت فيكِ ما لا يمكن للآخرين أن يروا، قوتكِ تملؤها الأسرار، وهناك طرق قديمة جدًا سيمكنكِ من إتقانها، وعليكِ فقط أن تفهمي حدودها.

شعرت سارافيم بشيء عميق في قلبها، كانت هذه الفرصة قدّ تكون الطريق الذي تبحث عنه، لكنها كانت أيضا مجالا مليئا بالمخاطر..

- ما الذي تعنيه؟

همست، وعيناها تتابع خطواته المتأنية نحوها وهو يقول:

- هناك أسرارٌ لا يمكن للبشر العاديين أن يدركوها، أسرارٌ تحتاج إلى مفتاحٍ قوي، القوة التي تحملينها لا تقتصر على السحر الذي تعرفينه، بل أنكِ تستطيعين الوصول إلى أبعادٍ أخرى، فيمكنك التحكم في الأبعاد الزمنية، والتلاعب بالطاقات الروحية بين العوالم، سأعلمك طرقًا لم تسبق لكِ رؤيتها، طرق في تحويل الأرواح إلى طاقةٍ مادية، في خلق وصلة بين الأرض والعالم الروحي.

كان صوته يحمل في طياته نغمة غامضة، لكنه كان يشدها بطريقة لا تستطيع مقاومتها، كان يعلم أن هناك قوة كامنة بداخلها، وهو الوحيد الذي يستطيع إرشادها لفتح أبوابها المظلمة.

- لكن عليكِ أن تعرفي، يا سارافيم، هذه الطرق قد تكلفكِ أكثر مما تتوقعين، البعض يفقد روحه في الطريق، والبعض الآخر يُسجن في تلك الأبعاد إلى الأبد، ماذا ستفعلين عندما تجدين نفسك على

الحافة؟

رغم كل مشاعر الخوف التي تجتاحها، شعرت بأن هذا هو ما تبحث عنه، ولكن في قلبها كان هناك صوتٌ آخر، صوت تحذير، يخبرها بأنها على وشك اتخاذ قرارٍ قد يغير حياتها للأبد.

***

الفصل الرابع عشر

»وقف نعمان أمام باب محراب الأقدار«

كان يتأمل النقوش القديمة التي تزين الباب، تلك الأشكال التي كانت تنبض بالحياة، تتلوى كأنياب حادة ملتوية على صخور صماء، كانت حدقتاه تتابعان مساراتها المتشابكة، كأنها تجذبها عبر خطوط حجرية متعرجة تشبه عروق الأرض التي تتخللها شرايين طاقة خفية، النقوش كانت تتحرك في تناغم محير، تتشابك وتلتوي كأنها تُعبر عن لغز عميق لا يمكن إدراكه بسهولة، بينما تجلت الرموز التي ظهرت بينها بصورة معقدة بشكل لا يُحتمل، لا يستطيع فك شفراتها أو فهم معانيها إلا من يمتلك حكمة السحرة العظماء، أولئك الذين يدركون أسرار الزمن والأماكن المخبأة.

حرك يده فأضاءت الحروف التي بداخلها سر لا يدركه إلا من امتلك المفاتيح، تلك الرموز كانت تبدو وكأنها تحمل معانٍ قديمة من العصور الغابرة، وحين كان نعمان ينظر إليها، كان يشعر وكأن كل منها يهمس له، يعده بالقوة، بالانتقام، وبالتحقيق للقدرة التي لا حد لها.

كان قلبه ينبض بالحماس وهو يتطلع نحو الباب و يتنفس بعمق، خطوته كانت ثابتة، ولم يكن هناك ما يعيقه، إنه هنا الآن، في هذا المكان الذي يخبئ بين جدرانه كل ما كان يسعى إليه.

وقف بني النعمان أمام الطاولة العتيقة، يراقب الأدوات التي كانت قديمة بما يكفي لتثير الهيبة، السم السحري كان في زجاجات

صغيرة، وكل واحدة تحمل تأثيراً فتاكاً بمرور الوقت، المرآة العظيمة التي كان يستخدمها لعكس القوة، كانت الآن تلمع بخفة، تكاد تخبره أنها على وشك تقديم ما طلب منها، والسلسلة المعدة لتقييد الخصم، كانت تنتظر اللحظة المناسبة لتتحرك.

لقد بعث لعفرين رسالة بموضعه، وأخبره فيها أنه قد علم بأمر آرام واكتشف حقيقة كونه أبيه و روهان زوجته هي أمه، وعليهم الآن تصفية حساباتهما سويًا بعيدًا عن الممالك.

شعر بني النعمان باقترابه فهمس في نفسه: »الوقت قد حان... أخيرًا«.

أغمض عينيه للحظة، وتخيل عفرين وهو يدخل إلى المحراب، ورغم قوته العظيمة، كان عفرين محاصرًا داخل دائرة من سحره، دائرة لا يرى حوافها، فقرر نعمان أن يضع خطته موضع التنفيذ.

و في نفس اللحظة بدأ عفرين الاقتراب من المحراب، خطواته الثقيلة ارتجت في الظلام الدامس، وعيناه لم تكن ترفان عن البحث عن نعمان، لكن المحراب كان مكانًا يطغى عليه السكون، وكأنما كان ينتظر اللحظة التي سيبدأ فيها فخ نعمان في العمل.

بينما كان عفرين يخطو إلى الداخل، لاحظ شيئًا غريبًا!

المحراب كان يبدو مهدمًا قليلًا، الرموز على الجدران بدت مشوهة، والطاولة القديمة كانت مغبرة، حواسه كانت تنبئه بشيء غير طبيعي، لكنه لم يكن ليشعر بالقلق، فقد كان هو، عفرين، عفريتًا قويًا، والساحر الذي لا يُقهر، لكنه لم يعلم أنه دخل إلى قلب الفخ الذي أعده

له نعمان.

فهتف عفرين بخبث:

- أين أنت يا بني النعمان؟ هل استعديت للمواجهة؟!

لكن نعمان لم يكن يجيب، كانت خطته تعتمد على جعل عفرين يعتقد أنه لا يزال في موقف قوة، وببطء بدأ عفرين يتحرك داخل المحراب، خطواته كانت مترددة لكنه يحاول أن يظهر ثقته، وفي اللحظة التي خطا فيها خطواته الأولى، بدأ يشعر بشيء غريب، شعورٌ يشبه ثقل الهواء من حوله، وكأن الأرض تحت قدميه أصبحت أكثر جفافا.

تعويذة خفية ألقاها نعمان كانت قد بدأت تؤثر، وأخذت تدور حول عفرين تدريجيًا، جعلت كل خطوة يخطوها تعيده إلى مكانه دون أن يدرك، كان يتحرك داخل دائرة لا مفر منها، لكن عفرين كان يحاول التماسك وهو يقول له:

- هل تظن أنني سأسقط في هذا الفخ؟ أنا عفرين، لا أحد يمكنه أن يخدعني.

وفي تلك اللحظة، شعر بشيء آخر، شعور آخر غير القوة التي لطالما شعر بها، كان يشعر بشيء يتسرب إلى جسده، تردد قليلًا، لكن الظل الذي كان يلاحقه جعله يتقدم خطوةً أخرى.

نعمان كان يراقب من الظلال، يشعر بالسحر الذي بدأ يعمل ببطء على خصمه، فخه الذي أعده بعناية بدأ يضيق على عفرين، و في تلك اللحظة أخرج نعمان المرآة السحرية ورفعها في الهواء وهو

يهمس له:

- هذه المرة، لن ترى العالم كما عهدته.

مرآة قديمة، بلونها الداكن المشبع بالقوى الخفية، انعكست أمام عفرين، لتظهر له صورته وكأنها في واقع آخر، لكنه شعر بشيء غريب، فهو لم يكن كما كان يتصور في انعكاسه، كان هو، لكنه كان محاصرًا، وكأنما هو لا يستطيع الهروب، كان يدرك أن السحر بدأ يضغط عليه.

ببطء، شعر عفرين بالضغط يتزايد، كان السحر الذي حوله يضعف قوته شيئًا فشيئًا، زادت الظلال التي تحيط به، وفي أعماقه بدأ يراوده شعور غير مريح، ثم اكتشف ما لا يريد أن يراه..

السلسلة السحرية التي كانت مخفية في الظل بدأت تتحرك نحو قدميه.

- ماذا...؟! ما هذا؟! كيف...؟

لكنه كان قد تأخر، وعيناه تتسعان فجأة بينما اكتشف أنه قد وقع في الفخ، السلسلة تحركت بسرعة فائقة وشبكته حول معصميه، ثم بدأت تتقلص بسرعة متزايدة.

كان السم الذي نثره نعمان في الهواء قد أخذ فعلًا مفعوله، في بداية الأمر، شعر عفرين بشيء غريب في جسده. ثم بدأ يشعر بثقل لا يطاق، وقوى السحر التي كانت تتسرب منه تدريجيًا، تمامًا كما خطط نعمان، لتخرج عين الغسق من مهجعها في قلب السلسلة، لتتحكم بعقله وترسل له كوابيس مدمرة جعلته يفقد عقله تدريجيًا.

ليتمتم نعمان بصوتٍ خافت:

- لقد ظننتَ أن قوتك ستخلصك، ولكنك كنت تسير نحو حتفك أيها الحقير، والآن خذ جزائك على مسك زوجتي.

في اللحظة التي بدأ فيها عفرين يصرخ من الألم، انكشفت أمامه حقيقة المحراب، كان مكانًا محاصرًا، لا يقدر على الهروب منه، وكلما حاول استخدام سحره، زادت قوته ضياعًا أمام تلك القوى التي صنعها نعمان بعناية، والمرآة السحرية كانت قد أظهرت له ذلك، ونعمان كان قد أعد الفخ بإتقان.

وفي لحظة من الضعف، بدأ السحر يعكس قوة عفرين ويعيدها إليه، ويبدو أن السم الذي تأثر به بدأ يعجّل بدماره، سقط على ركبتيه، غير قادر على المقاومة." أخذ نعمان خطوة للأمام وهو يبتسم نحوه بشرٍ قائلا:

- الآن.. لا مفر، هذا هو وقت الحساب.

***

في ليلة شتائية باردة، كان الصمت يلف المكان كستار ثقيل، والسماء تسبح في ضوء القمر الخافت، النجوم تتناثر بهدوء، تراقب من بعيد كأسرار صامتة، وقف شيث أمام باب ميلاف، يتردد للحظة، يتنفس بعمق قبل أن يطرق الباب بخفة، غير أن أحدًا لم يستجب، شعر بأن الصمت يحمل ما لا يُقال، وأنها هناك، جالسة في ظلال حزنها تنتظر.

وحين دخل أخيرًا، وجدها تجلس إلى جانب النافذة، عيناها

تحدقان في البعيد، تبحثان عن شيء خفي، شيء أبعد من أن تصل إليه يداها، ملامحها بدت متجمدة، غارقة في همّ لم يكن يعهده فيها، كانت ميلاف دومًا تشعّ بالدفء والقوة، تشبه النور الذي يبدد العتمة، لكنها اليوم بدت كأنها محاطة بهالة من البرودة، وكأن وهجًا خفيًا بداخلها قد انطفأ.

شعر شيث بارتباك لا يعتاده، إذ لم يرها يومًا بهذا الضعف الخفي، والأكثر حيرة أنه لم يكن يعلم السبب!

اقترب منها ببطء، صوته مشوب بقلق مكبوت:

- ميلاف، ما بكِ؟ لقد انتظرت نداءكِ كثيرًا، حتى شعرت بالقلق عليكِ.

كانت كلماته متعثرة، يشعر بأن ثمة شيء في ملامحها يحمل إجابة مجهولة، كأن روحها تبعث برسالة غير منطوقة، لكنها واضحة كطيف يجثم على صدرها.

رفعت ميلاف عينيها ببطء، نظرة خاطفة بدت كأنها تسبر أغواره، تبحث في تفاصيل وجهه عن حقيقة ما، كان شيث يبدو مختلفًا، كيانًا يحمل داخله ظلامًا عميقًا تخفيه ابتسامة كانت تبدو لها صافية كالنور ذات يوم، ومع ذلك، لم تقل شيئًا، لم يكن في قلبها رغبة للبوح، فكلماتها كانت تذوب في فراغ الغرفة الهادئ.

أعاد شيث سؤاله، وصوته يحمل قلقًا أكبر، مدّ يده ليضعها على كتفها، لكنه لاحظ ترددًا خافتًا، كأنها تبتعد عنه دون حركة، وكأن لمسته كانت تذكرها بذلك الظلام الذي لمحت عمقه لأول مرة.

وفي تلك اللحظة، أدرك شيث شيئًا مبهمًا، ظنًا باهتًا بأن شرخًا غير مرئي بدأ يتشكل بينهما، حاول أن يقترب من روحها بكلمات مشفقة، كأن يهمس لها أنه سيظل بجانبها، لكن المسافة بينهما كانت تزداد برودة وغموضًا.

همس أخيرًا، وقد استشعر أن شيئًا خطيرًا يختبئ خلف صمتها:

- أنا هنا، مهما كان ما يثقل قلبك، لن أتركَكِ وحدكِ.

لكن ميلاف لم تجب، بل اكتفت بنظرة عميقة صامتة، كانت عيناها تسرد قصة مؤلمة، حكاية كانت مخفية لوقت طويل، كأنها كانت تسير في حلم مغلف بضباب كاذب، واليوم فقط، وبعد أن اهتزت الأرض تحت قدميها، أدركت أن كل شيء كان مجرد وهم. اكتشفت فجأة جوانب داكنة في قلبها، كانت تتوارى خلف أكاذيب مريحة، وحينما التقت عيناها بعينيه، شعرت كما لو أن الزمن قد توقف، وكأنها تسقط في بئر مظلم لا قاع له، الحقيقة التي حاولت أن تدير ظهرها لها لأيام، كانت الآن تخرج من الظلال لتطاردها.

شعر بها، كما لو أن الروح نفسها قد نادت عليه من عمق البحر، انتفض جسده، تمزق بين صمتها الذي كان أعمق من الكلام، وبين نداء روهان الذي اخترق صدره كخنجر بارد، كان صوتها عميقًا ومخيفًا، كأنما يحمل معه عذابًا قادمًا من زمن بعيد، جسده كان يهتز بشدة بين رغبةٍ عميقة في البقاء، ورغبةٍ أخرى أقوى في الفرار، كان يراهما أمامه، كأنهما قوتان متناقضتان تمزقان قلبه إلى شظايا.

صك أسنانه في غضبٍ مكبوت، وأمسك بجسده كما لو كان يواجه رياحًا عاتية، شعورٌ بالضياع يغمره، وكأن قلبه عالق بين عالمين

متنافرين، لا يستطيع التوحد في أيٍ منهما، ميلاف كانت أمامه، عيونها مليئة بأسرار لا يستطيع فك شفيرتها، وعيناها تغرغران بشعور عميق بالخذلان، أما روهان، فقد كان صوتها كالظل الذي يطارد خطواته، يقترب منه، يضغط على صدره، وكأنها تراه ينهار أمامها.

نبرتها العاتية كانت تتسرب إلى أعماق عقله، تشتت تركيزه بينما كان يفكر في السبب الذي كان يشعر به، وكأن خيطا رفيعًا قد شُقَّ بينه وبين ميلاف، وهو يراها تنزلق بعيدًا عن يده في صمتٍ قاتل، لكنه في تلك اللحظة، شعر بأن ذلك الخيط، الذي كان يربط بين قلبه وعقله، يوشك على التمزق تمامًا، وأنه أصبح يقف على حافة الهاوية..

لم ينتظر لثواني أخرى وانتقل في صمت لروهان التي كانت تقف وسط ظلامٍ كثيف، وفي مكانٍ بدا وكأنه خارج حدود الزمن والبشر، متوشحة بثوب أسود طويل، يمتزج في أطرافه مع الظلال المحيطة، كانت الأرضية تحيطها كأنها رخامٌ داكن ينضح ببريقٍ فضي، بينما ارتفعت حولها أعمدة متعرجة من حجر أسود شبيه بالكريستال، تتشابك فيما بينها كالأسلاك، تضئ أحيانًا بانعكاسات زرقاء مخيفة، من السقف الشاهق كانت تتدلى سلاسل فضية صدئة، تلمع بلونٍ شاحب، وكأنها آثار لحضارة قديمة طواها النسيان.

شيث كان يتقدم نحوها بترددٍ ووجل، يشعر بأن هذا المكان لا يشبه أي شيء عرفه من قبل، بل هو تجسيد لظلامٍ يتنفس في أرجاءه السكون، كانت أنفاسه ثقيلة، وقلبه يعصف بمشاعر متضاربة

بين الخوف عليها وبين قلقه مما قد تُخفيه خلف تلك النظرات القاسية، أحس بأن روهان قد باتت بعيدةً، ليس فقط في المسافة، بل في الروح أيضًا، وكأن هناك حائطا غير مرئي يقف بينهما.

ألقى عليها نظرةً عميقة، يحاول التسلل إلى دواخلها من خلال عينيها، لكنه لم يجد سوى بريقٍ مظلم، جامد كصخر، لا يشع منه سوى برودةٍ قاسية، ترددت في صوته مشاعر مضطربة وهو يقول لها:

- روهان... ما الذي أصابك؟ أنتِ لا تبدين كما عرفتكِ.

رفعت رأسها نحوه ببطء، وبابتسامة ساخرة ترتسم على شفتيها قالت بصوتٍ بارد يتسلل كهمسٍ مخيف:

- شيث... ألا ترى ما أصبحت عليه؟ كل تلك القيود التي كنا نعيش بها، كل الأوهام حول النور والخير، إنها ليست سوى أكاذيب صنعناها لنستمر في الضعف، الآن أنا أملك القوة، القوة التي لا حدود لها.

شعر شيث بألمٍ خفي يتسلل إلى قلبه، فحاول أن يتمالك نفسه، واقترب منها خطوة أخرى، محاولا أن يستعيد الصلة التي كانت بينهما، تلك اللحظات التي طالما جمعتهما، وقال برجاء مختلط بشك:

- روهان، أتذكرين كيف كنا نقاتل معًا؟ أتذكرين أحلامنا؟

أرجوك، هذا الطريق الذي تسلكينه سيأخذكِ بعيدًا عنا...

بعيدًا عن نفسكِ.

لكن روهان لم تأبه لكلماته، بل ضحكت ضحكة خافتة، كانت أقرب

إلى زفيرٍ ثقيل، ثم قالت بسخرية متغطرسة:

- أحلام؟ ذلك كان زمان يا شيث، زمن الجهل والضعف، الآن، هناك حقيقة واحدة: القوة هي السبيل الوحيد. وسليمان، صديقك العزيز، سيكون أول من يشعر بسطوة هذه القوة، وأنت تعلم أنني لن أرحم من يقف في طريقي.

كانت كلماتها كطعنةٍ في قلب شيث، يشعر بها وهو يرى شبح الشرّ يكسو وجهها الجميل، مع ذلك، لم يتراجع، بل نظر إليها بعزيمة يحاول أن يستمدها من أعمق مكانٍ في قلبه، وقال بصوتٍ يحمل مزيجًا من الحب واليأس:

- روهان، أعرف أن هناك جزءً منكِ لم يمسه هذا الظلام، أعلم أن النور لم ينطفئ كليًا فيكِ، امنحيني فرصة لأعيدكِ... أرجوكِ.

نظرت إليه ببرود، كأن كلماته لم تترك أي أثر، وقالت بنبرة مليئة بالاستخفاف:

- النور؟ النور ضعف يا شيث، من يعيش من أجله سيبقى عبدًا للأوهام، أما أنا، فقد اخترت طريقي، ولن أسمح لك أو لغيرك بعرقلتي.

بدا له وكأن صوتها قد تحول إلى صدى ثقيلٍ يُتردد في أرجاء المكان الغريب، كأن الشياطين القديمة التي نحتت في تلك الجدران تستمع لكل كلمة وتنصت لكل همسة، حاول شيث مرة أخرى أن يمسك بيدها، علّ لمسته تُحيي الذكريات التي طواها الظلام، ولكنها سحبت يدها بعنف، وحدقت فيه بعيون خالية من أي دفء، وقالت

بنبرة جليدية تهزأ من ضعفه:

- إذا كنت تظن أنك تستطيع أن تعيدني، فأنت أكثر سذاجة مما تخيلت، وأعدك يا شيث، إن وقفت في طريقي، فمصيرك سيكون أسوأ مما تتخيل.

كانت كلماتها كنصل حاد، لكنها ولدت في قلبه شرارة أمل رغم قسوتها فمهما حاولت التهرب من الحقيقة، كان يعلم أنها لا تزال عالقة بين قوتين متضاربتين، ومهما اشتد الظلام حولها، عزم شيث على أن يكون الضوء الذي ينير طريقها مهما كلفه الأمر.

راقبها وهي تستدير وتبتعدّ بخطوات واثقة في هذا المكان الغامض، تاركة إياه محاصرًا بين الظلال التي ترتفع من حولة، ولكن بقلبٍ لا يزال متمسكا بأمنية ستتحقق بالتأكيد، مدركا أن معركته لن تكون سهلة، وأن طريق العودة إليها سيكون مليئًا بالآلام والمخاطر.

***

في عمق الليل، حيث الغابة مغطاة بظلال ثقيلة وأصوات الكائنات تتلاشى تدريجيًا في سكون مهيب، جلست تاج بهدوء على صخرة مرتفعة، تراقب انعكاس ضوء القمر على صفحة الماء أمامها، مدّت يدها برفق، وأخرجت قطعة من رماد أسود من حقيبتها الحريرية، متمتمه بترنيمة قديمة تلتف حولها طاقة غامضة كأنها تسحب شيئًا من أعماق العتمة..

وضعت قطرات من دمها على الرماد، ثم رشّت المزيج بحذر على الماء، رفعت رأسها وأخذت نفسًا عميقًا، قبل أن تنطق بكلمات غريبة،

وابتسامة صغيرة تعلو شفتيها، وفجأة، بدأ سطح الماء يرتعش، وظهر عليه انعكاس ضبابي كأنه مرآة مشوشة، ومن خلال ذلك، ظهرت صورة بعيدة لنعمان الصغير، جالسًا على إحدى صخور الغابة، ممسكًا بنايه الذي طالما شكّل جزءً من روحه.

في تلك اللحظة، بدأ صوت الناي يتغير، النغمات التي اعتاد نعمان أن يسيطر عليها صارت تخرج وكأنها تهمس له بشيء لم يفهمه، كأن الصوت أعمق، وأكثر غموضًا يلتف حوله وكأنه خيط من حرير يجرّ قلبه برفق، لكنه قسري، انتبه نعمان الصغير إلى الناي بيده، ورغم إحساسه العميق بشيء غير عادي يحدث، لم يستطع مقاومة الانجذاب للنغمات التي تخرج منه، كانت أشبه بهمسةٍ تُداعب روحه، تُغريه بأملٍ خفي، يدفعه للتحرك بلا إرادة منه.

بدأت خطوات نعمان تتجه نحو مصدر الصوت المجهول، وكأنه يسير داخل حلم غير واضح، خطواته تُثقلها غشاوة من التنويم، وعيناه تشعّان بنظرة متوهجة كمن يقترب من سرّ قدري، كان يشعر بانجذاب ساحر، وكأنّ الناي يناديه بصوتٍ لا يمكنه مقاومته، ينساب إلى أذنيه ويرن في قلبه، حتى إنه لم يعد واعيًا بما حوله.

أما تاج، فكانت تراقب ذلك الانعكاس في الماء بشغف لا تخفيه، عيناها تتألقان بلمعانٍ شرير، تناغمت ابتسامتها مع ذلك اللحن الذي لا تسمعه إلا روح نعمان، وكأنها تراقصه عن بُعد، وهي تضمن أن كل خطوة تقربه منها أكثر، زادت كلماتها غموضًا وقوةً، وأحكمت قبضتها على التعويذة، متأكدة أن نعمان الصغير تحت سيطرتها تمامًا في هذه اللحظة..

وما هي إلا لحظات حتى ظهر نعمان في المكان الذي تنتظره فيه، عيناه متلبدتين بحيرة، ونظرة من الخضوع تكسو وجهه كأنه غارق في أسرٍ لم يختره، نظر إلى تاج ولم يستطع أن ينطق، وداخله إحساس غامض يُخبره بأنه ليس سيد قراره هنا، وقفت تاج أمامه، تتطلع إليه بنظرة متفحصة، فخورة بانتصارها، وعرفت في تلك اللحظة أن السحر كان محكمًا، وأن هذا الخيط الخفي الذي نسجته قد وصل إلى هدفه.

قالت له بهدوء مسموم:

- ألم يخبرك أحد يا صغيري؟ أن كل شيء له ثمن، وأنت مجرد بيدق بين يدي الآن.

***

الفصل الخامس عشر

في إحدى ليالي القصر الباردة، كان الملك الأبيض جالسًا في عزلته، في صمتٍ عميق، عيناه الزرقاوان الغارقتان في ذكرياته المؤلمة عن »تاج« زوجته العظيمة التي كانت تشع بالقوة والسحر، منذ قرون، كانت قد اختفت من هذا العالم، ولكن ذكرها لم يفارق قلبه أبدًا رغم تعلقه بقيجا، إلا إن مشاعر فقدانها ما زالت تؤرقه، ومع كل ذكرى كانت الحيرة تزداد، فقد كان يعرف أن موتها لم يكن حادثا عاديا، كان شيئا أكبر من ذلك، شيئًا يحمل في طياته الكثير من الغموض.

وكان قد شهد يوم موتها، وتلك اللحظة الحاسمة التي لن يمحوها الزمن، في تلك الحرب الشرسة بين الجن والشياطين، التي اشتعلت في أرضٍ عميقة في بُعدٍ آخر، قاتل الجميع، حيث التقت القوى المظلمة في معركة عظيمة كانت تهدد بتدمير كل شيء.

تاج، الساحرة القوية، كانت تقود جيوش الجن بكل حنكة، وكانت تملك قوة لا مثيل لها مثلها مثل ولده الذي أصبح مثلها، لكن في تلك المعركة، وقعت في فخٍ مُحكم نصبه لها أحد السحرة من الشياطين الذين كانوا يخططون للانتقام منها، كان هذا الساحر، الذي كان ينتمي إلى أتباع قوى الظلام، قد نجح في إقناع تاج بالاتفاق معها على تعويذة قديمة، تعويذة كانت تستطيع أن تبدد قوتها العظيمة وتوهم الجميع بأنها قد ماتت، كان الهدف من هذه التعويذة هو إخفاء وجودها عن الجميع، حتى يستطيع الساحر أن يتلاعب بالأحداث لصالحه.

في لحظات المعركة الحاسمة، وقفت تاج في قلب الساحة، حيث

كان الجن والشياطين يتقاتلون بعنف، ونظرت إلى زوجها، الملك الأبيض، الذي كان يراقبها من بعيد، مشهدها كان مهيبًا في وسط الفوضى، شعر بشيء غريب في عينيها، لم يكن هو الحزن أو الألم، بل شيء عميق من نوع آخر، كأنها كانت تُودعه دون أن تقول له.

وقبل أن يدرك الملك الأبيض ما يحدث، ارتفعت يد تاج في الهواء، وتردد حولها هالة سحرية قوية كانت تلمع مثل البرق، وعيناها تضيئان في ظلام الحرب الدامسة، ثم بدأ الساحر الذي كان قد تعاقد معها في نطق التعويذة التي جعلت الهواء يتحول إلى صمت مطبق، كانت تعويذة قديمة، عميقة، من نوع لا يعرفه سوى قليل من السحرة، سمع الملك الأبيض كلمات التعويذة وهي تتردد في الأجواء، كلمات تمزج بين الشر والقوة، بين الخيانة والحزن، وفي اللحظة التي انتهت فيها التعويذة، اهتزت الأرض وبدأ جسد تاج يتناثر كالغبار أمام عينيه، وكأن روحها انفصلت عن جسدها بشكلٍ غير مرئي.

رآها الملك الأبيض وهي تتلاشى، جسدها ينهار أمام عينيه، لكن لم يكن هناك دماء ولا صرخات، فقط خيوط من السحر تتساقط في الهواء، شعر وكأن العالم كله توقف في تلك اللحظة، كان هناك شعورٌ غريبٌ بداخله، لا يستطيع تفسيره، كأنها لم تمت، لكنها اختفت، اختفت بطريقة عميقة ومؤلمة، كما لو أنها اختارت أن تختفي عن هذا العالم لكي تبقى في مكان آخر.

في تلك اللحظة، تلاشت كل آثار تاج، ولم تُرَ جثتها أبدًا، ولم يلمسها أحد في العالم، كان الجميع يعتقدون أنها ماتت في تلك

المعركة، بينما كان الملك الأبيض يعلم أن ما حدث لم يكن موتًا بالمعنى التقليدي، بل كان نوعًا من الاختفاء، نوعًا من السحر الذي لا يُفهم.

وفي قلبه كان يعلم أن تاج قد اختارت هذه النهاية، ولكن ليس لأنه كان لا يحب الحياة، بل لأنها أرادت أن تظل بعيدة عن الجميع، أن تبتعد عن كل شيء، لتعيش في مكان لا يمكن لأحد أن يكتشفه، كانت قد استخدمت قوتها لكي تخفي نفسها عن عالمه، وتعيش في مكانٍ بعيد، بعيدٍ عن الأعين، تاركة وراءها كل شيء، وحتى ولدها الوحيد الذي لم يكن يستطيع تصديق ما حدث.

لقد رحلت، ولكنها تركت وراءها حزنًا عميقًا، وفقدًا لا يعوض، وذكريات مؤلمة ستظل تلاحقه هو وولده أبد الآبدين.

وفي لحظة من اللحظات، عندما كان الملك الأبيض غارقًا في ذكرياته، شعر بشيء غريب يتسلل إلى قلبه وعقله، همسات غير مرئية، كأنها أصداء قديمة، تنبعثُ في الأرجاء، لكن الصوت لم يكن غريبا عليه، بل كان مألوفا، وكأنها دعوة كانت قد أخفيت منذ قرون.

- أيها الملك الأبيض، تعالَ إليّ حيث كنا نتقابل، تعالَ وواجه كل ما غاب عنك.

كانت الكلمات تلامس ذهنه بهدوء، لكنها في ذات الوقت أثارت في قلبه أمواجًا عارمة من الحيرة، الصوت نفسه، الحضور ذاته، ولكن الغموض كان يحيط به بشكل لم يشعر به من قبل، لم يكن قادرًا على تجاهل النداء، رغم أن قلبه كان يعلمه أن هناك شيء مختلف هذه المرة.

مضي في خطواته ببطء، لكن شيئًا في الجو كان يجعل المكان يبدو بعيدًا عن خياله، قرر أن يتبع النداء وتوجه إلى تلك المنطقة المهجورة، التي كان قد زارها منذ زمن بعيد، في أطراف المملكة، حيث لا يسكنها أحد سوى صمت الأزمنة الغابرة، كان المكان عبارة عن صخرة هائلة وسط صحراء قاحلة، حيث لا نهاية للأفق سوى الرمال التي تمتد بلا حدود.

وصل إلى هناك، حيث كانت الأرض منبسطة، لا شيء سوى الأفق البعيد والسماء الشاسعة، كانت الرمال تحت قدميه ناعمة ومائلة للون الذهبي، لكن ما كان يميز هذا المكان هو الصمت العميق الذي كان يعم الأرجاء، وكأن المكان نفسه كان يحبس الأنفاس.

وسط هذا السكون، وقفت تاج...

كانت هناك، ولكن لا شيء كان كما كان عليه في الماشي، عيناها، التي كانت تشع بالذكاء والحب، أصبحتا الآن مليئة بالألغاز، وحين وقعت عيناه عليها، شعر بتلك المشاعر المبعثرة التي طالما كتمها، تاج كانت أمامه، ولكن ليس كما تذكرها، كانت روحه التي كانت تمثل جزءًا كبيرًا من حياته، محاطة بالغموض الذي يجهله الآن. قالت بصوت ملأة بالحيرة:

- لقد رحلت، ولكنني لم أمت، تركتك في الظل، وفي هذا الفضاء البعيد، حيث لا أحد يعرف عني شيئًا.

هزت الكلمات قلبه، وكأنها تقطع المسافات بين الحاضر والماضي، بين الوهم والواقع، لكن قبل أن يتمكن من الرد، أكملت:

- لقد رأيتك، ولمحتك تراقبني في تلك اللحظات، كما كنت تفعل دائمًا، ولكنك لم تكن تعرف أنني لم أختفِ أبدًا.

لم يصدق ما يسمعه، فقد كانت تلك هي تاج، التي لا يزال يتذكرها في أعماق روحه، رغم الفقد ورغم الزمن الذي مر، كان هناك شيء غير قابل للتفسير، وفي لحظة أدرك الملك الأبيض أن لا شيء سيكون كما كان، وأنه أمام فصل جديد من حياته، مليء بالضباب والأسرار.

كان قلبه يعتصر ألماً، لكنه في نفس الوقت كان ينبض بشوق غريب نحو تلك اللحظة التي كان يظن أنها لن تعود أبدًا.

***

كان عفرين في أسوأ حالاته، جسده يتهاوى، عقله يتشظى تحت وطأة السم الذي بدأ يذوب في عروقه كأنه حمم ملتهبة، كان يلتقط أنفاسه بصعوبة، عيناه تتسعان، وجفونه تتقلب في هياج من الألم الذي يعصر قلبه ويثقل صدره، ومع كل ثانية تمر، كان لونه يتغير، يتحول من شحوب إلى اخضرارٍ قاتم، بينما كانت المرايا التي أمامه تشع بضوءٍ باردٍ وغامض، تراقب نهاية رحلته ببرودٍ رهيب، كما لو كانت تشهد على سقوطه الأبدي.

وفي وسط هذا العذاب، تسللت ابتسامة مظلمة إلى وجه نعمان، ابتسامة تكتسب جلالا غير مألوف، كأنها تعبير عن هيبة قوة لا تعرف الرحمة، كان يقف على حافة النهاية، وعيناه تراقبان عفرين الذي أصبح مجرد ظلٍ أمامه، عاجزًا عن المقاومة، صوت نعمان كان صامتا، لكنه كان يملأ الفراغ حوله، محملًا بالتهديد والوعيد.

ثم، وكأن اللحظة كانت قد حانت أخيرًا، تحرك نعمان خطوة إلى الأمام، وقالها بصوتٍ منخفضٍ، ولكن لا يُخطئه أحد:

- سيبدأ الانتقام الحقيقي الآن.

الكلمات كانتْ طنينًا متسارعًا في أذنه، مثل صدى لتهديدٍ قديم، محملًا بغضبٍ مكبوت، ثم أطلق تعويذة سحرية خفية، كلمات خداعة، كانت كالوشوشة التي تسحب من الأعماق السحيقة، بدأ جسده يتغير، يتنكر تحت قشرة جديدة، قشرة العفريت ذاته، وتداخلت قوى السحر لتملأ عروقه بالطاقة المظلمة.

في لحظة، بدأ نعمان يتحول بشكل كامل، يتحكم بجسد عفرين كما لو كان دمية في يديه، كان السحر يعيد تشكيله من الداخل والخارج، كل عضو في جسده يتأقلم مع شكل عفرين المظلم، وتحولت ملامحه إلى تلك التي كان يعتقد عفرين أنه سيحملها إلى الأبد، شعورٌ غريب، غير مألوف قد تدفق عبر جسده، وكأن روح عفرين قد أصبحت ملكًا له، تحت تصرفه، يطوعها كما يشاء، شعر بنشوة غريبة، لكنه في الوقت ذاته شعر بثقل هائل في قلبه، كأن الانتقام وحده لم يعد يكفي. لكن، كما هو الحال في كل سحرٍ عميقٍ، هناك ثمنٌ يجب دفعه، بدأ السحر يتقلب ضده، وكان يتصارع مع قوته المظلمة، التي كانت تعيد إليه كل ما كان قد سيطر عليه، كانت المرايا أمامه تكشف الحقيقة العميقة؛ بدأت قوى عفرين العتيقة تتسلل إلى جسده، كانت العودة قوية وأكثر مرارة مما كان يتوقع، السم الذي تسرب إلى جسده منذ البداية، بدأ يؤتي ثماره بسرعة، يتغلغل في عروقه، مما دفعه إلى حالة من الصراع الداخلي، حيث

كان يقاوم السحر الذي كان هو نفسه قد أطلقه..

- ماذا يحدث؟

همس نعمان في نفسه، وهو يشعر بتلك الدوامة السحرية التي تزداد ضراوة، كان يراها في المرآة، كل شيء كان يُظهر له تضاربًا عنيفًا بين قوى عفرين التي كانت تعود إليه بكل قوتها، وبين سحره الذي كان يحاول أن يفرض نفسه على جسده، بدأت ملامح عفرين تظهر أمامه في المرآة بشكل مشوه، ملامح غاضبة، متفجرة بالطاقة التي كان يعتقد أنه قد سحقها للأبد.

- لامفر، عفرين...لامفر الآن. قالها نعمان بصوت يختلط فيه تهكمٌ قاسٍ مع قسوةٍ صارمة، الكلمات كانت تخرج منه مثل صواريخٍ حارقة، وهو يقاوم تأثير السحر الذي يزداد قوة وفي تلك اللحظة، بدأ يعيد تشكيل جسده بشكل كامل، رافضًا الاستسلام.

ثم، وقف أمام المحراب الذي كان يطلق عليه السجن الأبدي، مكانًا احتجز فيه عفرين، المكان الذي سيكون قبره، ولكن نعمان لم يكن يرحم، دفع عفرين بقوة إلى الداخل، قائلًا بصوتٍ مملوء بالقسوة:

- ابقَ هنا.. شاهد كيف تتحول الأمور، بينما أنت هنا، محبوس في هذا المكان مع المرآة، شاهِد كيف سأكون سيد قومك، كيف سأقود قبيلة الشنفري بينما تعيش أنت هنا في خيالاتك.

وفجأة، اختفى نعمان من أمام المحراب، لينتقل إلى حيث يريد، كان الآن يقف على رأس قبيلة الشنفري، في مركز قوته، مدعيًا أنه عفرين نفسه...

أخذ يُوجه الأوامر بلا رحمة، لا يفكر في شيء سوى في شلطته الجديدة، بينما كان عفرين في محبسه، يراقب كل شيء عبر انعكاسه، يشعر بكل لحظة من العذاب وهو يتشظى من الداخل.

السم كان يتسارع في جسده، يسرع في تدميره تمامًا، لكن مع كل لحظة كان نعمان يزداد قوة، لقد أصبح هو العفريت الذي كان يعتقد عفرين أنه يسيطر عليه، وبنظرة حاسمة، وجه نعمان كلامه الأخير إلى من يراقبه، تلك التي كانت تعكس صورة عفرين أمامه:

- الآن.. يا عفرين، بعد كل هذه المعاناة وبعد كل هذه الخيانة، أصبحت أنت الآن الحبيس، وأنا السيد.

وفي تلك اللحظة، كانت قوى الانتقام قد استحوذت على نعمان بشكل كامل، كانت الصورة التي تنتقل عبر المرآة تزداد وضوحًا، عفرين عالقٌ في الماضي، يرى نهاية إمبراطورتيه تزداد اقترابًا مع كل لحظة ينتهي هو فيها للأبد.

***

كانت الأضواء الخافتة في المكان تنسحب أمام ظلٍ طويلٍ، يتنقل بصمت بين الزوايا المظلمة، وميلاف تقف في مواجهة شيث، الذي عاد إليها بعد المواجهة المميتة بينه وبين روهان، عيناها تتأملان معالمه بتركيزٍ قاتل، وكان قلبها يرتجف كما لو أنها كانت تنظر إلى جرحٍ عميقٍ مليءٍ بالدماء القديمة، لم تعد ترى فيه ذلك الجني الغامض الذي أوقعها في حبائل سحره، بل شعرت بأنها أمام شخصٍ غارقٍ في الظلام، محكومٍ عليه أن يعيش في وسطه إلى الأبد.

- لماذا؟

قالتها بصوتٍ خافت، لكنها كانت تحمل ألف سؤالٍ، وألف ألمٍ:

- لماذا فعلت هذا بي؟ كيف يمكن لشخصٍ يشبهك أن يتنكر بهذه الطريقة؟ هل كان كل شيء بيننا كذبًا؟

وقف شيث بلا حراك، عيناه مظلمتان، وكأنهما غُلفتا بطبقة من الغموض لا تستطيع أن تخترقها، كان يعلم أنه سيأتي اليوم الذي ستقف فيه ميلاف أمامه وتواجهه بتلك الأسئلة، ولكنه لم يكن مستعدًا لذلك، لم يكن مستعدًا أن يرى الحيرة في عينيها، الحيرة التي كان هو نفسه غارقًا فيها طوال السنوات الماضية..

قاوم دوافعه وقرر أن يبوح بكل شيء، كان يوقن أن ما حدث عند حجر الأمان لن يمر، فلكل سحرٍ ثمن وسيدفع ثمن فتحه لباب قد أغلقه عنوة، بدأ شيث يتكلم بصوت هادئ، ولكن كلماته كانت ثقيلة، مليئة بالمرارة:

- كل شيء بدأ منذ زمنٍ بعيدٍ، عندما كنت لا أزال مجرد طفل، كأنني لست كما كنت، يا ميلاف، ذلك الظلام الذي في داخلي لا يترك لي خيارًا آخر، أنتِ... لا تعرفين الحكاية بأكملها. كانت تشعر بجذور قلقٍ تتسرب إلى أعماق قلبها قائلة:

- حكاية؟ أي حكاية؟

نظرت إلى عينيه بعناد لتردف:

- هل تظن أنني سأصدقك؟ هل تعتقد أنني سأفهم كل هذا الألم الملتف حولك بعد كل ما فعلته؟

لم يستطع شيث إخفاء مرارة الابتسامة التي ارتسمت على وجهه، كانت ابتسامة باردة لا تخلو من الألم، كما لو أنه كان يضحك على مأساته:

- عائلتك كانت جزءً من لعنة أزلية يا ميلاف، أجدادك، الذين حكموا سحرة وأرواحا، كانوا يبيعون الأرواح البشرية للكائنات المظلمة، وفي تلك التجارة القذرة... كان الثمن عائلتي. صمتت ميلاف، وكأن الكلمات قد غسلتها من الداخل، شعرت بشيءٍ من الارتباك، ولكنها لم تستطع إخفاء صدمتها:

- ماذا تقول؟

همست لثكمل بارتباك:

- أجدادي كانوا... كانوا جزءً من هذه التجارة؟

- نعم.

جاء الرد، كالسيف في قلبها ودون مواربة:

- والثمن كان دماء عائلتي، ولكن ما لم تعرفيه، هو أنني كنت أنا الثمن، كانوا يضطرون لتقديم أرواحًا قوية، وكنتُ... أنا الضحية، أنا من تبرعوا بروحي، عندما تم التضحية بأحد أفراد عائلتي لاستدعاء شيطانٍ من الأعماق.

وتابع شيث وكأن الكلمات تخرج منه بمرارةٍ متراكمة:

- لكنهم لم يتوقعوا أنني سأبقى حيًا بعد تلك الطقوس، بل كانوا يعتقدون أنني مجرد أداة فقط، عندما كنت أرى ضوء الحياة ينطفئ

في عيني، أدرك، أنهم قد تخلوا عني، فقررت أن أعيش في الظلام، كما لو أنه لا يوجد شيء آخر يستحق الحياة.

أخذ نفسًا عميقًا، وعيناه تلمعان بشدة وهو يكمل: - لكنني لم أكن الوحيد الذي تأذى من تلك التجارة، يا ميلاف، عائلتك لا تقتصر فقط على من كانوا يشترون ويبيعون الأرواح، بل كانوا أداةً لنظامٍ أكبر، ولهذا السبب أنا هنا الآن. لأنتقم.

كانت لا تزال في حالة من الصدمة، تتلاطم في داخلها أمواج من الحيرة، الألم، والخيانة، سألته بصوتٍ مرتجف:

- هل كل هذا كان من أجل الانتقام؟ من أجل تصفية حساباتك مع أجدادي؟

- نعم.

قالها بلا تردد، كأنه يستعرض جزءً من معركته الأزلية مع نفسه:

- لكن السبب الأكبر هو أنهم أخذوا مني شيئًا لا يمكنني استعادته، جزءً من روحي، جزءً من إنسانيتي، وبعدما اكتشفت أنهم كانوا يشاركون في تجارة الأرواح، وأنهم هم من تسببوا في تدمير عائلتي... قررت أن أقتص منهم، بكل الطرق،أقسمت أن لا أترك أحدًا من أولاد بويا عمر ولا حتى أحفاده.

أغلق شيث عينيه وكأنه يغرق في بحر من الذكريات:

- لقد فعلوا أكثر مما تتخيلي، لقد استغلوا موت عائلتي للسيطرة على الأرواح، ثم بدأوا في لعبتهم الخبيثة، ونقلوا لي لعنةً غير قابلة للكسر، كانت تلك تجارةً مشؤومة، وكان عليَ أن أنتقم، ولكن... أنتِ

الوحيدة التي تركتها.

رفع رأسه أخيرًا، وعيناه تلتقيان بعينيها مباشرة:

- تركتكِ فقط لأنني أحببتكِ، يا ميلاف.

لم تدرِ ميلاف ما الذي كان يشعر به، هل كان هو نفسه غارقا في الظلام بقدر ما كان يظن؟ أم أنه كان مجرد شخصٍ يسعى للانتقام ويدمر كل شيء في طريقه؟

- لقد لعبت بي، ياشيث.

قالت الكلمات بصوتٍ يقطع قلبه أكثر من أي خنجر.

- كل هذا كان مجرد لعبة بالنسبة لكَ، انتقمت، دمرت كل شيء من حولك، وأنا كنت واحدة من أدواتك لتشبع جوعك للانتقام، كنت أظن أنك شخصٌ... مختلف، كنت أظن أننا يمكن أن نكون شيئًا أكبر من ذلك، لكنك خذلتني، كل كلمةٍ منك كانت كذبًا، وكل لحظةٍ قضيناها معًا كانت مجرد لهو حتى يمكنك تدمير عائلتي.

دموع عينيها كادت أن تذرف، لكن فمها كان مشدودًا، مليئًا بالغضب وهي تثور عليه:

- أنت لم تكن تحبني، لم تكن تحب أحدًا، كنت تعيش في ظلامٍ أكبر من أي شيء عرفته. وأنت... تركتني في وسط كل هذا الضباب، دون أن تتركني أرى ولو بصيصٍ من ضوء.

وقفت ميلاف أمام شيث، عيناها تتقدان بنار تحدٍ صارخ، تكاد تقتلع كل ما راهنت عليه في لحظة، لم تكن مهزوزة ولا يائسة، بل

متماسكة كجبل لا يهتز، مشتعلة بخيبة ووضوح أدركته فجأة وكأنها اكتشفت وجهه الحقيقي.

قالت بصوت ثابت كأنها تصدر حكمًا لا تراجع فيه:

- كنت أظنك مختلفًا، يا شيث... كنت أظنك ستقف مع الحق، لا أن تستخدم العدالة غطاءً لأطماعك الخاصة.

ارتعشت عيناها للحظة، لكن ليس بضعف، بل بمرارة القوة التي تعلمت ألا تتوسل.

خطت نحوه خطوة، فالتقت عيناهما في تحدٍ، وكأنها تراه لأول مرة دون أقنعته المتقنة، تابعت بنبرة لاذعة:

- عائلتي في سجن الجان لأنك أردت ذلك، وأنت تعلم جيدًا أن هناك من هم أكثر جرمًا، أحرارٌ هناك، لأنهم لم يصطدموا مع مصالحك، أنت لا تريد المواجهة الحقيقية، فقط تنتقي من تود أن تقاضيه.

كانت كلماته تهمّ بأن تخرج، لكنه التزم الصمت، وكأن صلابة حروفها تغلبت على كل دفاعاته، تاركًا لها الأرضية كاملةً لتحاكمه، لتحرمه من حقه في التبرير أو الهروب.

وبسخرية خافتة، ابتسمت ببرود، وقالت:

- الآن فقط عرفت حقيقتك يا شيث، كنت أظن أن قتالنا واحد، وأن هدفك نبيل، لكن اتضح لي أن كل ما أردته هو حماية ذاتك فقط، وليس إنقاذ أحد.

تراجعت ميلاف خطوة أخرى، ملامحها مغلفة بالثبات، لكن في أعماق عينيها كانت تشتعل جمرة لا تهدأ، جمرة من الخيبة والغضب لم تجد بعد سبيلها للزوال، رفعت رأسها بشموخ، لتضعه أمام مسؤولية كان يراوغها.

قالت بنبرة صارمة، قاطعة كحد السيف:

- كما أدخلتهم... أخرجهم، أخرجهم من هذا السجن الذي وضعتموهم فيه باسم العدالة الزائفة.

لم تخلُ كلماتها من نبرة تحدٍ حاد، وكأنها تقول له إنها لم تعد تلك التي كانت تراهن على نواياه، باتت تدرك أنه مهما كان يظن نفسه في موقع قوة، فهي لن تتوسل إليه؛ لقد اختارت المواجهة، وإن كلفها ذلك كل شيء.

ظل شيث صامتًا، كأنه يتلقى كلماتها كسيل جارٍ يعصف به، ولكنه لا يريد الاستسلام لها، نظر إليها بعينين تحملان مزيجًا معقدًا من الصراع الداخلي، مزيج من شعور بالذنب الذي يحاول تجاهله، والواجب الذي لا يستطيع تجاهله، كانت روحه تنزف، كأن كل كلمة من كلماتها تقطع جزءً من مقاومته، لكنه رغم ذلك لم يتراجع، ولم يُظهر أي ميل للاستجابة.

قال بجمود، يخفي خلفه عواصف من الألم المكبوت:

- لن أستطيع يا ميلاف، خطاياهم هي من قادتهم إلى هذا المصير، ولا أملك القدرة على تغيير ذلك... حتى وإن أردت.

ورغم ثبات صوته، كان يعلم في داخله أن كلماته لم تكن صادقة

تمامًا؛ كان يتملص، يبتعد عن الحقيقية التي ألقاها أمامها بجرأة.

ارتعشت شفتا ميلاف بخيبة مريرة، وكأنها أدركت أن الحوار معه أصبح جدارًا صلبًا لا ينفذ منه ضوء، اقتربت منه، ونظرتها كالجمرات الحارقة، وقالت بصوت يكاد ينفجر بالمرارة:

- لقد كنت مجرد وهم آخر في حياتي، كنت ذلك الطيف الذي ظننته نورًا، والآن أكتشف بشاعتك.

في تلك اللحظة، شعر شيث بثقل الكلمات التي ألقاها عليها، ووقعها على قلبه كخناجر بطيئة تقتحم صموده، تقتله على مهل، ورغم ذلك، ظل واقفًا، عاجزًا عن الهرب أو التراجع، محتميًا بصمته الذي غدا درعه الوحيد، يحاول إخفاء ما يعصف به من صراع داخلي، كان عاجزًا عن مواجهة نظرتها التي تغلغلت في أعماقه كنداء لمصير محتوم، كأنها كانت تحمله على عاتقه كعبء أبدي لا فكاك منه، ولا خلاص له منه ولا منها.

وبدون كلمة أخرى، اختفى فجأة، كظل اختطفه الليل، تاركا إياها وحيدةً في مواجهتها المريرة مع الحقيقة، جسدها الذي ظل متماسكا أمامه انهار أخيرا على الفراش، وكأنها لم تعد تملك ما يقوى على دعمها، سقطت بين يدي الخذلان، تشعر بمرارة تتسلل في روحها كالسم، مرارة خيانته لها، ومرارة الفراق التي تسكن عظامها وتتغلغل في نبضاتها.

همست بصوت مخنوق، كأنها تخاطب الفراغ حولها، لكن بصدقٍ كافٍ ليشق صمت العالم:

- لقد خسرت كل شيء...

رددت كلماتها التي عاد صداها إليها مع كل زفرة، يكاد يمزق أوصالها، يجعل كل جزء منها يحترق ببطء، يعريها من كل آمالها التي انهارت في لحظة واحدة.

***

الفصل السادس عشر

في أعماق مملكة الأرضيين، حيث لا يجرؤ الضوء على اختراق الظلام الكثيف، كان ياوي جالسًا على عرشه القديم، مستغرقًا في تفكيرٍ عميق، العرش الذي كان يُعتبر رمزًا للقوة والهيبة، كان مغطى بنقوش غامضة ورموز قديمة، تبدو وكأنها تستمد قوتها من عصورٍ سحيقة، الغرفة المحيطة به كانت باردة، جدرانها الصلبة محاطة بكتب قديمة ومخطوطات تكاد تذوب من الزمن، ورائحة العفن والرماد تسد الأنفاس، فقط ضوء خافت ينبعث من قوارير زجاجية معلقة على الجدران، توهج ألوانها الغريبة كأنها تراقب الحاضر وتستنطق المستقبل.

كان ياوي غارقًا في أفكاره، عينيه شبه مغمضتين، وكأن كل ضوء في الغرفة قد اختفى داخل عينيه المظلمتين، كان يفكر في تلك اللحظات المريرة التي كاد فيها أن يلقى حتفه على يد بني النعمان، كيف كان الموت يقترب منه بخطواته الثقيلة، وكيف كاد أن يسقط في هاوية لا عودة منها، ولكن، بقدرةٍ غامضة، نجح في الإفلات من مصيره، ليبقى حيًا رغم الجروح التي تركها الموت على قلبه.

لم تكن مجرد نجاته من الموت هي ما تشغل ذهنه، بل كان يحاول أن يفهم ما حدث بالضبط، وكيف بدأ كل شيء يتشابك بهذا الشكل المروع، لعل هذه الأسئلة ستظل تطارده إلى الأبد، كيف تمادوا في استنزافه حتى كاد يغرق في الهاوية، وكيف تمكن من النجاة؟ كانت الإجابات تتوارى في الظلام، كما لو أن كلماته وحدها هي التي تبقيه على قيد الحياة.

وفي تلك اللحظة، كسر الصمت الذي كان يلف المكان صوت قدمين ثقيلتين تقترب من الباب، رفع ياوي رأسه ببطء، عيناه تُراقبان الباب الذي بدأ ينفتح ببطء، ليظهر في المدخل شخصية مألوفة، كان ويون، ابنه، يقف هناك بوجهٍ شاحب، وعينيه تعبق بالقلق والتوتر، لكنه، كما هو الحال دائمًا، كان يحمل شجاعة قاتمة تُظهر أنه ليس غريبًا عن هذا الظلام.

تقدم يون بخطوات ثقيلة، عيناه تتنقلان بين جدران الغرفة المظلمة والأرض المبللة برائحة الزمان، كان يعرف جيدًا أن دخول هذه الغرفة يعني الدخول إلى قلب الهاوية، حيث الحقيقة غالبًا ما تكون أكثر قسوة من الظلال التي تحيط بها.

- أبي...

همس يون بصوت خافت، وهو يقترب من عرش والده:

- هل أنت بخير؟

لكن ياوي لم يُجب على الفور، ظل صامتًا، وعيناه تغرقان في أفكار ماضية، بينما ظل قلبه ينبض بشدة.

- كنت على وشك أن أموت.

قالها أخيرًا، بصوت هادئ لكنه ثقيل، وكأن الكلمات نفسها ثقيلة كالصخور:

- لقد كان الموت أقرب مما تتصور، كنت على حافة الهاوية، وكدت أسقط إلى الأبد.

اقترب يون أكثر، وكان قلبه يزداد توترًا:

- كيف؟ كيف نجوت إذًا؟

ابتسم ياوي ابتسامة باردة، وكأنها تخرج من أعماق الجحيم نفسه:

- هل تعتقد أن النجاة كانت مسألة حظ؟ أو ربما معجزة؟ لا... الأمر أكبر من ذلك بكثير، يا يون، النجاة لم تكن سوى خدعة، كانت لحظة من ضعف تسببت في انهيار خطة كانت تعتمد على الظلال والخداع، ولولا أنني ألعب مع الموت بمهارة لكانت النهاية قد جاءت بشكل أسرع مما تتخيل.

شعر ويون بشيّء غريب يلتف حول قلبه، وكأن الكلمات نفسها كانت خيوطا تخنقه:

- ماذا تعني؟

نظر إليه ياوي بنظرة قاتمة، عيناه تتوهجان بنيران غامضة: - أنت لا تفهم بعد، يا ويون، لكنك ستفهم قريبًا، كل شيء كان مجرد جزء من لعبة أكبر، لعبة ليس فيها رابح ولا خاسر، بل كلنا ضحايا لهذا الظلام الذي لا ينتهي.

صمت طويل ساد بينهما، وكان ياوي يشعر بشيء غريب ينبض في صدره، كما لو أن أسئلة لا تُحتمل تطارده، أسئلة عن الخيانة، عن الموت الذي كان على وشك أن يسلبه كل شيء، لكن كل شيء أصبح ضبابيًا، وكلما حاول أن يرى الطريق، زادت الظلال التي تغلفه.

رفع ويون يده وكأنما يود لمس كتفه، لكن ياوي تراجع خطوة إلى الوراء، كأنه لا يريد أن يشارك ابنه في شعوره بالضعف ليسأله ويون

بقلق:

- أبي... إذا كانت اللعبة قد بدأت، فما هو التالي؟

أغمض ياوي عينيه للحظة، عميقًا في سكونه، شعور غامض اجتاح قلبه وكأنما كان يتحسس شيئًا قريبًا جدًا، لكنه لا يستطيع لمسه، همس بصوتٍ يتسلل عبر العظام، ثقيل كالجليد:

- النهاية... أو بداية النهاية... أصبحت قاب قوسين أو أدنى، يا يون، وكل خطوة تأخذها الآن، تجعلنا نقترب أكثر من لحظة مواجهة الظلال، لحظة لن ننجو منها.

ثم أغلق عينيه ثانية، كما لو أنه يغرق في هاوية مظلمة لا نهاية لها، حيث لا يوجد مفر من الحصار الذي يلتف حول روحه.

صوت ياوي كان باردًا كحد السكين، شقَّ الظلام وهو يقوله له:

- كنت تعلم أن سارافيم ستأتي إليك، ومع ذلك، لم تتمكن من انتزاع أي خيط منّ المعلومات عن مكان آرام.

انحنى رأس ويون خجلا، شعور من القلق يملأ صدره، مشاعر تتداخل بين الخوف والتردد، جُرحت كبرياؤه، لكنه حاول أن يخفف من وطأة الكلمات التي كانت تزن ثقلًا رهيبًا على قلبه. تردد للحظة، ثم قال بصوت خافت، يكاد لا يسمعه:

- أبي... حاولت. لكن سارافيم كانت حذرَة... كانت تحيط كل كلمة بحاجز من الأسرار.

قهقهة خفيفة صدرت من شفتي ياوي، لكنها كانت مليئة بالمرارة

والسخرية وهو يقترب من ويون بخطوات ثقيلة، حتى بدا أن الأرض نفسها كانت ترتجف تحت وطأة وجوده، دنا منه حتى أصبحت أنفاسه تلامس وجه ابنه، وهمس له بنبرة حادة، أكثر من كونها همسة:

- محاولتك كانت بائسة، أنت لا تدرك قيمة التجربة التي أسعى إليها، لا تعرف كم من العصور ضاعت في البحث عن هذه اللحظة، ولا كم من الأرواح كنت على استعداد لفقدانها من أجلها.

اشتعلت عيناه بلون قاتم، كأنما استمدًا ضوئهما من ظلمات الجحيم، وقال بصوتٍ متشقق من الحقد، كأن الكلمات كانت تخرج من بين أسنانه المتطاولة:

- آرام ليس مجرد تجربة، إنه المفتاح لحلمي الأعظم، عقلٌ نقي وروحٌ خالصةٌ، يمكنني أن أستحضره، وأضعه في جسد آخر، ليصبح كائنا لي وحدي، تخيل يا يون، أن أملك مخلوقا يتحدى الموت، يعبر الأبعاد، يتنقل بين الأرواح والأجساد، ويخضع لي وحدي.

تراجع ياوي خطوة للوراء، مرر يده على إحدى القوارير المتوهجة بخضار سام، كأنه يستمد منها طاقة مظلمة، أضاف بصوتٍ عميق ينبعث من جوفه، كأنه يصدر من أعماق هاوية غير مرئية:

- لن أسمح لأحد بسرقة هذه الفرصة مني، لا سارافيم، ولا بني النعمان ولا أي مخلوق آخر، أريدك أن تعيدها إلي، أن تجلبها إلى هذا العرش، وأنت تعلم... بأي وسيلة كانت.

كان نظره يثقل على ويون كما لو كانت نظراته سلاسل حديدية،

تقيد أنفاسه، تضغط على قلبه وهو يقول له بصوتٍ أكثر قسوة، يقطر شمًا وتهديدًا:

- وإن عدت إليّ خالي اليدين، أو دون ما أريد... فاعتبر نفسك قد خيبتني إلى الأبد، ولن تكون هناك فرصة أخرى.

خرج ويون من العرش، خطوة تلو الأخرى، كما لو كانت كل خطوة تدفعه إلى هاوية لا قرار لها، كان الظلام يحيط به، يتسرب من زوايا الأنفاق الصخرية، حيث لا يبدو أن هناك نهاية لهذه المسالك المتشابكة، لكن الظلام الحقيقي كان في داخله، في أعماق نفسه، حيث الخوف ينهش أعماقه، حيث التشتت والانكسار، كان يشعر كأن روحه قد تناثرت بين هذه الأنفاق، لا يعرف كيف يجمع شتاتها.

كيف له أن يواجه سارافيم مجددًا؟ تلك المرأة التي قيدته لسنوات، التي تركت فيه جروحًا عميقة ما لبث أن شرع في مداوتها معها، كانت سارافيم أكثر من مجرد عشيقة، كانت جزءً من ماضٍ لن ينساه، شيئًا لا يستطيع التخلص منه مهما حاول، ومعً ذلك، كان يعلم أن الأمل في الوصول إلى آرام يتطلب تضحية بأشياء كان يظن أنها ما زالت حية في قلبه، ذلك إن كان قد تبقى له شيءٌ من مشاعره الأصلية.

أفكاره كانت تتصادم داخله كأمواج عاتية، والأصوات تتداخل في عقله، حتى أن صدى كلمات والده كان يتردد في أذنه كما لو كانت السياط تلهب جسده: »لن تكون هناك فرص أخرى.«

توقف فجأة، مستندًا إلى جدار صخري خشن، غرست أصابعه في الحجر كأنه يبحث عن شيء ثابت يربطه بالأرض، لكن البرودة

القاسية التي تلمس أطرافه زادت من ارتعاشه، كيف وصل إلى هنا؟ كيف أصبح مجرد أداة، يقاد إلى حيث لا يستطيع الفكاك؟ كل شيء حوله كان يضغط عليه، يدفعه للانصياع.

كانت الأفكار تنهش عقله، وداخل قلبه كان الحبل بين ولائه لوالده وعشقه لها المتصاعد، يضيق أكثر فأكثر، كان كل شيء يدفعه نحو الهروب، نحو الخروج من هذا العبث المظلم الذي يحاصره، ولكن الهروب لم يكن خيارًا، أين سيذهب؟ كانت يد والده الثقيلة تلاحقه في كل مكان، ستكون خطواته محكومة بالمراقبة، حتى وإن حاول الهروب، فإنه سيبقى محاصرًا.

أغمض عينيه وأخذ نفسًا عميقًا، يحاول أن يعيد ترتيب عقله الذي تلاشى مع الزمن، في محاولة يائسة للعثور على شيء قد يمنحه القوة، ولكنه تذكر وجه والده، تلك العيون التي لا تعرف الرحمة، كأنها تجلب الظلام معها، وصوته المتكرر الذي يصم الآذان: »إنها فرصتك الأخيرة.«

كان يعلم جيدًا أن تهديد والده لم يكن سوى تحذير قاتل، وأن من يخذله، يدفع ثمنًا لا يمكن دفعه، وهو لا يخشاه فمهما كان هو ولده ولكنه يخشى عليها هي، لن يتركها سيقتلها بأبشع الطرق، سيجعله يتمنى الموت والزوال كل لحظة ولكنه لن يجعله يتذوق ولو ذرة منه.

***

داخل أعماق مملكة الشنفري، حيث تختفي الأنوار خلف أسوارٍ من الظلال الغامضة التي تلتف حول كل حجر وصخرة، كان نعمان – في هيئته الجديدة كـ»عفرين« – يتربع على عرش عتيق من

العاج والجماجم المنحوتة، يحيط به حراس ملثمون من العفاريت، خلف العرش تتصاعد أعمدة من اللهب الأزرق، تضفي على المكان رهبة إضافية وتشيع في الأرجاء جوًا من الرعب لا يتجرأ أحد على تحديه، كان العرش الجديد في موقع بارزٍ يطلّ على مجلسٍ من الجن والعفاريت، حيث يجتمعون خوفا أو رغبة في الحظوة بالسلامة من بطش »عفرين«.

ألقى نعمان نظرةً حادةً على الجمع، عيناه الجمرتان تتوقدان بالغضب والدهاء، وشفتاه تنفرجان بابتسامة لم تكن سوى وعدٍ بالدمار، رفع يده المزيّنة بخواتم سوداء، فتوقف الجميع عن الكلام، وانسحب الصمت كغطاء ثقيل يغمر القاعة.

بصوتٍ كالصدى الغليظ الذي يتردد في زوايا المكان، قال:

- أيها الملوك، قد سمعت عن التمردات الصغيرة التي تحاك في الخفاء، وعن غطرسة البعض منكم الذين يظنون أن بإمكانهم الوقوف أمام عفرين، من يظن أن بوسعه النجاة من بطشي، سيجد مصيره مشتعلًا في النار ذاتها التي أجلس أمامها الآن.

كانتْ كلماته تقطر تهديدًا، تزرع الخوف في قلوب الحاضرين، خاصة بين الملوك الأصغر سنا والأضعف خبرة.

وقف ملك الجن الغربي، بدا على وجهه مزيج من التحدي والخوف، وقال بصوت مرتجف، محاولًا الحفاظ على رباطة جأشه:

- لكن يا عفرين... لقد كنا نحافظ على السلام طوال عقود، لماذا تثير الفتن الآن بين القبائل؟

انعكست ملامح الغضب على وُجه نعمانَ، واقترب من الملك ببطء، كل خطوة كان يتقدم بها تصدر صدا ثقيلا، كأن المكان ذاته يهتز من حضوره، عندما أصبح قريبًا بما يكفي، قال بصوت هامس، لكنه حادّ كسكين:

- السلام؟ لا سلام في مملكة الجن إلا لمن يخضع لإرادتي، إن كنت ترغب في السلام، انحنِ أمامي الآن، وتذكر أن زمن الولاءات قد تغير، من يظن نفسه قائداً أو ملكًا دون إذني، سيجد نفسه رهينة لنيراني العاتية.

التفت نعمان بعدها إلى أحد العفاريت، وأشار إليه بإشارة فهمها الجميع دون كلام، العفريت اندفع للخلف، عائدًا بعد لحظات ومعه مجموعة من الملوك الأصغر سنًا، الذين استدعاهم نعمان قبل بداية الاجتماع، كانوا مترددين وقلوبهم تضطرب، يعلمون أن هذا اللقاء قد يكون بداية سقوطهم.

ابتسم نعمان بهدوء قاتل وقال:

- هؤلاء الملوك المساكين، ظنوا أنهم قادرون على التحالف ضدي. والآن، سأمنحهم فرصة الاختيار: الولاء المطلق، أو أن يذوقوا نفس مصير كل من تجرأ على التفكير في الخيانة.

تحرك الحراس وجرّوا الملوك نحو نعمان، وفي عيونهم تساؤل عن مصيرهم، لم ينتظر نعمان جوابًا، رفع يده واستدعى طاقة غامضة من العدم، لهب أزرق راح يلتف حولهم، يجعلهم يشعرون بلسعات »نار السَموم« التي كانت تتحسس أرواحهم.

تمتم ببطء:

- كل ولاء زائف سينكشف، وكل خيانة ستدفع ثمنها، إنني عفرين، وكلمتي هي القانون هنا.

حاول أحد الملوك الصغار التوسل، لكن نعمان لم يمنحه حتى فرصة للكلام، وقبض على روحه بقبضةٍ من اللهب، تلاشبي فيها الملك ليصبح رمادًا في الهواء، بينما الملوك الآخرون تراجعوا برعب.

بعد لحظات، حين خفتت النيران، نظر نعمان إلى بقية الملوك المجتمعين، وقال بهدوء:

- هذه هي مملكة الشنفري الآن، التي ستكون وجهة الجن جميعهم، من يقف معي سيجد الحماية والنفوذ، ومن يقف ضدي، سينتهي كما انتهى هذا الأحمق، ومن يريد سلامًا وهدوءًا، عليه أن يكون مستعدًا لإشعال الحروب في سبيل تحقيقهما.

كان تأثير كلماته مثل دوامة تتسع، تزرع بذور الشك في نفوس الملوك الآخرين الذين بدأوا يتساءلون عما إذا كان بإمكانهم الثقة ببعضهم، أو إن كانوا سيصبحون الهدف التالي لنعمان، بهذه الطريقةً، نجح بني نعمان في خلق الفتنة بينهم، يترك كل ملك مشغولا بتأمين نفسه وحماية مملكته، في حين يراقب هو، بعين «عفرين»، كيف تتفكك الروابط القديمة وتتضاءل الوحدة بينهم.

وبينما أدار ظهره مغادرًا، تبقى همسات الملوك تدور في المجلس، وكان يعرف أن بذور العداوة التي زرعها بينهم ستنمو وتتحول قريبًا إلى نيران حروب طاحنة، وبهذا يكون قد تحقق انتقامه، ليس فقط

من عفرين، بل من كل من سولت له نفسه الوقوف في وجهه.

وفي أعماق المحراب الذي يُحتجز فيه، حيث الهواء ثقيل كأنّه يحمل عظام السنين، كان عفرين جالسًا في الزاوية المظلمة من مكانه المُقيد، وجهه متجمد وكأن الزمن قد تجمد من حوله، أمامه مرآة قديمة، إطارها مغطى بالرماد والصدأ، لكن انعكاسه فيها كان واضحًا، يشتعل بالدماء والغضب الذي كان يعصف بكل زاوية في قلبه، كانت المرآة بوابته إلى العالم الخارجي، نافذة يراقب من خلالها مصير قبائل الجن، ومصير الممالك التي كان يحكمها سابقًا بيد من حديد.

من خلال هذا السطح الزجاجي المشوه، كان يرى أمامه عيون الملوك، حركاتهم المرتبكة، وقلوبهم التي يملؤها الخوف والشك، كان يشاهد نفسه في مكانه الجديد، «عفرين»، وكيف أصبح قوة لا يمكن ردعها، لكن هذا لم يُعطِه طعم النصر الحقيقي، كان يراقب المشهد بتأملٍ قاتل، وكلما مرّت لحظة، كان يشعر بغضب متزايد في أعماقه.

شعر كما لو أن قلبه قد تمزق مرتين، بين الندم على اللحظة التي قرر فيها تحدي بني النعمان، ذلك التحدي الذي ألقى به في قبضة لعنةٍ لا مفر منها، وبين الخوف من العواقب التي قد تجلبها رغبته في الانتقام، كان يُشاهد كيف سيطر على الجن والملوك، كيف أذاقهم الهزيمة والخوف، ومع ذلك كان غارقًا في شعورٍ مرير.

في تلك اللحظة، بدأ يغرق في بحرٍ من الأسئلة، هل كان الانتقام يستحق كل هذا؟ هل كان يستحق أن يُحرم من هويته الأصلية؟ من عفرين الذي كان يعيش بين الجن بكل تفاصيله، بكل نبضاته

وحركاته الطبيعية؟ هل كان هذا فعلًا هو الطريق الذي يجب أن يسلكه؟ كل هذه الأسئلة بدأت تعصف به، وهو يحاول أن يجد مبررًا واحدًا يخفف من ثقل ذلك الاختيار الذي غير مسار حياته إلى الأبد.

غضب من نفسه، من ذلك الجزء الذي جعله ينساق وراء رغباته في الانتصار على بني النعمان والفوز بقلب روهان، الإنسية التي عشقت غريمه، لقد حذره أخيه الأكبر من التمادي، ولكنه اغتر بقوته أمام عدو كان يعلم في قرارة نفسه أنه لن يضاهيه قوة، ولكن غروره وكبريائه لم يسمحوا له بالتراجع، كيف يمكن أن يكون قد قرر فجأة أن يتحدى كل من حوله؟ كيف يمكن له أن يتخلى عن أسس بني النعمان، التي كان يفترض أنه يعرفها تمامًا؟

لكنه كان يكره نفسه أكثر حين يدرك أنه، في لحظة، كان قد غضّ الطرف عن الحقيقة المرّة:

»لا أحد يستطيع مواجهة بني النعمان، ولا أحد يمكنه اللعب في مجاله دون أن يدفع الثمن«

وها هو الآن، يدفع الثمن باهظا...

ورغم كل شعورٍ بالندم، لم يكن يستطيع التوقف عن النظر إلى المرآة، كما لو كانت هي الوحيدة التي تبقيه على قيد الحياة، انعكاسه في الزجاج كان يبدو له غريبًا، وكأنه ليس هو، بل صورة مشوهة لنسخة من نفسه، مشوهة بسبب طمعه في القوة، بسبب خطيئته في تحدي من هو أقوى وأذكى، وفي رفع نفسه في مواجهة المصير الذي يظن أنه يقدر على التحكم فيه.

ولكن، رغم ذلك، كانت أيدي عفرين ترتجف أمام المرآة، وبصوت خافت، تمتم لنفسه:

- مؤكد سأجد حلا، تماسك يا عفرين ستخرج من هنا.

نظر إلى السماء من خلال الزجاج، وكأنها تمدّ إليه يديها لتمسك به، لكنه في الواقع كان غارقًا في الوحل الذي وقع فيه بنفسه، في تلك اللحظة، شعر بشيء آخر يراوده؛ شعور جديد يغزو قلبه، إنه ليس الندم فحسب، بل شعورٌ بالفقد. فقد سيطرته على نفسه، فقد حكمه على ذاته، وحتى أنه فقد روهان للأبد.

***

لم يكن يصدق ما يسمعه، وفي لحظة واحدة، تجمّدت حواسّه، وغمره شعورٌ غريب، مزيج من الارتباك العميق والدهشة التي تجذبه إلى أعماق الماضي، والحنين الذي يعصر قلبه كما لو أنه محاصر في سجن من الذكريات.

تاج، تلك التي كانت جزءً من ماضيه، تلك التي ظن أنها اختفت إلى الأبد، عادت فجأة وكأن الزمن قد قرر أن يعيدهم إلى لحظة أخرى، إلى لحظة كانت غارقة في الظلال، عميقة بالوعود والمخاوف.

كان واقفًا هناك، غير قادر على تحديد ما إذا كان ما يراه الآن حقيقيًا أم مجرد سراب ينهار تحت وطأة الظلام. لكن، في أعماقه، كان يعرفها... كانت هي تاج، الصوت ذاته، الملامح التي لا يمكن أن تخطئها العين، تلك الروح التي كانت جزءً من كيانه منذ أول لقاء بينهما، رغم أن الزمان قد تفكك بينهما وأعادها إليه بشكل مختلف،

ورغم الغصة التي تشد قلبه، ورغم الأسئلة التي تدور في عقله مثل دوامة بلا هوادة، إلا أن هناك شعورًا عميقًا كان يغمره، شعورًا غريبًا بالخوف... والخوف كان يمتزج بالحاجة إليها، وكأنها المفتاح الوحيد لفهم العالم المظلم من حوله.

لكن تاج، لم تكن تلك التي تركها في الماضي، لا يوجد فيها أي علامات ضعف أو انكسار، كانت تتحدث بثبات، كأنها لم تختفِ يومًا، وكأن الزمن نفسه لم يمر عليها، نظرت في عينيه، وكأنها تتخطى المسافات الطويلة التي أبعدتها عنه، وكأنها تقول له شيئًا في صمت، شيئًا لا يحتاج إلى كلمات لتفسيره، تقدمت خطوة واحدة، وساهمت كل حركة منها في تضخيم الغموض الذي يكتنف الموقف، وعندما اقتربت منه، مدّت يدها، لكن ليس لتلامس قلبه مباشرة... بل كان حضور يدها هناك، كما لو كانت تقدم له شيئًا غير ملموس، شيئًا غريبًا ومركبًا يصعب على العقل أن يستوعبه.

- أنا في خطر، يا حبيبي.

قالتها بصوتٍ ضعيف، لكنه كان مليئًا بتلك القوة الغامضة التي لا تخطئها الأذن، كان صوتها يكاد يكون همسًا، لكنه مع ذلك كان قادرًا على أن يحدث في قلبه هزة، تزعزع أركانه، كلماتها كانت نيرانًا تشتعل في أعماقه، مشاعر من القلق والحيرة بدأت تتسرب إلى ذهنه، تلك المشاعر التي كان يحاول أن يدفنها لسنوات، فها هي تتفجر فجأة دون سابق إنذار.

- في خطر؟

همس بها الملك الأبيض، ولم يستطع أن يحجب رنين صوته وهو

يحاول استيعاب كلماتها المقلقة، كان هناك شيء في نبرة صوتها جعلت كل أفكاره تتداخل، كأن تلك الكلمات تحمل أسرارًا أعمق من أن يستطيع فهمها، أسرارًا ربما لن يعرفها أبدًا، كانت تبتعد عنه الآن، لكن مشاعرها كانت لا تزال تلاحقه، تلحق به مثل كابوس، تثير في قلبه المزيد من الأسئلة المحيرة والمخيفة، سكت للحظة، وعيناه تلمعان باضطرابٍ غريب، كان يحاول أن يربط بين خيوط هذه اللحظة، لكن لا شيء كان واضحًا.

- ما الذي يحدث يا تاج؟

سألها، وهو يلهث في محاولات لربط ما يحدث بكل ما في رأسه، كان السؤال نفسه ثقيلا، كأنما يحمل مفتاحا لفهم ما يدور بينهما، لكنه في الوقت نفسه كان يعلم أن هذا السؤال قد يخلق مزيدًا من الارتباك، ومن التشويش في ذهنه.

تنهدت بعمق وكأنها كانت محاصرة في معركة بين الحقيقة والسر، نظرت إليه بعينيها، كما لو أنها تحاول أن تقنعه بحقيقة لا يستطيع إدراكها في تلك اللحظة:

- أنت لا تعرف كم هو خطر ما أنا فيه، إنه أكبر بكثير من أن تحتمله... وأنا لا أريد أن أضعك في هذا الموقف.

قالت ذلك، لكن عينيها لم تبتعدا عن عينيه، وكأنها تحمل في نظرتها كل الأسئلة التي لا أجوبة لها، كل الهموم التي اختلطت في قلبها ووجدانها، كان في عينيها ذلك الوميض الذي عرفه دومًا، الوميض الذي جذب قلبه إليها في أصعب لحظاته.

- إذا كان الأمر بهذه الجدية، لماذا لم تأتِ إلي فورًا؟ لماذا الآن؟ لماذا كل هذا الغموض؟

سألها، وكان صوته يردد الأسئلة وكأنها قطع متساقطة من اللغز الذي حاول مرارًا أن يحله، لكنه لا يجد أي دليل أو إجابة، كان في داخله بحر من التناقضات، كان يريد أن يفهم، لكنه في نفس الوقت كان يشعر وكأن الواقع نفسه ينقلب أمامه، ويُجبره على مواجهة شيء أعظم من طاقته.

ابتسمت تاج ابتسامة خفيفة، لكنها كانت ابتسامة محمّلة بالكثير من القلق:

- لأنني لا أستطيع أن أبقى هنا.

قالتها، وأخذت خطوة أخرى إلى الوراء، وكأن العالم كله يتقلص بينهما:

- هناك من يلاحقني... وهناك من يهدد حياتي.

قالت ذلك، لكن كلماتها كانت محمّلة بشيء آخر، شيء مريب، شيء أعمق:

- لكن هناك شيء آخر.

توقفت عن الحديث واقتربت منه وكأنها تتخذ قرارًا نهائيًا، لحظة مفصلية يمكن أن تحدد مصيرهما:

- أنا مضطرة للرحيل الآن، وأنت لا يجب أن تعرف الحقيقة بالكامل.

تسارعت نبضات قلبه، وأخذ عقله يحاول فهم ما قالته، لكنه لم يجد سوى الظلام يملأه، لماذا الرحيل؟ لماذا هذا الغموض؟

لماذا هذه الألغاز؟ كان من الصعب عليه أن يستوعب أن تاج، تلك التي كانت جزءً لا يتجزأ من حياته، ستكون بعيدة عنه مجددًا.

- لا يا تاج. لا يمكنني أن أتركك تذهبين هكذا، بدون أن أفهم السبب، بدون أن أعرف أين تذهبين، وإن كنتِ في خطر سوف أحميكِ بروحي.

قالها بحزم، رغم أن قلبه كان ينهار من الداخل، كان يشعر أن أي كلمة قد تخرج من فمه لن تغيّر من الواقع شيئًا، كانت يداه مشدودتين، ولكن عقله يصرخ بتحذير لم يفهمه.

هزّت رأسها بحزن، وعيناهما تلاقتا للحظة أطول من أي وقت مضى:

- أنت لا تستطيع أن تفهم الآن... وأنا لا أستطيع أن أشرح كل شيء، لكنني أحتاج منك شيئًا واحدًا فقط.

قالت ذلك بلهجة جادة، وكأنها على وشك طلب شيء مستحيل، شيء يفوق طاقته.

- ما هو؟

همس الملك الأبيض، وكان قد اقترب منها أكثر، وكأن المسافة بينهما قد اختفت، كانت اللحظة الآن محاصرة بينهما، في عالم آخر، بعيد عن كل شيء، بعيد عن الظلام.

- أنت لن تخبر أحدًا.

قالتها بثقة، وكأن هذه الكلمات كانت الطلب الوحيد الذي يعني لها الحياة أو الموت:

- لن تخبر عائلتنا ولا ولدنا، ولن تُحدث أحدًا بأنني على قيد الحياة، أنا في خطر، وإذا علموا بوجودي، ستكون العواقب وخيمة.

كان في حالة من الصمت والتشوش، عيناه تتأملان تاج كما لو كانت تكشف له سرًا لم يكن يعرفه من قبل، كان قلبه ينهار بين يديه، لكنه أدرك أن هذه هي لحظة اتخاذ القرار..

هل يوافق؟ هل يثق بها؟ وهل يمكن أن يتقبل الحقيقة القاسية بأن تاج، التي كانت جزءً من ماضيه، ستكون الآن جزءً من لغز لم يستطيع أن يحله؟

- أعدك... لن أخبر أحدًا.

همس أخيرًا، وكأن الكلمات نفسها كانت ثقيلة على لسانه، لم يكن يستطيع أن يقول أكثر من ذلك، لكنه شعر أن تاج قد أخذت منه أكثر مما كان يتخيل، ومع ذلك، كان يعلم أن الرحيل سيكون ضروريًا، كان يعلم أنه إذا كانت تاج قد اختارت أن تذهب بهذه الطريقة، فهناك شيء أكبر من الخوف، أكبر من السر، وكان على استعداد أن يظل في الظل، متشبثًا بهذا الوعد الذي لم يكن يعرف إذا كان سيصمد أمام اختبار الزمن.

ابتسمت ابتسامة حزينة، ثم تركت يده برفق، وكأنها تمنحه شيئًا من القوة التي كانت تفتقدها:

- سأعود يا حبيبي أعدك.

قالتها قبل أن تختفي في الظلال، وتركته في مكانه، وقلبه معلق بين الفقد والأمل..

***

الفصل السابع عشر

عاد الملك الأبيض إلى قصره بخطوات ثقيلة، وقد امتلأ عقله بالكثير من الأسئلة والشكوك، لم يكن يشعر أن شيئًا كان على ما يرام، ولكن مع ذلك كان قلبه مثقلا بذكريات ماضيه وحاضره الغامض، دخل إلى قاعته العتيقة، حيث جدرانها المظلمة تحتفظ بصدى أصوات الزمان، وجلس على العرش الملكي الذي طالما حكم منه، لكن اليوم، كانت الأمور تختلف.

في تلك اللحظة، دخلت عليه سارافيم حفيدته، وهو مشهدٌ لم يكن يشبه أي مشهد آخر، كانت عيناها مشدودتين بإحساس غريب، مليئتين بالذعر والحيرة، كأنها تحمل همّا يفوق قدرتها على التحمل، وكأنها تئن تحت ثقلٍ لا يمكنها التخلص منه، تلك الفتاةُ التي طالما كانت رمزًا للهدوء الداخلي، أصبح قلبها الآن مشتعلا من الداخل، كانت تلك النظرة الغريبة في عينيها كفيلة بأن تجعل أي شخص يتنبه إلى أن هناك شيئًا عميقًا، مرعبًا، يمر بها، لا ابتسامة على شفتيها، ولا تلك البراءة التي كانت تزين ملامحها في الأيام الماضية، بل ظلال من القلق المظلم قد طغت على وجهها، وكأنها تخفي شيئًا أكثر قسوة من أي ألم سبق لها أن عرفته..

خطواتها كانت بطيئة، محملة بكثير من التردد، وعندما جلست أمامه، كانت عيناها غارقتين في أعماق المجهول، كما لو أن هناك شيئًا غامضًا يعيق رؤيتها، ثم، وفي صوتها الذي كان يكاد يذوب في الفراغ، خرجت الكلمات وكأنها تتسلل بصعوبة من بين شفتيها:

- جدّي... هناك شيء غريب يحدث لي، شيء لا أستطيع أن أفهمه.

توقفت لثانية، وأخذت نفسًا عميقًا، وكأنها تحاول جمع شتات نفسها، صوتها كان خافتًا، مخنوقًا، ومع كل كلمة كانت تخرج، كان كأنها تُنزع جزءً من روحها:

- أشعر وكأنني أسحب إلى مكانٍ لا أعرفه، كما لو أن هناك ظلالا تلتف حولي من كل جانب، لا أستطيع أن أهرب... ولا أعرف إن كانت هذه الظلال حقيقة أم مجرد خيال، لكنها تلاحقني أينما ذهبت.

تأملها الملك الأبيض في صمت، عيناه يغلفهما مزيج من الألم والتردد، كان يعرف تلك النظرة جيدًا، فهو يعرف ما تعنيه، كان يدرك أن حفيدته تمر بما هو أبعد من مجرد قلق، كانت كلماتها تُشعره بشيء غامض، شيءٍ خارقٍ، شيءٍ يتجاوز إدراكها، قلبه كان يتسارع، وبينما كان يحاول أن يثبت نفسه أمامها، كان الألم يعتصر قلبه، لأن هذه المرة، كان الأمر مختلفًا، حفيدته، التي كانت دومًا في مأمن من أي تهديد، أصبحت الآن غرضة لقوى غير مرئية، لشيء لا يمكنه دراسته أو تحليله، كان يشعر باضطرابٍ في أعماقه، كما لو أن كل ما عرفه عن العالم أصبح مهددًا.

- ماذا تعنين عندما تقولين أنكِ تُسحبين إلى مكان مجهول؟

سألها بصوتٍ هادئ، لكنه كان يعكس توترًا عميقًا بدا مخفيًا تحت سطح كلماته، كان يتحدث ببطء، وكأن كل كلمة تخرج منه كانت تقطع سلاسل التفكير المشتتة في رأسه:

- أين تذهبين؟ وما الذي يحدث لكِ هناك؟

رفعت سارافيم عينيها إليه، وكانت نظرتها مليئة بشيء أكثر من

الخوف، كانت مليئة بالألم العميق الذي لا تستطيع إخفاءه:

- لم أستطيع أن أرى المكان بوضوح... كل شيء مظلم، مُغلق كأن الجدران تضيق حولي أكثر فأكثر، هناك طاقة غريبة تحيط بي، تنفث في روحي شيئا ثقيلا... وكأنني أجبر على البقاء هناك، لا أستطيع الهروب منه وكلما حاولت الفرار، أجد نفسي عائدة إلى نفس المكان، كأنها لعنة لا أستطيع التخلص منها.

كان الصوت الذي يخرج منه تلك الكلمات مليئًا بالذعر، وكأن كل حرف يطعن قلبه، كان واضحًا أن الأمر يتجاوز قدرتها على التحمل، كان من الواضح أنها في خطر حقيقي، لكن الكلمات لم تكشف بعد عن عمق هذا الخطر، شعرت سارافيم فجأة بأنها لم تعد قادرة على الحفاظ على صمتها، وكل ما كانت تحاول أن تخبئه في أعماقها انفجر فجأة.

- هناك شخص... من قبيلة الشنفري.

قالتها بصوت متقطع، وكانت تلك الكلمات بمثابة الارتطام الصاعق في ذهن الملك الأبيض.

- هو الذي يعلمني سحرًا مظلمًا، سحر لا أستطيع أن أفهمه، ولكنني أشعر به... كأنني أصبحت جزءً منه، وأنا لا أستطيع التخلص منه.

كان وجهها شاحبًا، وجبينها مغطى بتعرقات باردة، كما لو أنها تقول الحقيقة نفسها لكنها لا تستطيع استيعابها.

هزّ الملك الأبيض رأسه في صمت، يحاول أن يلتقط خيوط ما كانت حفيدته تحاول أن تفسره، قلبه كان يعصف بالحيرة، فهو

يعرف تمامًا أن سحر قبيلة الشنفري ليس قوى عادية، التعاويذ التي يملكونها لا تجلب سوى الخراب، وكان يدرك أن حفيدته دخلت عالمًا لا يمكنها الهروب منه بسهولة، فقبيلة الشنفري تتعامل مع قوى تتجاوز حدودهم، وكان يعلم أنه ما دامت قد دخلت في دائرتهم، فلن تخرج سالمة.

في قلب القاعة، كانت الأضواء خافتة والظلام ينسحب في أرجاء المكان كما لو أن الزمان نفسه قد تجمد، عيناه تحدقان في الفراغ أمامه، كما لو كانتا تبحثان عن إجابة لمعضلة مستعصية أمامه، تحركت سارافيم من مقعدها ووقفت أمامه بعجز، عيونها كانت مشوشة، مليئة بالضباب، وكأنها غارقة في متاهة بلا مخرج..

- هل تعرفين ما نوع هذا السحر الذي يعلمكِ إياه؟

سألها بصوت غارق في التوتر، يكاد يكون همسًا، لكن خلفه كانت هناك رغبة عميقة في الفهم، في الوصول إلى سرٍ قاتم كان يلتف حولها، كان صوت الملك الأبيض أشبه بالصدى الذي يرتطم بالجدران المظلمة، يسعى للوصول إلى شيء يطفو على سطح الحقيقة.

كانت تقف أمامه كمن يقف على حافة الجحيم، نظرت إلى الأرض للحظة وكأنها تهرب من مواجهة عينيه، كانت الكلمات تفر منها، وكأنها لا تجرؤ على قول ما في قلبها، أخيرًا، خرج صوتها خافتًا، يحمل في طياته مرارة عميقة، كأنما الكلمات نفسها كانت تقاوم الخروج:

- لا أستطيع... لا أستطيع أن أصفه.

كان صوتها يلتقط الأنفاس، كأن كل كلمة تخرج من فمها كانت ثقيلة كالعذاب:

- كلما حاولت أن أفهمه، شعرت وكأنني أغرق أكثر، هناك شيء بداخلي، شيء يقودني، يدفعني لتعلمه، ولكنني أخشى أنه في النهاية سيسحبني إلى الهاوية، كأنني في دوامة لا مخرج لها، كلما حاولت أن أهرب، كلما شعرت بأنني أغرق أعمق.

كانت كلماتها تتناثر مثل الحشى في عاصفة..

وفي تلك اللحظة، كان الملك الأبيض يشعر بشيء غريب يتسلل إلى قلبه، شيء يشبه الجمر الذي يشتعل في صدره، كان يعرف أن ما تعانيه سارافيم لا يتعلق فقط بسحرٍ غريب، بل بشيء أعمق وأخطر، كان يعلم أن هذا السحر لا يتلاعب بالأرواح وحسب، بل بعقول من يمسونه، ويجعلهم عبيدًا في قبضة قوة لا يعرف أحد حدودها، والأغرب أن تأتيه سارافيم بما يحدث لها بعد لقائه بتاج مباشرة، يل ترى هل هناك علاقة بما يحدث لحفيدته بظهور تاج المفاجئ!

أخرج صوتًا قويًا، ممزوجًا بالغضب والقلق، وعيناه كانتا تشتعلان بشدة وهو يحذرها:

- سارافيم، يجب أن تكوني حذرة جدًا، هذا السحر ليس سحرًا عاديًا، قبيلة الشنفري... هؤلاء ليسوا مثل أي سحرة آخرين، هم متخصصون في ترويض الأرواح المتمردة، في غزو الأذهان والسيطرة عليها، ما تتعاملين معه الآن ليس مجرد طاقة... بل لعنة، لعنة ستأخذكِ بعيدًا عن نفسك إذا تركتِها تلتهمك.

حاولت سارافيم أن ترفع عينيها إليه، لكنها كانت كمن يغرق في بحر من الظلال:

- لا أستطيع الهروب منه، جدي.. إنني أشعر كأنني جزء منه. كان صوتها مرتجفًا، وكأنها ترفع كل الحواجز بين قلبها والعالم المظلم الذي كان يلتهمها شيئًا فشيئًا:

- أشعر وكأنني في قبضة شيء مظلم، قوي... وأنا لا أستطيع الفكاك منه، و كلما حاولت... أجدني أعود إلى نفس النقطة.

كان صوتها يقترب من الصراخ، لكنها كانت لا تزال تحاول التحكم في نفسها، كأنها تحاول أن تجد أي كلمة تبقيها على قيد الوعي.

- ما هذا؟ ما الذي يدفعكِ إليه؟

سأل الملك الأبيض بصوت مشوش، غارقا في آلامه الداخلية، وهو يكاد يلتقط أنفاسه في محاولة للسيطرة على مشاعره المتصارعة، قلبه كان يئن بمرارة، وكان يعلم أن السحر الذي يلتهم حفيدته الآن ليس مجرد طاقة عابرة، بل لعنة ذات جذور عميقة، تنغرس في عقلها وتخترق كيانها، كان هذا السحر لا يعبث بالأجساد فحسب، بل يلتهم الروح نفسها، ساحبًا إياها نحو فخ خفي، عميق إلى درجة لا تستطيع إدراكها.

- قبيلة الشنفري هم سادة الغواية، يعزفون على أوتار الروح كما يعزف الموسيقي على آلته، مستدرجين الأرواح إلى ظلالهم، أنتِ الآن في مواجهة شيء أعمق مما تتصورين، شيء لا يستطيع أحد فهمه تمامًا، إذا تركتهم يسيطرون عليكِ، فلن تظلي كما كنتِ،

سيفقدونكِ نفسكِ، ولن يبقى منكِ شيء سوى ظلٍ مشوه.

تأمل فيها الملك الأبيض لوهلة، كما لو كان يراقب سقوطها الذي بات حتميًا، عيناه كانت تتأمل ملامح وجهها التي لا تشبه تلك التي عرفها، وكأنها تسير على حافة الهاوية.

- سارافيم يجب أن تقاومي، لا أحد يستطيع مساعدتك، أنتِ لا يمكنكِ المضي قدمًا في هذا الطريق، السحر الذي تتعاملين معه ليس مجرد دراسة، بل معركة ضد هويتكِ نفسها، إذا واصلتِ السعي وراءه، ستصبحين أداة في يدهم، وسينقضون عليكِ كما يفعل الطائر الجائع بفريسته، خسارتكِ في هذه المعركة لن تكون مجرد فقدان قوى، بل ستكون مأساة لن يبقى بعدها إلا رمادكِ.

كانت سارافيم صامتة، كلمات الملك الأبيض تتردد في عقلها، ولكنها كانت لا تزال محاصرة في صراعها الداخلي، هل تبتعد عن هذا السحر الذي أصبح جزءًا منها؟ أم تواصل السعي وراء القوة التي يمكن أن تفتح أمامها أبوابًا لا يمكنها حتى تخيلها؟ كانت هناك رغبة عميقة في نفسها، رغبة في فهم هذه الفتنة، في معرفة أسرارها، لكن قلبها كان يشدها بعيدًا، إلى مكان لا عودة منه.

- لكن السحر... يعلمني شيئًا، شيئًا قد يكون هو سر قوتي، أريد أن أكون مثلكم.

قالت كلماتها بصوت مضطرب، وكأنها تحاول أن تجد مبررًا لما تفعله:

- هل تعتقد أنني يجب أن أبتعد؟ هل هذا هو الحل؟ أغمض الملك

الأبيض عينيه للحظة، وكأن أفكاره تتصادم داخله، ولكنه كان يعلم في أعماقه أنه لا يمكن الاستمرار في هذا:

- سارافيم، إذا كنتِ تظنين أن السحر سيعطيكِ القوة، فأنتِ مخطئة، القوة الحقيقية تكمن في مقاومة ما يحاول أن يسيطر عليكِ، وفي الحماية من الوقوع في فخاخهم، أنت حفيدتي مثلك مثل يوناس وأنتِ قوية بل قوية جدًا لكونك لم تنجذبي لسحر أمكِ بل قاومتِ وتحديتها وانتصرت على معارك داخلية كثيرة كان من الممكن أن تجركِ نحو الهاوية، فلا تفكري في قوى سحرية سوف تجعلكِ تفقدين ذاتكِ.

كان صوته ثابتًا، والعزيمة في عينيه تضئ وكأنها نار لا يمكن إخمادها:

- سأحميكِ، مهما كلفني الأمر، لن أسمح لهم أن يسلبوكِ نفسكِ. المعركة لم تبدأ بعد، ولكنني سأكون هنا، دائمًا، لأقف إلى جانبكِ.

***

في قلب الظلام الحالك، وقف ويون، عيناه تبحثان عن شيء غير موجود في الأفق المعتم، عن شبح شعورٍ ظل يطارده كظله، وأثقالٍ من مشاعر تختنق بها روحه، كان الفراغ من حوله أشبه بمرآةٍ لعالمه الداخلي، موحشا وباردا، يعكس كل صراعاته المتناقضة كلوحة سريالية، لا يستطيع فهمها ولا الإفلات منها، تلاطمت بداخله أمواج الحنين والغضب، الحب والكراهية، حتى لم يعد يدري ما الحقيقة وما الوهم.

طوال قرونٍ كانت سارافيم جزءً لا يتجزأ من كيانه، روحًا متشابكة في أعماقه كخيوط ليلٍ أزلي، ورغم كلّ الألم الذي مر به على يديها، وكلّ الخيانة التي سكبته دموعًا، ظلّ هناك جزءٌ منه يأبى الانفصال عنها، كما لو كان هو ذاته أسيرًا لحبها، مسحورًا بطريقةٍ لا سبيل للخلاص منها.

همس باسمها بصوتٍ خافت، بالكاد يسمعه حتى في أعماقه، - سارافيم...

وكأن الكلمة نفسها تمتلك قوة تستدعيها من الظلال، تحفز كيانه الذي تعب من التشتت وتدمير نفسه.

ظل واقفًا في سكون، مستسلمًا لهالة من الكآبة تخنقه، وقدماه مغروستان في أرض صلبة كأنها تقيد حركته، تمنعه من الهروب من حقيقة مشاعره، في تلك اللحظة، لم يعد هناك شيء يمكنه أن يفعله سوى مواجهة حقيقةٍ تملأ روحه بالخوف، الحب الذي حاول دفنه لكنه ينبض كقلبٍ ثائر.

- سارافيم..

تردد الاسم بين جدران قلبه المتصدع، ثم تابع، بهمس مهزوز كطفلٍ خائف:

- أنتِ الوحيدة التي تفهمينني، الوحيدة التي يمكن أن تمنحني جوابًا، أنا بحاجة إليكِ، إلى مَن كنتِ يومًا، لقد عشت في عتمة ذكراكِ، لا أملك قوة كافية لتركِكِ خلفي، رغم الألم الذي جلبتهِ لي.

لكن، في عمق ذاته كان يدرك أنه لا يبحث عن موقع آرام فحسب،

بل يبحث عن شيءٍ ضائعٍ في داخله، شيء لا يستطيع استعادته إلا عبر تلك العيون التي لا تزال تطارده حتى في الأحلام، منكسرةً وتفيض بلومٍ عميق.

تنفس ببطء، وكأنّ كل نفس يستخرج منه قطعة من روحه، »سأعترف لها حتى إن كانت الكلمات ستقتلني، سأعترف لها بكل شيء، وسأدفع الثمن، علها تعطيني فرصة واحدة لإعادة الأمور لما كانت عليه«

كانت كلماته كالاعتراف الأخير لرجلٍ عائد من الموت، يملأه الأمل والخوف معًا.

لم يكن يعرف ما ينتظره بعد هذا الاعتراف، ولكن شيئًا واحدًا كان واضحًا..

استعادة سارافيم كانت معركة عليه خوضها مهما كان الثمن، معركة تتجاوز كل صراعاته السابقة، معركة تهدد بإغراقه في دوامة من الشكوك والألم، ولكنها أيضًا المعركة الوحيدة التي يستطيع أن يرى فيها الخلاص، سيجعلها تُخبره بمكان آرام بعدما يخبرها بما دار مع أبيه، وحينها سيجدان حلا..

في اللحظة التي ظهرت فيها سارافيم أمامه، انقطع الزمن فجأة، وكأن اللحظة توقفت في مكانها، ليحل الصمت الذي كان يثقل الهواء من حوله، كان كل شيء ساكنًا، لكن في أعماق هذا الصمت كان هناك شعور غريب، مثل قنبلة موقوتة على وشك الانفجار..

تقدمت نحو ويون بخطوات هادئة، ملامح وجهها كانت كما العادة

باردة، لكن عينيها... عينيها كانت تراقب كل حركة منه، وكأنهما تختبئان خلف طبقات من الخداع والشكوك التي لا يمكن إخفاؤها، لقد اكتسبت شعورًا مضاعف بسبب السحر الذي سيطر عليها مؤخرًا، ولكن ورغم ذلك حاولت أن تبدو طبيعية وتُكذب أي شعور آخر سوى حبه.

- كيف حالك يا ويون؟

قالتها بصوتها الذي كان يبدو كحفيف الرياح الباردة في الليل.

- اشتقت إليكِ.

صوتها كان ناعمًا، لكنه كان يخفي خلفه هجومًا مبطنًا، كان هناك فخ يتربص بالكلمات، ابتسم ويون، ابتسامة خفيفة، حاول أن يبدو واثقًا، لكن قلبه كان يوشك على الخفقان خارج صدره.

- كنت أبحث عن آرام.

قالها بنبرة عابرة، وكأن الأمر تافه، لكنه كان يراقب كل لحظة، كل حركة في عينيها بعناية شديدة، وكان يعرف أن أي خطأ صغير سيقوده إلى الهلاك.

توقفت سارافيم لثوانٍ، تأملته بنظرة حادة، وكأنها لا تكتفي فقط برؤية ظاهره، بل كانت تراقب قلبه، روحه وحتى أفكاره، كان هناك شيء عميق في عينيها، شيء كان يلتهمه، كما لو أنها تحاول أن تقرأ ما وراء كل كلمة قالها، ثم بصوت يغمره الشك وببطء سألته:

- لماذا كلما نلتقي، يكون سؤالك الأول عن آرام؟ هل لديه أهمية خاصة لديك؟

شعر ويون بشيء ثقيل يسحب صدره، وكأن هواء المكان أصبح أكثر كثافة، كانت نظرتها تلاحقه، تقتحم أعمق أسراره، وأصابته حالة من الارتباك التي لم يكن قادرًا على إخفائها...

لكن، مثل العادة، حاول أن يتماسك رغم أنه قد قرر البوح لها بكل شيء، إلا أنه شعر بشئ يقبض على صوته فأجابها بصوت خافت:

- أردت فقط أن أتأكد أنه في مأمن... أنتِ تعرفين أنه يحمل أسرارًا خطيرة.

ابتسمت سارافيم ابتسامة ساخرة، ابتسامة اختفت خلفها كل معاني الرقة والوداعة، كانت ملامح وجهها تجسد غموضًا عميقًا، كما لو كانت تراقب انفجارًا في صمت تام:

- غريب... يبدو أنك تهتم بسلامته أكثر مما ينبغي.

كلماتها كانت كطعنة مسمومة في قلبه، كأنها كشفت جزءً من سر كان يحاول جاهدًا إخفاءه، حاول أن يغير مسار الحديث، ولكن في أعماقه كان يعرف أن اللعبة قد بدأت، وأن الفخ قد تم نصبه له.

- هل تخشى عليه؟ أم أنك تخشى منه؟

قالت سارافيم، وقد بدأ صوتها يتسرب إلى قلبه كخيط من الخوف، كانت تنظر إليه الآن، ولا شيء سوى القسوة والشك في عينيها.

كانت لهجة كلماتها تشعره وكأن الأرض تتحرك من تحت قدميه، لم يعد يشعر بالأمان، ولم يعد يستطيع الهروب من نظرتها الحادة التي

كانت تمزقه.

في تلك اللحظة، كان كل شيء حولهما يذوب في الصمت، كما لو أن الكون نفسه توقف عن الحركة، سارافيم كانت تقف أمامه، عيونها مشتعلة بغضب مستتر وألم لا يُحتمل، بينما قلبه كان ينبض بعنف، مشدودًا بين التوتر والخوف من ما ستكتشفه، لكنه لم يكن يعرف أنه هو من وقع في الفخ، وأن الخداع كان جزءً من اللعبة منذ البداية.

قالت بصوت هادئ كالصقيع، تتسلل الكلمات عبر فمها كالحكم على مصيره:

- كنتَ تحاول أن تجدني من أجل آرام، أليس كذلك؟ لم تكن تريد العودة لي، بل كنت بحاجة إلى سحر آخر.

لم يكن هناك وقت للتفكير، لأنه شعر بشيء غريب يتسلل إلى قلبه، وكأنما ثقل العالم كله قد سقط على صدره دفعة واحدة:

- لكن... كيف عرفتِ؟

ابتسمت ببطء، ابتسامة ساخرة لكن عينيها كانتا تشتعلان بالمعرفة العميقة:

- أنتَ لا تعرف من أين تبدأ ولا من أين تنتهي، لكنني أعرفك أكثر مما تعتقد.

كان وجهها يشع برعب قاتل وهو يدرك أن هذه اللحظة ستكون محورية، لقد وقعتَ في فخك الخاص.

ثم تحركت بسرعة غير متوقعة، وتقدمت نحوه، يداها مرفوعتان

نحو الهواء كأنها تلعب بحياة، بل مصير هذا الكائن الذي كان يحاول خداعها، و قبل أن يعرف ما يحدث، شعر بسحر غريب يلتف حوله، وكأن يدًا غير مرئية تضغط على قلبه، فهمس بصوتٍ المرتجف:

- ماذا فعلتِ بي؟

قالت بنبرة متسلطة، وكأنها كانت تعشق لحظة انتصارها هذه الجديدة عليها:

- إنه سحر يكشف لي الحقيقة، سحر يجعل كل كذبة تخرج من فمك كأنها رماد.

نظر إليها بعينيه التي امتلأت بالذعر، لم يكن يعلم أن سارافيم، منذ اللحظة الأولى، كانت تعرف تمامًا ماذا يفعل، وأنها كانت تراقب كل كلمة وكل حركة، سحرها كان قد حوّله إلى كائنٍ مَكشوف، لا يستطيع أن يهرب منَ ماضيه، من خياناته.

- أنت أخطأت في تقدير كل شيء، كنت تظنني ضعيفة، أليس كذلك؟ كنتَ تظنني سأصدق كذبك، لكنك لم تكن تعلم أنني أعيش في عالمٍ آخر.

قالت، وهي تبتسم ابتسامة قاتمة، كأنها اكتشفت شيئا يثير الحيرة في نفسه.

- هل فقدتكِ؟

همس بها وهو يرتجف، ولا يستطيع منع نفسه من النظر إلى وجهها، الذي بدا وكأنه يحمل ملايين الأسرار، مئات السنوات من الألم والخيانة.

- أنتَ لا تعرف معنى الفقد، لأنك لم تفقد شيئًا حقيقيًا، كل شيء كان مجرد لعبة.

كانت الكلمات كالسكاكين التي تغرس في قلبه.

ثم، ووسط هذا الصمت القاتل، تحركت ببطء، مستعرضة المسافة بينهما، وكأنها تشعر بالسلام الداخلي وهي تراقب انهيار كل شيء حوله، وعندما اقتربت منه أخيرًا، همست في أذنه، كأنها تذبحه بنغمة صوتها الخالية من أي عاطفة:

- لو رأيتك مرة أخرى... لن أكون رحيمة، سأقتلك بأبشع طريقة ممكن أن يتخيلها عقلك.

وبعد أن أنزلت السحر عن جسده، تركته، وهو يعجز عن الحراك، كان قلبه ينفطر وهو يشاهدها تمشي بعيدًا عنه، خطواتها خفيفة، لكنها كانت تترك وراءها ظلالا ثقيلة من الرعب والموت.

وفي الظلام الذي غلف المكان، كان هو يقف هناك، مفككا، محطمًا، يحاول أن يلتقط أنفاسه في ذلك الفضاء المملوء بالضياع، ورغم أن عينيه كانت تتنقل بين انعكاسه في الماء وبين صورته التي تمحى ببطء، إلا أن حقيقة واحدة فقط كانت تفرض نفسها عليه:

لقد كان خداعه هو من وضعه هنا، وهذه هي نهايته الحتمية.

***

الفصل الثامن عشر

كان الليل قد أرخى سدوله على غابة كثيفة تُطوقها أسرار خفية ورعب صام، نسيم بارد يتخلل الأشجار، وكأنها تتنفس انتظارًا، أصوات الغصون المتحركة في الريح كانت تُشبه همسات تهدد بانفجار قريب، وقف عفرين وسط هذا الظلام، منتصبًا بشموخ متهور، يُحدق بأخيه الأكبر ساري الذي تقدّم ببطء، وكأن الأرض نفسها ترتجف تحت وطأته.

ساري، ذو العينين الحادتين والقامة الشامخة، هو الرجل الذي لا يعرف للشفقة مكانًا، ذاك الذي لم يتردد يومًا في بسط سلطته بالقسوة، حكم بعائلته كقبضة حديدية، جعلهم يختنقون تحت وطأة سطوته، لكن ها هو اليوم يجد نفسه أمام أخيه الأصغر، ذاك الغريب الذي ظنّه حليفًا في الأمس، لم يكن هذا لقاء أخوين، بل مواجهة مدمرة.

خطا ساري خطوة، والأرض الموحلة تكاد تحتضن قدمه بتردد كمن يتجنب إثارة غضبه، كانت الأشجار ترتعش في انتظار اللحظة الحاسمة، والظلام ينكمش حولهما كأنه يُعزز حضورهما، عفرين، الشاب الذي يكمن وراء ملامحه الناعمة ظلام مخيف، عينيه المشتعلتان تشيان بغضب كامن، لكنه كان يتكلم ببرود كئيب، وبصوتٍ عميق كمياه راكدة تحتفظ في عمقها بسموم قديمة:

- تعتقد أنك تحكم هذه الأرض يا ساري، وتنسي أنك أسير، أسير لصورة البطل الذي رسمته لنفسك، أسير لمعاهداتك العمياء.

رفع عفرين رأسه، متحديًا إياه بنظرات تشبه الخناجر، كل كلمة كانت تخرج منه كأنها لعنة:

- لكنني أقولها لك الآن، هذا عهدك قد انتهى.

كان ساري يستند على سيفه الثقيل، لامع كالنصل الذي يقطر منه الدماء، ينظر إليه بنظرات مليئة بالاحتقار، لكن في أعماقه كان يشعر بنبض لا يهدأ، نداء من ماضٍ حاول دفنه، رفع صوته بحدة، لكن بنبرة منخفضة كأنما همس الغضب ذاته:

- جئت إلى هنا لتقف أمامي، لتتحداني في هذه الأرض التي تمثل إرثي؟ لا أنت ولا غيرك يمكن أن ينال مني يا عفرين، لو أردت الانقسام عم العائلة فيمكنك مغادرتها في الحال غير مأسوف عليك.

ارتفعت ضحكة عفرين، جافة باردة، كأنها تُطلق نبوءة موت قادم، - أنت مخطئ يا أخي، مخطئ في كلُ ما ظننته عني، عُن هذه الأُرض، عن سلطتك التي ظننتها لا تهزم، أتيت هنا لأنهي هذه اللعبة البشعة.

كان الهواء يثقل حولهم، وكأن الطبيعة ذاتها توقفت عن التنفس في انتظار الانفجار، لم يحرك ساري ساكنًا، لكنه كان يرصد كل حركة صغيرة لعفرين، حتى تردد أنفاسه الباردة، كان كالحيوان المفترس الذي يراقب فريسته لكنه لا يهجم بعد، شعر بارتعاش طفيف في أعماقه، كان يعلم أن عفرين لا يمزح، كان يعلم أن اليوم لن يمر كأي يوم آخر.

وبهدوء مرعب، رفع عفرين يده نحو السماء المظلمة، وأصبعه أشار ببطء كما لو كان يرسم مصيرًا محتومًا:

- لقد غاب عنك شيء واحد يا ساري... النهاية، وفي النهاية، كل شيء ينهار، حتى أنت، وحتى إرثك المزعوم.

تجمّد ساري للحظة، لكن سرعان ما تحرك للأمام كذئب جريح، لم يعد يحتمل الاستفزاز، ملامحه ملتهبة بالغضب الذي كتمه طوال هذه السنوات، قبضته على السيف تشتد، وعيونه تكاد تقطر من الشرر.

لكن في اللحظة ذاتها، ارتفع صوت قهقهة عفرين، تلك الضحكة المروعة التي اخترقت الظلام وكأنها تقتلع الأرواح من أعماقها، ضحكة أعادت الحياة للأشجار المحيطة التي بدأت تهتز بعنف، الهواء ارتجف وتحول إلى زوبعة غامضة تُحيط بالاثنين، كأن قوى خفية تشارك في هذا العداء.

همس عفرين بنبرة أخيرة كأنها ختم يضعه على هذا اللقاء:

- لن أكون ظلّا في عالمك، لن أكون تابعًا، وأنت تعلم أنني لن أتراجع.

كانت اللحظة توشك على الانفجار، وكان المكان من حولهم كأنه يلتف ليشهد هذه المواجهة الأخيرة.

***

في قاعة ضخمة، غمرتها الظلال الثقيلة، حيث لا يشرق منها سوى ضوء خافت ينحرف عبر أفقٍ ضبابي، اجتمع ملوك الجن السبعة في دائرةٍ مُحكمة، يجلس كل واحد منهم على عرشٍ غامضٍ يليق بقوته، الجو كان محملا بصمت ثقيل، والمكان يعج بروائح العزلة، لم يكن هناك سوى همسات خافتة تتسلل بين كلمات كل واحد منهم،

وعينيهم تتلاقى دون أن تُفصح عن شيء.

الملك الأسود، الجبار ذو الجسد الهائل، الذي كان يبدو كأن ضوء الليل يسكن بين عظامه، كان أول من كسر الصمت بصوته العميق مثل دوي الرياح العاتية:

لقد أصبح عفرين مصدر تهديد لنا جميعًا، هذا الفتى الذي كان في البداية مجرد أداة في أيدينا، بدأ في تهديدنا جميعًا، لم يعد هناك مجال للتسامح، يجب أن نتخلص منه، قبل أن يخرج عن سيطرتنا.

تطايرت الهمسات بين الملوك السبعة، وكان الحذر والريبة باديين على وجوههم، تطلعوا إلى بعضهم البعض بنظرات متبادلة، وكأنهم يبحثون عن كلمة واحدة تكشف عن مزيد من التفصيل، ولكن كانت هناك نظرة واحدة تختلف عن البقية، تلك التي جاءت من الملك الأبيض.

كان جالسًا في صمت، مغمورًا في تفكير عميق،عينيه اللامعتين كانت تحدقان في الفراغ أمامه، عاكسة صورًا غير واضحة، تمامًا كأنهما لا تزالان تتأملان أمورًا أكثر ظلامًا، كان يعلم أن القرار الذي سيتخذونه لن يكون مجرد خطوة بسيطة، بل هو تحوّل مفصلي في طريقهم، فلو بدأ العداء بين قبيلة الشنفري وممالكهم لن ينجو أحد من الطرفين، لكنه كان قد أدرك أيضًا أن عفرين تجاوز حدوده، وأصبح يشكل تهديدًا غير مقبول على الجميع، وخاصة أنه بدأ يتعرض لحفيدته بشكل مباشر..

وعلى الرغم من ذلك، كان هناك شيء في قلب الملك الأبيض يعكر صفو قراره، لم يكن الأمر مجرد تهديد مباشر، بل كان يتعلق بما يفعله

عفرين بعيدًا عن الأنظار، وما قد يحاول استغلاله من أدوات سحرية قد تؤثر في توازن الأمور.

أخذ الملك الأبيض نفسًا عميقًا، ثم، بصوته الهادئ والمطمئن، قال:

- نعم، أنت مُحق أيها الملك، عفرين أصبح خطرًا علينا جميعًا، لكن أريدكم أن تكونوا حذرين في تصرفاتكم، لا ينبغي أن نفقد السيطرة على هذا الوضع.

لم يذكر الملك الأبيض شيئًا عن الحفيدة سارافيم، رغم أن عقله كان يعج بهذه الفكرة، كان يتجنب التحدث عن هذا الموضوع مع الملوك السبعة، فهو يعلم أن هذا الخيط الخفي قد يربطه بعفرين بطريقة غير مرئية، قد تخرج عن السيطرة.

وتابع الملك الأبيض حديثه بصوتٍ هادئ، ولكن حازم:

- ولكن، يجب أن نتخلص منه الآن، إذا استمر في تهديدنا، سيصبح من الصعب جدًا أن نتحكم في مصيرنا مع القبيلة بأكملها.

نظر إليه الملك الأسود بشيء من التقدير، لكن عينيه أظهرت حدة أكثر في تعبيراته:

- إذن، نضرب في الحال، لا مكان للتساهل مع هذا النوع من الترهيب.

أومأ الملك الأبيض برأسه، لكن قلبه كان يحمل سؤالًا: »هل سنكون قادرين على تحمل العواقب؟«

مع ذلك، انتهى الأمر بالإجماع، كان الجميع يعرفون أن عفرين

يجب أن يُزال من الطريق، وأن تأجيله سيمنح القوة لهذا الرجل الذي بدأ في التلاعب بالقوى التي لا يستطيع أحد التحكم فيها.

كانت اللحظة قد بلغت ذروتها، ورغم إجماع الملوك السبعة على القرار، كان الملك الأبيض لا يزال غارقًا في حالة من التردد العميق، شعورٌ غير مرئي كان يلتف حول قلبه، مثل غيمة ثقيلة تمطر في أعماق نفسه، كان يعرف جيدًا أن القضاء على عفرين سيحدث تحولات جذرية في موازين القوة، وأنه لا مفر من هذه الخطوة لحماية حكمهم وسلطتهم، ولكن في أعماقه، كان ثمة شيء يحيره.

هو يدرك أن تصفية عفرين ستزيل تهديدًا خطيرًا، ولكن لم يكن يعلم أن ثمن هذه الخطوة سيكون أكبر بكثير مما يتصور، وفي تلك اللحظة، كانت يدٌ خفية تمسك بكل خيوط اللعبة، ولا يراها أحد سوى عينيه المتوقدتين، وكأن كل شيء مُعد بعناية في الظلام، كي يصطادوا في النهاية في شبكة كانوا هم أنفسهم جزءً منها.

لم يكن الملك الأبيض يدرك بعد أن عفرين لم يكن هو اللاعب الوحيد في هذا الصراع، وأن هناك قوة أعمق وأقوى تتحكم بما هو أبعد من مجرد تهديد عابر.

قال الملك الأحمر وهو ينظر إلى الملك الأبيض بعيون حادة:

- أنت من سيكون المزسل، أيها الملك الأبيض. تعجب الملك الأبيض وانتبه لحديثه:

- عليك أن تذهب إلى ساري، وتبلغه بقرارنا، ليس هناك وقت للتردد، لا قتال بيننا وبينهم، فقط عفرين هو من يجب أن يُسلم.

أومأ الملك الأبيض برأسه، لكن مشاعر قلق غير مرئية كانت تمر في ذهنه، كان يُدرك أن هذه المهمة قد تكون بداية لفصل جديد من العواقب غير المتوقعة، ولكن ما من خيار آخر كان أمامه، رغم أنه يكاد يوقن أن ساري لن يسلم شقيقه مهما كلفه الأمر، ولكنه لن يتجاهل المحاولة.

قال الملك الأبيض أخيرًا:

- أفهم.

صوته هادئًا وهو يُردف:

- ولكنني لا أستطيع أن أتجاهل أن ما نفعله قد يتسبب في قلب موازين قوى مختلفة تمامًا، لا يمكن أن يكون هذا مجرد حل سريع، نحن بحاجة لليقين.

أضاف الملك الأخضر، الذي كان يكره التأخير:

- الوقت ليس في صالحنا، كل لحظة تأخير قد تعني انهيارًا آخر، نفوذ عفرين تتوسع بشكل خطير عليه أن يُسلم أخيه ويتجنب الحرب العظيمة، ولا يمكننا الانتظار أكثر.

قال الملك ميمون، وهو يرفع حاجبًا بتفكير عميق:

- مهمتك ليست مجرد تسليم عفرين، يجب أن تكون حذرًا في ما تقوله لساري، لا تذكر له أي شيء يتعلق بمخططاتنا الداخلية أو بأي تهديدات قد تزيد من الفجوة بيننا وبينهم. أغمض الملك الأبيض عينيه لحظة، وكأنه يفكر في العواقب المحتملة، ثم قال بصوت هادئ وثابت:

- حسنا.. سأذهب إليه، وبالفعل لن أتحدث عن أي شيء سوى التسليم، لن أسمح لأي شيء آخر بأن يعكر صفو المهمة.

تبادل الملوك السبعة نظراتهم، وبدون أن يضيفوا شيئًا آخر، أومأوا جميعًا بالموافقة، الملك الأبيض كان هو الوحيد الذي يعرف من داخل قلبه أن هذه المهمة لن تكون نهاية القصة، بل بداية لشيء أكبر وأكثر تعقيدًا.

حينما غادر الملك الأبيض القاعة، كانت أفكاره مشوشة، كان يعي أن عفرين لم يكن التهديد الوحيد، بل كان جزءً من لعبة أكبر بكثير مما تخيله، وهو لا يتجاهل شعوره ابدًا، وبينما كان يخطو نحو مصيره الذي اختاره الملوك له، كان يحمل عبئًا أكبر من مجرد الكلمات التي سيلقيها على ساري.

وصل الملك الأبيض إلى المكان الذي كان يعرف أن ساري سيتواجد فيه، كانت الرياح تعصف بالأفق، والجو كان مشبعًا بالبرودة التي تتسرب إلى العظام، كما لو أن العالم بأسره كان ينتظر القرار الذي سيصدر عن هذا اللقاء، وفي هذا المكان، كانت القوى تتجمع في صمت، مستعدة للحظة الحاسمة، بينما جلس نعمان أمام مرآته يتطلع إليهما في سعادة وهو يرى خطته تسير كما أعد لها بدقة عالية.

ظهر ساري في الظلال، عيناه اللامعتان تومضان بنظرة حادة،

يراقب الملك الأبيض وكأنما يقرأ نواياه، كانت الخطوات التي خطاها بطيئة، متأنية، وكأن كل كلمة ستصدر منه ستكون محكومة

بشدة من التردد والشك.

سأله ساري بصوتٍ منخفض لكنه مشبع بعاطفة مشوشة، مزيج من الفضول والتحدي:

- ماذا تفعل هنا؟ ألم يكن بوسعك إرسال رسالة كما يفعل باقي الملوك؟

أجاب الملك الأبيض بصوت هادئ، لكنه يحمل القوة التي تليق بمن حمل عبء القرار:

- أنا هنا بناءً على رغبة الملوك السبعة، ونحن ليس لدينا رغبة في إشعال حرب جديدة، نريد تجنبها بأي ثمن، لكننا بحاجة إليك كي تساعدنا في ذلك.

تأمله ساري بتدقيق ليُردف الملك الأبيض دون تردد:

- نريدك أن تسلم لنا عفرين.

كان الصمت يلف المكان، وساري لم يبد أي رد فعل فوري، كان ينظر في أعماق عيني الملك الأبيض، يحاول أن يقرأ ما وراء كلماته، كان يعلم أن الوضع قد بلغ نقطة اللاعودة، لكن هل سيكون هذا هو الحل الأفضل؟ هل كان تسليم عفرين سيعيد التوازن ويضمن السلام، أم أن الثمن سيكون أكبر مما يتوقعه الجميع؟

- عفرين...

قال ساري أخيرًا، وكأن اسمه وحده يشحن الأجواء بالكهرباء:

- أنت تعرف أن عفرين ليس شخصًا عاديًا، وهذا ليس مجرد تهديد

لنا أو لمملكتكم، هو أكثر من ذلك وأنت وأنا نعلم هذا جيدًا.لكن الملك الأبيض أجابه دون تردد بنبرة صوتٍ ثابتة كالحديد: - نحن جميعًا نعلم ذلك لكنه أصبح خطرًا على الكل، وإذا استمر في تهديد توازن القوى بين العائلات، فلن نتمكن من الحفاظ على النظام الذي قمنا به على مر العصور، نحن لا نريد حربا.. نحن نريد حلًا.

كان يواجه ساري خيارًا صعبًا، كانت نفسه تمور بالتساؤلات في البداية، وكان يأمل أن يكون هناك مخرج آخر، طريقة للتعامل مع عفرين من دون تسليمه، لكن كان هناك شيء في كلمات الملك الأبيض بدا أكثر إلحاحًا، لم يكن هذا مجرد تهديد عابر، بل كان الأمر يتعلق ببقاء الجميع في أمان، كانت العواقب واضحة.

أغلق ساري عينيه للحظة، وأخذ نفسًا عميقًا، كأنما كان يوازن بين مشاعره وبين ما يقتضه العقل في هذه اللحظة، فسأل نفسه بصوت منخفض..

»هل حقًا أصبح عفرين بهذا الخطر؟ « »هل أصبح تهديدًا أكبر من أن يُحتمل؟«

وكانت الإجابة الصحيحة هي »نعم« لقد رأى ذلك بنفسه منذ قليل، لقد فلت زمام عفرين واستحوذ عليه شيطانه، ولو تركه هكذا لن يترك شيئًا حيًا في ممالك المسلمين.

ثم و بهدوء شديد، قال ساري:

- إذا كان هذا هو الحل الوحيد لضمان السلام هو تسليمه، فإننا لا خيار أمامنا سوى ذلك، سأقوم بما يجب عليّ فِعله.

نظر الملك الأبيض إلى ساري بحذر، عينيه تحملان شيئًا من الارتياح الممزوج بالقلق وهو يقول له:

- نحن نثق في حكمتك يا ساري، لكن تذكر، هذا القرار لن يكون مجرد خطوة عابرة، ربما سيأخذنا عفرين جميعًا إلى مسارٍ آخر.

أومأ ساري برأسه وعينيه مملوءتان بالهموم، كان يعلم أن تسليم شقيقه قد يفتح أبوابًا أخرى من الصراع، لكن في هذه اللحظة، كان يدرك تمامًا أن هذا هو الخيار الوحيد المتاح.

- سأفعل كل ما يجب لحماية الجميع.

قال أخيرًا، وصوته يكتسب حدة جديدة، كما لو أنه تخلص من عبء ثقيل، ليكمل بتحدٍ أكبر:

- إذا كان هذا ما سيحفظ توازننا، فأنا على استعداد لدفع الثمن.

حرك الملك الأبيض رأسه بأسف، وأشار إلى الجوانب المظلمة التي حولهم، وكأنما يريد أن ينهي الحديث قبل أن يتورط في مفاجآت أخرى:

- فعلت الصواب يا ساري، الطريق أمامك سيكون صعبًا، لكننا نثق أنك ستتخذ القرار الصحيح.

ثم، في لحظة من الصمت، بدأ الملك الأبيض يختفي تدريجيًا في الظلال، تاركًا ساري ليواجه قراره، لكن عيني ساري بقيتا ثابتتين على المسافة التي يفترض أن يسير إليها، كان يعلم أن تلك اللحظة كانت بداية جديدة، لكن النهاية لن تكون كما توقعها.

الفصل التاسع عشر

كانت الغرفة مظلمة، والهواء ثقيل، مليء برائحة العفن والرماد، كانت روهان تقف وسط تلك الغرفة القديمة الموحشة، وحينما تمد يدها نحو الجدران، شعرت بنبضات قلبها تتسارع مع كل خطوة تخطوها نحو الظلال التي كانت تتجمع في الزوايا المظلمة، كان المكان كما لو أنه مشهد من كابوس قديم لا ينتهي، ضباب كثيف يملأ كل زاوية، مع همسات لا تسمعها إلا الأعين التي فقدت بريقها منذ زمن بعيد.

من بين الظلال، ظهر لها الشيطان، كان يخطو بثبات نحوها، وجهه المظلم يغرق في الظلام، إلا أنه كانت عيونه تلمع كالنجوم الباردة، تترصدها بنظرة تحمل كل القوة التي تنبعث من الغضب، كان وجهه منقسم لنصفين، نصفه مظلمًا، ونصفه الآخر يُظهر معالمه المخيفة التي كانت تتبدل مع كل خطوة، وكأن ملامحه تنقلب إلى أشكال شتى لتخيفها.

- أنتِ لا تستطيعين الهروب، يا روهان... أليسَ كذلك؟

قال الشيطان بصوتٍ خافت، لكنه كان ثقيلا كالصخر، يشق الصمت في قلبها، كان صوته يترنح في أذنها كما لو أن كلماتها تتساقط في عمقها، كان يُدعى »إيثاران«، وهو أحد الشياطين القديمة، الذي قضى حياته في غرس الفوضي والدمار في كل ما هو حي.

كانت روهان تقاوم، تحاول أن تبعده عن عقلها وقلبها، لكنها كانت تشعر بالقوة التي تحيط بها، تتغلغل في روحها، وكأنها قوة لا مفر

منها. كانت تركز على أنفاسها، تنبض بسرعة أكبر مع كل كلمة ينطقها إيثاران:

- لا تظني أني هنا من أجل جعل الأمور أسهل لك.

ثم تابع بابتسامة ساخرة، وهو يقترب منها أكثر:

- أنا هنا لأريك الطريق إلى قوتك الحقيقية، طريقٍ لا يحتاج منك سوى أن تبتعدي عن كل ما يربطك بالضعف، سنغذي قوتك بالغضب والحقد، وبذلك ستصبحين غير قابلة للانكسار.

بدأت روهان تشعر بالحرارة تتسرب إلى قلبها، وكأن نارًا مشتعلة بدأت تلتهب من داخلها، كان كل شيء في داخلها يصيح، كان جزء منها يعلم أنها كانت تسير على طريق مظلم، وأن هذا الطريق قد يقودها إلى العدم، ولكن رغبتها في الانتقام كانت تفوق أي شيء آخر.

- كيف يُمكنني أن أشحذ قوتي؟

همست روهان، وكان صوتها خافتًا، كأنها تحاول أن تقاوم كلمات الشيطان.

رد إيثاران، وهو يقترب منها أكثر، حتى أصبح أنفاسه تلامس رقبتها:

- بكل بساطة، عليكِ أن تركزي على ما يسبب لك أكبر ألم، على ما يكسر قلبك، ويجعل كل شيء حولك غامضا، ممتلئا بالكراهية.

ثم دنى من أذنها هامسًا كأفعى مُجلجلة:

- فكري في سليمان... كيف جرح كبريائك، كيف كان يحدثك باستهانة في أوقات كنتِ بحاجة إليه أكثر من أي وقت مضي.

أغلقت روهان عينيها للحظة، وشعرت بقلبها ينبض بشدة، كانت كل صورة من صوره وهو ينهرها تطفو في ذهنها، كان سليمان، الفتى الذي أحبته بصدق، لقد احتقرها وانتقص منها وهي التي ذهبت إليه لتساعده.

- تذكري، كيف أنكِ كنتِ هناك من أجلهم جميعًا، وهم تركوكِ تنهارين وحيدة.

قال إيثاران وهو يضغط على قلبها أكثر وأكثر:

- تذكري كيف خدعتك كل كلمة من كلمات سليمان، وأنتِ كنتِ تعتقدين أن الحب يمكن أن يصحح كل شيء، هو لم يكن يحبك أبدًا، هو فقط استخدمك لتحقيق مصلحته.

كانت الكلمات تتسلل إلى روحها، تتغلغل في أعماقها، وشيئًا فشيئاً، بدأ الظلام يزحف في قلبها، كانت نار الغضب تزداد اشتعالا داخلها، وعندما فتحت عينيها، كانت ملامحها قد تغيرت، لم تكن هي نفسها بعد الآن، كانت قوة الشر والانتقام تملأ روحها، تغذيها، وتقويها.

قالت له بصوتٍ حاد، كان يشبه نبرة الشيطان نفسه.

- خذني إلى ما يمكنني فعله.

ابتسم إيثاران، وأخذ يدها برفق، قائلًا:

- إنكِ الآن قادرة على كل شيء، يا روهان، الآن يمكنكِ أن تقضي

على من خذلكِ. سليمان... هو في متناول يدكِ، لو استطعتِ التخلص منه ستتحررين من أخر خيط قد يربطكِ بمشاعر الأنس البالية، التي لا قيمة لها أما قوتك المهولة والمدمرة.

ثم بدأ يهمس بكلمات سحرية غامضة في أذنها، كلمات كانت تتردد في عقلها كما لو كانت تراها مكتوبة على جدران قلبها، كانت الكلمات تعويذة مغلفة بالكراهية، تزيدها قوة، كلما تذكرت أكثر ما فعله بها سليمان.

شعرت روهان بنبض قلبها يزداد سرعة، وعقلها يُظلم أكثر، كانت الخطة تتضح أمامها، هي الأن مستعدة لتحطيم كل شيء، لتدمير كل من خذلها، فكرت في سليمان، في كيف كان يُشعرها بأحاسيس مختلفة، كيف كانت تتفاعل معه وينفذ صوته داخل قلبها، وفي لحظة، اندفعت مشاعر الغضب نحو كيانها بشكل لا يمكنها تحمله، كان قلبها مليئًا الآن بالكراهية، وغرقت في تلك الرغبة القاتلة لتدميره.

وبينما كانت تتعمق أكثر في أفكارها، قالت أخيرًا، صوتها كالسيف الحاد:

- سأذهب إليه في الحال، وسوف أتخلص من هذه النقطة البيضاء التي ما زالت داخلي، وحينها فقط سأحرر ما بقى مني من ضعفٍ قمئ، يُثقل نفسي وروحي معًا.

***

كان المحراب مكانًا معزولًا، حيث اختبأ فيه نعمان بعيدًا عن أعين

الجميع، المكان غارق في الظلام، عيون الجدران القديمة تحمل أصداء عصورٍ مضت، بينما هو جالس في الزاوية، يراقب عفرين عن كثب، كانت الأصوات المزعجة التي تملأ المكان لا تهمه، فكل ما كان يشغله هو النتيجة التي ستنتهي إليها هذه اللعبة المعقدة، ويجب أن تكون النتيجة هي ما خطط لها فقط، لن يسمح بأي نتيجة أخرى..

كان عفرين جالسًا قبالته على الأرض، وجهه مشوّش، وعينيه تتنقل بين الظلال كما لو أنه يبحث عن إجابة لأسئلة لم تُطرح بعد، كان يشعر بالضغط، بأرواح تلتف حوله، وكأنها تهمس له بتهديدات مبهمة، لكنه لم يكن يعرف بعد أن هذه هي اللحظة التي سيكتشف فيها الخديعة الأكبر.

كان بني النعمان جالسًا في صمت، تنفس بهدوء وهو يراقب عفرين، يدرس كل حركة، وكل كلمة تخرج من فمه، قلبه ينبض بشكل مختلف في هذا الموقف، كان يعلم أن الطريق الذي يسلكه هو أقوى من أن يحاول عفرين مقاومته، القوة التي اكتسبها عبر قرون، والذكاء الذي تراكم في رأسه، كانا الأسلحة التي ستضمن له السيطرة على اللعبة.

همس نعمان لنفسه، ثم التفت إلى عفرين وقال بصوتٍ خافت:

- أنت الآن في طريق مسدود، كنت تتوقع أن تسير الأمور كما كنت تظن، لكن اللعبة ليست كما تخيلتها.

عفرين رفع عينيه، وظهرت على وجهه علامات الحيرة، ليسأله بصوتٍ متحشرج، كما لو أنه يحاول فهم ما يدور حوله:

- ماذا تعني؟

ابتسم بني النعمان ابتسامة خفيفة، ابتسامة ملؤها الغموض والخداع وهو يقول له:

- الملوك السبعة الآن قرروا تصفيتك نهائيًا، وأخيك ساري هو من سيسلم إليهم.

نظر نعمان إلى عفرين، وعينيه تحملان بريقًا من السخرية: - هم يظنون أنك أقوى، لكنهم لا يعرفون أنني سأجعلك مجرد خرقة بيدهم و دون أن ترف لك جفن، ستستلم للموت الهادئ وسوف أتخلص منك بيدهم ودون حتى إقامة حربٍ ولو صغيرة.

كانت عيني عفرين تتسعان في دهشة، ثم حاول أن يسيطر على مشاعره وهو يسأله:

- كيف؟ كيف ستفعل ذلك؟

كان صوته يرتجف من القلق، وعيناه تبحثان في عيون نعمان عن أي إجابة، لكنه لم يجد سوى الغموض.

ابتسم بني النعمان مرة أخرى، وهو يقف ويتحرك في المحراب بخفة، كان يراقب المكان كما لو أنه يخطط لشيء كبير، شيء لا يمكن أن يُخطأ:

- لا تسأل كيف فعلتها، فأنت صغيرٌ جدًا على أن تفهم انتقامي.

ثم وقف نعمان أمام عفرين، ويده تمر فوق الأثاث العتيق، وفي صوته شيء من الحدة هذه المرة:

- سوف تموت دون إراقة نقطة دمٍ واحدة، ستنتهي أسطورة عفرين القائد الكبير الذي يهابه جميع ملوك الجن، سأتخلص منك في لحظة ودون أن ألوث يدي برمادك القذر.

كانت الكلمات التي خرجتْ من فم نعمان كالعاصفة، ولكن عفرين ظل في مكانه، صامتا، محاولا استيعاب ما قاله، كان يشعر بشيء من الشك، لكنه لا يستطيع تجاهل الجاذبية التي كانت تسحب قلبه إلى طريقه، الطريق الذي كان مليئًا بالخداع، لكنه في ذات الوقت، كان الطريق الذي قد يوفر له النجاة.

جلس بني مرة أخرى في الزاوية، لكن هذه المرة كان وجهه يعكس قسوة وشرًا لا يمكن تجاهله:

- كنت أظنك في البداية تملك من الذكاء ولو القليل لتعرف حجم من تريد عداوته.

اقترب منه أكثر وقد اشتعلت عيناه بالغضب وهو ينحني نحوه قائلا:

- خطط من الحقير ياوي على لعبة قذرة، واقحمت زوجتي وعشيقتي بها، وظننت أنك ستنجو مني؟

وقف وهو يضحك بخفه ليُردف:

- يالا غبائك يا عفرين.

نظرت عيني عفرين إلى الأرض للحظة، ثم رفع رأسه ببطء، وعينيه متسعتين، ليستطرد بني النعمان تعذيبه واستحقاره:

- أريد أن أخبركَ بشيئًا هام قبل موتك الذي سيكون بعد قليل.

انتبه عفرين بكل حواسه وقلبه يصارع للبقاء داخل صدره وهو يستمع لكلمات نعمان التي هي أحد من السيف:

- آرام ليس أبنك من روهان.

توقفت نبضات عفرين وجحظت عيناه، لينحني بني النعمان نحوه بابتسامة نصر تراقصت على ملامحه المشرقة وهو يرى حسرته بعينيه:

- لقد خدعك ياوي أيها المغفل كي تُعلمه السحر بعدما اعتقد بموتي.

وقف بشموخ وعظمة وهي ينطق بالضربة القاضية في وجهه:

- آرام ابني أنا من روهان.

ليميل عليه هامسًا بنبرة كادت أن يفقد عفرين على إثرها روحه:

- روهان.. زوجتي وحبيبتي التي اختارتني أنا، ولفظتك أنت.

في تلك اللحظة اعتدل بني النعمان وبسرعة هائلة، بينما كانت أصوات الرياح تعصف بجدران المحراب، وداخل قلب عفرين كان يتردد صدى صمت رهيب، أدار نعمان جسده إلى السلسلة المتدلية أمامه، يده التي كانت ثابته بقوة وهو يتخيل نهاية عفرين التي رسمها في ذهنه، بينما أعين عفرين كانت تدور حول نفسها بندمٍ وحزنٍ عميق..

حرك نعمان السلسلة ببطء، وبدأ يهمس بالكلمات السرية التي

تعلمها منذ مئات السنين، كان السم الذي ينساب من أنياب الأفعى، والتي كانت متدلية منمعصمه، يغمر السلسلة، ويفتح بوابة جديدة في الزمن، كانت الكلمات العميقة التي نطق بها تتناغم مع الحركة، وتبدو كما لو أنها تمزق الأبعاد بين الواقع والخيال.

- حين يربط الزمن بخيوط القدر، يصبح كل شيء قابلا للتغيير.

اندفعت طاقة غير مرئية عبر السلسلة، ملأتها هالة مظلمة نابعة من طيف السم، بدأت آثار التغيير تظهر في الهواء، ملامح المكان والزمان تتشوه، الأرض التي تحت أقدامهم بدأت في التبدل، والأفق يذوب تدريجيًا، وكأنما تتقلص المسافة بين اللحظة التي كان فيها عفرين في المحراب وتلك التي سيجد نفسه فيها بعد لحظات..

وبينما كان نعمان يقف بلا حراك مبتسمًا، كان يراقب عفرين الذي بدأ يشعر بألم حاد في قلبه، لم يكن يعلم أنه بات يتنقل عبر أبعاد غير مرئية، وأنه كان يندفع بسرعة غير معقولة عبر الزمن والواقع، وبسرعة كبيرة، وجد نفسه في وسط قبيلته، حيث الرمال القاحلة تمتد على طول البصر، والأشجار المتناثرة حوله تحمل طيفًا من الزمن الغابر.

في تلك اللحظة، شعر عفرين بشيء غير طبيعي، وكأنما يعود إلى مكانه الذي كان فيه منذ فترة، لكن شعورًا غريبًا ملأ قلبه، أدار رأسه ببطء، وعينيه تبحث عن الأوجه المألوفة، وفعلًا، وجد نفسه في قلب قبيلته، لا شيء حوله يبدو غريبًا، لكنه كان يعلم، من الأعماق، أن هناك شيئًا قد تغير.

وفي الجهة الأخرى، كان يراقب ساري الموقف بحذر، وداخل قلبه

كان الشعور بالمرارة يزداد قوة، كان قد اتخذ قراره، وكانت يده ترتجف وهو يرفعها ليأمر الحرس بالتحرك:

- اقبضوا عليه.

كانت كلماته كالسكاكين التي تُطعن في قلبه، لم يكن ساري يريد أن يصل إلى هذه اللحظة، لكنه كان يعلم أن الأخطار التي تهدد القبيلة تفوق كل شيء آخر.

رغم أنه كان يكرهه على ما فعله، إلا أنه كان يود أن يحاول إيجاد طريق آخر، لكنه أمام عينيه، كان يرى الخطر الذي لا يمكن التغاضي عنه، لقد تخطى عفرين حدوده المسموح بها ووجب عليه معاقبته، كان الحرس يرتدون دروعهم الثقيلة، اقتربوا من عفرين بحذرٍ، بينما كانت القبضة الحديدية تتحرك في صمت، وكأنما يدا ساري كانت تغلق على قلبه.

شعر ساري بحزنٍ عميق ينهش كيانه، كانت أيامهما السابقة تتلاشى من ذاكرته، اللحظات التي كان فيها مع عفرين في طفولتهما، حينما كانا يتجولان سوية في الأراضي البعيدة، كانوا ذات يوم أخوين، وكان الأمل في عينيه يتأجج مثل شعلة لا تنطفئ، لكن اليوم، كان يراه أمامه كشخصٍ آخر، شخص لا يمكن التعرف عليه بعد الآن.

- أنت بالفعل أخي، ولكنك لست الشخص الذي كنت أعرفه. كانت هذه الكلمات تتردد في ذهنه، وكأنها تلمس قلبه بيد ثقيلة، لم يكن يعرف إذا كان يفعل الصواب أم لا، لكن عندما نظر إلى ملامح عفرين، ورآه يتجنب نظراته شيئًا فشيئًا، شعر أن كل شيء أصبح بعيدًا،

وكأنما الواقع قد بدأ يتحطم أمامه.

عينيه، المشدودتين نحو عفرين، كانتا مشوبة بالدموع التي كان يحاول أن يخبئها داخل قلبه، لكنه لم يستطع إخفاء الألم، كان يشعر وكأن كل شيء كان يتهاوى من حوله وهو يقول له:

- إذا كنت أخي، لماذا فعلت هذا بنا؟ همس لنفسه وهو يشير إلى الحرس.

بينما كانت الأوامر تنفذ، كان قلبه يعتصر من الوجع، لم يعد يستطيع التفكير بوضوح، كان يعرف أن هذا هو الحل الوحيد، لكن قلبه الذي كان يخفق لأجل عفرين طوال تلك السنوات، كان يخشى أن تكون هذه هي النهاية الحقيقية لشقيقه الغالي على قلبه.

وفي اللحظة التي اقترب فيها الحرس من عفرين، كانت الحقيقة تتضح في عقل ساري:

»ربما يكون هذا هو الخيار الوحيد، ولكن ليس هناك ما هو أقسي من أن ترى أخاك ينقلب عليك، وتُجبر على تسليمه لمنسيأخذ منه روحه«

بينما ساري يتابع الحرس وهم يسحبون عفرين بعيدًا، كان قلبه ينبض بأسي لا يمكن تصوره، لقد تم تسليمه للملوك السبعة، لكنه كان يعلم أنه فقد أكثر من أخ، فقد الأمل في المستقبل.

***

كان الهواء باردًا في الليل، وعتمة السماء تُغطي كل شيء، وكأنها تحتفل بالخراب القادم، كانت روهان تقف على حافة المبنى العالي،

حيث كانت مدينة الحجارة القديمة تحت قدميها تتناثر مثل قطع الشطرنج التي أضاع اللاعب عقله فيها، كانت ملامحها غريبة، غير واضحة المعالم، كما لو كانت تتلون مع الليل نفسه، كان قلبها لا ينبض بالحب أو الرحمة، بل بنية واحدة:

»القتل«

بينما كانت تقف هناك، كان سليمان يقف أمامها، وجسده مرتجفًا في تلك اللحظة التي شعر فيها بشيء غير طبيعي يلتف حوله، كان يعرف أن روهان ليست كما كانت، كان يعلم أن هناك شيئًا مختلفًا في عيونها، شيئًا مظلمًا يتحرك خلف ملامحها الهادئة، لكنه لم يعرف كيف يواجهه.

فسألها صوته يرتجف كما لو كان خائفًا من السؤال نفسه، خوفا من الإجابة التي كانت في انتظاره:

- روهان... ماذا تفعلين؟

ضحكت هي ضحكة خافتة، لكنها كانت محملة بشيء مرعب، شيء لا يمكن تفسيره، نظر إليها بشك، وكان هناك ارتباك في عينيه، كانت رائحة الغضب تنبعث منها، لكن كانت هناك أيضًا قوة غريبة تحيط بها، تثير القشعريرة في جسده.

- أفعل ما يجبُ عليَّ فعله يا سليمان.

قالت بصوت منخفض، سحري، كأن الكلمات نفسها كانت جزءًا من تعويذة:

- لم أعد أنا تلك الفتاة الضعيفة التي كنت تعرفها، أنا الآن أكثر من

ذلك بكثير.

كانت الكلمات تتسرب في عقله، تضغط عليه بشدة، تشد قلبه نحو ظلام غير مرئي، روهان كانت تتلاعب به، وهو لا يدرك ذلك، بل كان يتفاعل معها كما لو كانت قطعة شطرنج في يد شيطان، استمرت روهان في حديثها، والدموع في عينيها تلمع، ولكنها لم تكن دموع ضعف أو ألم. كانت دموعًا من القوة، من استحضار الكراهية التي كانت تتغلغل في قلبها:

- أنتَ خذلتني، تركتني وحيدة، وأنتَ الذي كنتَ تملك قلبًا لم أكن أفكر في أنني سأخسره.

حاول سليمان أن يتحدث، أن يخبرها أنه لا يفهم ما تقوله، أن يستمع منها ما حدث، لكنه كان يدرك أن كلماته لا تصل إليها، كل ما قاله بدا غير ذي معنى، غير قادر على كسر حاجز الجليد الذي تبنيه حولها، وكان صوته يرتفع في محاولة يائسة للتواصل معها، ولكن في كل مرة كانت كلماته تضعف أكثر..

- هل تعتقد أنني سأغفر لك؟ هل تعتقد أنني سأنسي اهانتك لي وأنا احاول مساعدتك؟!

قالت بصوتها المبحوح، الذي كان يمتلئ بغضبٍ لا متناهٍ:

- لقد تركتني في الظلام، لم تفكر في مشاعري، كنت مجرد خيال في حياتي، وفي خلال لحظاتٍ و ببضع كلمات دمرت كل شيء.

كانت تقف أمامه، تطلق كلماتها مثل السهام، كل كلمة منها تلتحم مع قلبه كأنها سيف، كان ينظر إليها عاجزًا حتى عن النطق، لا يدري

ماذا فعل لكل هذه الكراهية.

قالت له وهي ترفع يديها ببطء نحو السماء، وتهمس بتعويذة شيطانية:

- الآن، أنت فقط لعبة في يدي، لعبة تقاد نحو نهايتها.

كان كل شيء حولهما يهتز، وكأن الأرض نفسها تحاول المقاومة، وفي تلك اللحظة، شعرت روهان بنظرة خاصة لاحت في عينيه، نظرة جعلتها تقف في توازن خطير على حافة السقوط، بين ما كانت عليه في الماضي، وما أصبحت عليه الآن.

وما أن تمتمت التعويذة في فمها حتى تحول الهواء من حولهم إلى حالة من الفوضي، كان سحرها يعمل ببطء على جسد سليمان، وكأن عقله يتذبذب بين الواقع والخيال، وفي اللحظة التي أحس فيها بقوة السحر تتغلغل في داخله، شعر وكأن عقله أصبح ضبابيًا، ماضيه ومستقبله أصبح مشوش بشكلٍ غريب لا يميز فيهما شيء، اتسعت عيناه وهما لا يستطيعا إخفاء الفزع الذي بدأ ينتشر في أعماقه.

فقالت له روهان وعينها مليئة بالظلام:

- أنظر إلى نفسك يا سليمان، كل شيءٍ فيك أصبح ضعيفًا، وكل تلك الأكاذيب التي كنتَ تحاول إخفاءها خلف ابتسامتك بدأت تظهر، أنت قد اصبحت في قبضة يدي، وأنت لا تدري.

كانت تعرف ما تفعله، كانت تعرف أن سحرها قد بدأ ينقله إلى حالة من الضعف العقلي والذهني، كان يسيطر عليه الخوف، الخوف من الحقيقة التي لا يستطيع أن يهرب منها.

ثم تقدمت خطوة إلى الأمام، واقتربت منه بشكل يكاد يكون غير مرئي، وبصوت عميق قالت:

- فكر ... فكر في النهاية، النهاية التي تستحقها عن جدارة. عينيه امتلأت بالذعر وهو ينظر إليها، ولم يستطع أن يوقف نفسه، كان عقله يدور بسرعة في دوامة لا يمكنه الخروج منها، وكانت روهان تقترب أكثر، لكن كل خطوة كانت تدفعه للهاوية، فأردفت بهدوء، وعينيها مشتعلة بشيء غريب، وسحرها كان يتحكم في كل جزء منه:

- أنتَ في هذا المكان، وفي هذا اللحظة، لتتعلم أنه لا مفر من العواقب، لا أريدك أن تنجو، ولكن إذا أردتَ أن تعيش، عليك أن تختار... إما أن تقف هنا جواري، أو ترمي بنفسك.

كانت الكلمات تتسلل إلى عقله، تتغلغل في أعماقه، تأخذ مكانها هناك كما لو أنها الحقيقة الوحيدة التي يدركها، روهان كانت قد زرعت الشك في قلبه، وأثارت في نفسه ترددًا عميقًا.

وما أن همّ بلفتة يائسة للابتعاد، اقتربت منه وأسرّت في أذنه:
- أنتَ فقط بحاجة لدفع نفسك قليلًا، لا تدعني أكون السبب في سقوطك، بل كن أنتَ السبب في ذلك، أنت صبيٌ بائس ليس لديك دافع لتستمر في هذه الحياة، هيا أقفز من هنا وكن حُر.

وهكذا، كانت كلماتها قد ألقت به في هاوية الغرور، في مكانٍ لا عودة منه، نظراته الأخيرة نحوها كانت مليئة بالدهشةً والحزن، لكنه أخذ خطوة واحدة نحو الحافة، متجاهلا تماما كل شيء حوله..

وهو على شفا السقوط أمتلئ صدر روهان بالسعادة القاتلة، وهي ترى سليمان يخطو نحو النهاية التي اختارتها له، بينما يحقق سحرها غايته بلا مقاومة فكرت أنه لم يتبقى سوى لحظات وتتحرر من سطوته على قلبها، لتصبح آلة شيطانية بامتياز، وحينها فقط ستغدو إله يُميت ويُحي كما هي جدتها.

***

الفصل العشرون والأخير

وسط تلك اللحظة الحميمية التي جمعت روهان بابنها، تسللت ذكريات مبهمة إلى عقلها، لم تكن تعلم بوجود آرام من قبل، ولم تدرك أن هناك قطعة من روحها تائهة تبحث عنها في مكان آخر، لكن الحلم الذي كان يراودها لسنوات طويلة كان دائمًا يظهر لها في لحظة غامضة، حتى أنها قد شعرت بآلام مخاضه دون أن تلمسه، لتدخل بعدها عالم الأحلام، حيث كان هناك طفل خفي يضمها بقوة ويهمس في أذنها «أمي» كانت تستيقظ بعد كل حلم منه على إحساس دفين إحساس بأنها فقدت شيئا أو أن هناك من يناديها بعيدا في عوالم أخرى، لكنها لم تستطع أبدًا الوصول إليه حتى علمت بحقيقته التي قتلتها ببطء، حتى تبين لها الحقيقة التي تمنتها في أعماقها وهي تلهث بالدعاء كي تُصبح حقيقة..

كانت تُحدق في آرام وقد طغى على ملامحه نفس النداء الذي شعرت به في أحلامها، شعرت بشيء غريب في قلبها، كأن اللقاء بينهما ليس مجرد صدفة، ابتسمت ببطء، متسائلة في سرّها إن كان هذا الطفل الواقف أمامها من نعمان، هل هو الحلم الذي ظل يطاردها على مدار السنين، أم أنها تمنيات امرأة تبحث عن السلام في وسط هذا العالم القاسي.

كان بدوره، ينظر إلى وجهها مُرتابًا، لكن مع براءة عينيه كان يحاول أن يجد الكلمات المناسبة لتفسير شعور لم يعرفه من قبل، فتمتم بصوتٍ متردد:

- أنا... أنا أيضًا كنت أراكِ دائمًا في أحلامي، كنتِ تنادينني... لم أكن

أعلم من تكونين، لكنني كنت أشعر بالسلام في صوتك، كأنه يشدّني من العتمة إلى النور.

تسمرت روهان في مكانها، تتأمل ملامحه التي بدت وكأنها تتماهى مع أحلامها القديمة، لم تصدق ما تسمعه وكأن الأقدار أرادت أن تجمعها بهذا الطفل الذي كان جزءً منها دون أن تدرك، كأن نداءه كان يتسلل إليها عبر الزمن والمكان.

لم تعرف روهان كيف تصف له الحلم الذي كان يلازمها، لكن الكلمات خرجت منها هامسة، مغلفة بلمحة من الحنان والألم:

- كنتُ أشعر بك، كأنك جزء مني تائه في مكانٍ ما، وكأن روحك كانت تناديني من بعيد، لم أكن أعلم من تكون، لكنني كنت أحلم بأن هناك من يحتاجني، ويحميني من كل مجهول.

اقترب آرام منها ببطء، وكأن حديثها يعيد إليه دفء اللحظات التي طالما حلم بها، كانت يداه ترتجفان وهو يمدها نحوها، يبحث عن أمان لم يعرفه من قبل، وعن حضن أم كان يشعر به في عمق أحلامه، لمسة يده على يدها كانت خفيفة، لكنها دافئة، وكأنها تجسد سنوات من الفراق والاشتياق.

قال بصوتٍ محمَل بالدهشة والعاطفة:

- لم أكن أعلم أنكِ حقيقية، كنتُ أخاف أن يكون هذا كله سرابًا، كأن كل شيء هنا حقيقي، لكنني ظللت أخشى أن أستيقظ وأجدكِ وهمًا.

روهان ضمته إليها، وقد شعرت بحرارة هذا اللقاء تتغلغل في قلبها

وتزيل عنها كل الشكوك، كانت أحلامها تصير واقعًا، ونداءاته البعيدة أصبحت الآن حقيقية، تعيد لها ما فقدته دون أن تدرك، شعرت روهان بدفء احتضان آرام، وكأنها تودّع قسوة السنين والمخاوف التي رافقتها في ظلام أحلامها، واخيرًا وجدت الإجابة التي لطالما بحثت عنها في عيني هذا الفتى الواقف أمامها، الامتداد الحي لروحها، تمنت لو تطيل هذه اللحظة، أن تبقيه بين ذراعيها للأبد، لكن شيئًا في تعابيره الغامضة كشف لها ما كان يخفيه.

أبعد آرام نفسه عنها ببطء، وأشرق وجهه بابتسامة دافئة ممزوجة بشيء من الحزن، فرفع كفه نحو يدها ثم انحنى ليقبّلها بامتنانٍ ورهبة، كما لو كان يعترف بمكانتها العميقة في قلبه دون أن يحتاج للكلمات، شعر بدفءٍ غريب وكأنه يربطه بها بخيط خفي من الحنين والحب، لكنه كان يعلم أيضًا أن عليه المغادرة.

همس بصوتٍ منخفض يشوبه التردد:

- أمي... عليّ أن أرحل الآن.

تسارعت دقات قلب روهان، وهي تشعر بارتباكٍ عميق لم تعهده من قبل، وضعت يدها على خده، كأنها تحاول نقش ملامحه في ذاكرتها، لئلا تنسي هذه اللحظة أبدًا، نظرت إليه بعينين ممتلئتين بالحب والخوف من فراقه مجددًا:

- ولكن... إلى أين ستذهب يا بني؟ لماذا لا تبقى معي؟

تنهد آرام ببطء، ثم ابتسم بحزن خفي كأنما يحمل وعدًا سرّيًا: - لا تخافي، سأعود إليك، كنت دائمًا معي حتى من قبل أن أعثر عليكِ، لا

تقلقي سأجد طريقي إليك مرة أخرى.

تركها آرام، وكل خطوة منه كانت كطعنة بطيئة في قلبها، لكنها شعرت بإحساس لا يُفسّر، كأنّ عهده الصامت قد منحها شيئًا من السلام رغم الحزن الذي غلف وداعهما.

أنتقل إلى أعماق الكهف حيث عالمه السحري الخاص به، حيث الصمت يعمّ المكان وتلتف الظلال حوله كخيوط عنكبوتية، جلس آرام على صخرة كبيرة، عينيه مغلقتين، كما لو أنه يحاول الهروب من واقعه المظُلم، في هذا المكان تاه عقله بين التفكر في الانتقام والبحث عن قوة جديدة تعيده لعائلته، قوة تكسر القيود التي فرضها عليه هذا العالم الخفي المليء بالتحديات، كان يعرف أن ما حدث له لم يكن مجرد محض صدفة، بل خطة مرسومة بدقة، ولكن كانت صدمته أكبر من أن يتحملها.

في تلك اللحظة، وعقله غارق في تفاصيل المؤامرة التي دمرته، شعر بشيء غريب في الأجواء، كما لو أن ثقلا غير مرئي قد حلّ في المكان، نظر إلى الجدران الصخرية المظلمة التي كانت تحيط به، لكن سرعان ما وجد نفسه يحدق في الفراغ أمامه، كان هناك شيء غير طبيعي في الأجواء، شيء متغير، حتى الهواء نفسه بدا وكأنّه مشبع بشيء غامض.

وقبل أن يدرك ما يحدث، ظهرت أمامه، في صمت تام، تاج.. كانت تقف هناك، على بعد خطوات قليلة منه، وبابتسامة هادئة تعلو وجهها، كما لو أنها كانت قد ظهرت من بين الظلال التي كانت تملأ المكان، لم يكن يعرف كيف أو متى دخلت، لكن حضورها كان فاق

حدود التوقعات، لم تكن مجرد شخصية عابرة في هذا المشهد؛ بل كانت ككائن غامض، يمتلك القدرة على اختراق أعماق عالمه كما لو أنه جزء من الظلام نفسه!

ابتسمت تاج ابتسامة غامضة، مليئة بالمعاني التي لا يستطيع آرام فك شفرتها، لكنها كانت ابتسامة لا تشبه أي ابتسامة أخرى، كانت تُمثل شلطة تغلف قلبه برعب خفي، وكأنّها تدرك كل شيء في أعماقه دون أن ينبس ببنت شفه، كانت عيونها التي تعكس ضوءًا باهتًا من أطراف الظلال، مليئة بالذكاء والحيلة، وكأنها تقرأ عقله، وتستطيع معرفة كل أفكاره المخبأة.

في تلك اللحظة، شعر آرام بشيء غريب ينهشه من الداخل، كما لو أن مشاعره بدأت تتراكم وتختلط في قلبه بشكل غير منضبط، كانت تاج هي الحاضرة الوحيدة في ذلك العالم المعتم الذي يسميه أراديل، حضورها جعل الظلام يثقل على أنفاسه، جعل كل شيء حوله يتلاشى، ويضيع وعوالمه تتبدل ببطء، لقد كانت حقيقتها أكبر من أن يراها وكان ما تخبئه في عينيها أعمق من أن يفسره عقلٌ ضعيف.

وقف أمامها لا يستطيع أن يُحدد ما إذا كانت رؤيته هي مجرد وهم، أم أن الحقيقة نفسها بدأت تظهر أمامه بخفة، وتاج بهدوئها المعتاد، لم تقل شيئًا، بل اكتفت بالابتسامة التي بقيت على شفتيها، تلك الابتسامة التي كانت تحمل في طياتها العديد من الأسرار.

كان الكهف يحيط بهما، صامتا، منتظرا لحظة الوعي التي ستفضي إلى ما لا يُحمد عقباه.

انتصبت تاج أمامه وابتسامتها لم تتغير، لكنها كانت تزداد غموضًا،

وكأنها كانت تطوّق عقله بخيوطٍ غير مرئية، تُشبكها بدقة عالية، تُخفي وراءها هالة من السحر والتهديد، كانت تعرف جيدًا كيف تلعب بالكلمات، وكيف تزرع بذور الحقد والانتقام في نفوس أولئك الذين تلتقي بهم أو حتى لا تلتقي بهم..

وكان يبدو أن هذه اللحظة قد تكون بداية لفتح بوابة جديدة في حياة آرام، بوابة لا يستطيع الرجوع منها أبدًا.

نظرت إليه، عيونها تلمع بحكمة قديمة، وعقلها يتأمل كل تفصيل في شخصيته، كانت تعرف كل ما يعانيه، وكل ضعف يشعر به، وكل جرح يحترق في قلبه، لم يكن بحاجة للكلام، كانت هي قادرة على أن تراه بوضوح كما لو أن عقله كان كتابًا مفتوحًا أمامها، ابتسمت ابتسامة ضيقة، وأخذت خطوة أخرى نحوه، تقترب منه كما يقترب الظلام من ضوء خافت، فقالت لهُ تاج بصوتها الناعم الذي لا يخلو من قوة كامنة:

- أنت بحاجة إلى الانتقام، أليس كذلك؟

كانت كلماتها تتسلل إلى عقله، تخترق جدرانه الدفاعية واحدة تلو الأخرى، وهي تضغط على ما بداخله أكثر:

- أنت بحاجة أن تشعر بالقوة التي شلبت منك، أن ترى كل من خدعك ينهار أمامك، وأن تنال ما تستحقه من هؤلاء الذين دمروا حياتك وتلاعبوا بها وكأنك مُجرد دُمية يفعلوا بها ما يشاؤون.

لم يتكلم، لكنه شعر بثقل الكلمات، وكأنها تدفعه نحو هاوية مظلمة كان يحاول الهروب منها، كانت الأوهام التي سكنته لفترة طويلة تبدأ

في التلاشي ببطء، ليحل محلها شعور بالانتقام يشتعل في أعماقه، لتستكمل تاج كلماتها المدمرة لعقله:

- لقد فعلوا بك ما لا يغتفر، ألم تشعر بذلك؟

كانت تقترب أكثر، تكاد أن تكون قريبة بما يكفي لتلامس جسده:

- لقد استهانوا بك، جعلوك تلعب دور الخائف المكسور، لكنك لست كذلك، أنت أقوى مما يظنون، لديك القدرة على أن ترد لهم ما فعلوه، بل وأكثر.. أنظر لعالمك هذا الذي صنعته بكل دقة.

كانت كلماتها تسري فيه مثل السم القاتل، كانت حروفها تسكن روحه، تقوده إلى حيث تريد، كان يرفض في داخله أن يكون أداة في يدها، لكنه في الوقت نفسه شعر بعجزه عن مقاومة هذه السلسلة من الأفكار التي بدأت تنقض عليه بشدة، كانت تاج تعرف كيف تغذي كراهيته، كيف تدفعه ليركز على كل الظلم الذي عاشه، وكل الجراح التي أثخنت قلبه، وكل ما عرفه مؤخرًا عن أبويه، لذا قررت أن تجعله يُعاني مرارة الفقد حتى تصل لغايتها، فرقعت بأصابعها وهي تأمره بنبرة قوية:

- أريدك أن تُنهيهم، أن تجعلهم يندمون على كل لحظة أهانوك فيها، تريد أن ترى ياوي، الذي دمر حياتك يتناثر أمامك كالعصفور المذبوح؟ أنت تملك هذه القدرة، فقط كن معي وسأعطيك كل ما تحتاجه، سوف أعلمك كيف تجعلهم يركعون لك، كيف تجلب لهم العذاب، بأبشع الطرق الممكنة.

كان قلبه يضطرب، وهو يعلم أن هذه الدعوة من تاج لم تكن مجرد

كلمات، بل كانت معركةً، حربًا نفسية تلعب بها على كل مشاعره الضعيفة، كانت تسحره بكلماتها، تحفزه، وتجعله يرى أمامه صورة انتقامه النهائي، كانت تُملي عليه ما يجب أن يفعله، بل أكثر من ذلك، كانت توهمه أن هذه هي الطريقة الوحيدة للنجاة، الوحيدة لاستعادة شيء من تلك الكرامة المفقودة.

- أنت لست بحاجة لندم الآخرين ثم اقتربت أكثر وهي تدنو من أذنه:

- أنت بحاجة إلى أن ترى الخوف في عيونهم، الخوف الذي لن يستطيعوا التخلص منه مهما حاولوا.

تحت تأثير كلماتها، شعر كأن العالم من حوله بدأ يتلاشى، وأنه في تلك اللحظة لم يعد هنالك سوى صوت تاج، وكلماتها التي تمسك بكل تفصيله في كيانه، كان عليه أن يوافق كان عليه أن يسير معها في هذا الطريق المظلم، لم يعد هنالك مجال للرفض، لم يعد هنالك من شيء يمكنه أن يثنيه عن هذا الانتقام الذي بدأ يحترق في قلبه.

أخذ نفسًا عميقًا، ثم قال بصوت منخفض ولكنه حاسم:

- ماذا يجب أن أفعل؟ ومن أين ابدأ؟

ابتسمت تاج ابتسامة خبيثة، وهي تعلم أن ما تريده قد تحقق. لم يعد هنالك عودة الآن، كانت قد زرعت بذرة الانتقام في قلبه، والآن كانت ستسقيها بكل ما تملك من سحر ودهاء، فقالت ثم مدت يدها له، وعينها تتلألأ بالوعود المظلمة التي لا يمكن لأي أحد أن يتخيلها:

- كل شيء سيبدأ الآن.

كان قلب آرام يخفق بشدة، وكأنما كل نبضة تأخذ جزءً من روحه معها، وقف هناك في قلب هذا المكان الذي لم يعرف فيه بعد ما هي الحقيقة، كان يشعر أن كل شيء يتغير بسرعة، وكل خطوة يخطوها تجعله يبتعد أكثر عن كل ما كان يعرفه، هذه اللحظة كانت من أكثر اللحظات التي سببت له ضياعًا داخليًا، وحيرة عن مصيره الذي أصبح محاطا بالظلال.

وبينما كانت تاج تقف أمامه، رائحة الأرض الرطبة تملأ الأجواء، ونسمات الهواء الباردة تأتي مع كل حركة، كانت تدير اللعبة بمهارة وعينيها تحملان سحرًا قديمًا يخفي وراءه نوايا لا يمكن لأحد توقعها، ولم يكن ما قالته سوى بداية للعب دورها الأكبر في تلك المسرحية التي ستسدل عنها الستار قريبًا، تلك المسرحية الذي كان هو بطل فيها دون أن يدرك.

توقفت تاج، ثم التفتت خلفها، كان هناك شخص آخر يقترب..

هذا الشخص لم يكن يركض، لكنه كان يسير ببطء كأنما تجره قوة غير مرئية، وكأنما هو جزء من المكان نفسه، جسده مغطى بظل طويل، ولكن عينيه اللامعتين كانتا تكشفان عن شيء آخر، شيئًا لا يمكن تجاهله، كانت تلك العيون مليئة بالقوة، لكنها أيضًا تحمل غموضًا غريبًا، كأنها جزء من لغز لم يُكشف بعد.

وقف الشخص أمام آرام، وألقى عليه نظرة هادئة، لكن تلك النظرة كانت تخترق روحه، كان وجهه نحيفًا، لكنه قوي، وعيناه تحملان شيئًا غير قابل للتفسير، وكأنما تنبئ بما هو قادم.

استدارت تاج تجاههما وابتسمت ابتسامة تملؤها الثقة، ثم قالت

بنبرة هادئة ولكن قاطعة:

- هذا هو نعمان ابن أخيك يوناس، نحن الآن عائلة متماسكة ومترابطة وغايتنا واحدة.

وقف آرام في مكانه وكأنما كسرت حركته، بدأ عقله يتسابق في كل الاتجاهات، هذا الشاب الذي لم يكن يعرفه هو ابن أخيه؟ كيف لم يعلم بذلك من قبل؟ ولماذا الآن؟

نظر إلى نعمان بتفحص، وكأن كل جزء من كيانه يحاول أن يلتقط أي تشابه بينه وبين يوناس، الذي كان دائمًا الشخص الذي يخفي وراءه غموضًا، لكن نعمان كان مختلفًا، كان لا يزال يحمل بعض السمات التي تذكره بالعائلة التي لم يعرفها سوى من ساعاتٍ قليلة، ولكن شيئا ما كان يلفه في ظلال الغموض.

ابتسم نعمان له ابتسامة خفيفة، تلك الابتسامة التي تملؤها الثقة الكاملة وهو يتحدث لتاج بحماس:

- لقد كنت أنتظر هذه اللحظة، أكثر من أي وقت مضى. أحس آرام بشيء غريب يمر في قلبه ويقف على أعتاب عقله، وكأنما هناك قوة غير مرئية تغذي هذا اللقاء، تترسخ في دواخله، كان هذا اللقاء رغم أنه بدا طبيعيًا، يخبئ وراءه حربًا أعمق و أكبر من أن يواجهها بمفرده.

كانت تاج تقف بعيدًا عنهما، نظرت إليهما بنظرة لا تخلو من الخبث، ثم اقتربت خطوة وقالت بصوتها الهادئ وبثبات وقوة:

- العائلة يجب أن تكون معًا، لا يمكنني أن أظل وحدي وأنا قادرة

على لم شملها.

كان كلامها بطيئا، لكنه كان محملا بمعنى عميق، وكأنا تريد أن تعطيه شيئًا، شيءً أعظم مما يمكن أن يقدمه أي شخص آخر، كانت تعطيه فرصة للبقاء على قيد الحياة، بل والتمتع بكونه جزءً من كل.

- سنكون معًا.. معًا سنعيد ترتيب كل شيء.

قالت تاج بحسم، ثم أضافت وكأنها تترك القليل من الأمل يتسلل في قلبه:

- أنت ونعمان، يمكنكما أن تعيدوا قوة العائلة، ويمكنكما أن تقووا مكانتنا جميعًا كي نُصبح أسياد العالم، من الجن والأنس وحتى الشياطين.

كلماتها كانت بمثابة عاصفة في داخله، كانت تخترق كل دفاعاته وكل شكوكه، تلك الكلمات التي خرجت من فمها كالسحر، كانت تطمس كل بقايا المقاومة في قلبه وهي تلعب بكل مشاعره وأفكاره وكأنها تتحكم به من بعيد.

كان يحاول أن يبتعد عن تلك الفكرة، لكن شيئًا ما كان يثبته في مكانه، كان عقله مليئًا بالتساؤلات، لكن قلبه كان يرتجف أمام تلك النظرة، أمام هذا الغموض الذي كان يحيط بكل شيء في هذه اللحظة.

ولكن ورغم كل شيء لم يستطع إلا أن ينطق بالموفقة الأبدية، وبدون شروطٍ ولا تفاصيل، نظر نحون نعمان الصغير الذي أومأ برأسه، وكان وجهه ثابتًا كالصخر، كأنه قد حسم قراره منذ فترة

طويلة، وفي تلك اللحظة أحس آرام أن كل شيء قد بدأ يتغير، وأنه ورغم تردده، كان جزءً من شيءً أكبر من أن يتجاهله، ليبتسم نعمان الصغير نحوه بثقة قائلا:

- سنعيد معًا الأمور لنصابها الصحيح يا عمي الغالي.

وبهدوء اتجه إلى الأمام خطوة بخطوة وهو يُمسك بذراع آرام ويختفي الأثنان ليصحبه نعمان لبوابة جهنم، حيث قد بدأت فيه تاج الرحلة وسوف تنتهي فيه أيضًا.

وبينما كانت تاج تراقب اللحظة التي بدأ فيها آرام ونعمان اتخاذ خطواتهما نحو مصيرًا قد خططت له جيدًا، اختفت ابتسامتها المشوبة بالغموض لتصبح أكثر دقة وحزمًا، كانت قد حققت ما أرادت؛ عززت تماسك العائلة برباط جديد، وحصلت على أراديل العالم الخيالي الذي صنعه آرام ظنًا منه أنه ملجأه الوحيد، ليغدوا هذا العالم السري مكانًا لتحقيق هدفًا آخر في ذهنها، هدف قد يغير مجرى الأحداث بالكامل.

رفعت يدها بهدوء، وتناولت نشروان - الآلة الحديدة التي كانت تملكها منذ الأزل، التي كانت تمثل قدرتها الحقيقية في السيطرة على العوالم الخفية وتحريك القدر كما تشاء، كانت هذه الآلة أداة قادرة على فتح الأبعاد المغلقة، وتوجيه الأحداث في اتجاهات لم يتخيلها أحد، كان الزمان والمكان مجرد مفاهيم يمكنها التلاعب بها، والآن جاء وقت استخدام هذه القوة مجددًا.

في اللحظة التي رفعت فيها تاج نشروان في الهواء، بدأت العوالم من حولها تتذبذب، وكأنها قد فتحت بابًا يربطها بأبعاد موازية، كانت

أراديال، المكان الذي سعت إليه، قد أخذ شكلا غريبًا تمامًا، كأنها تتحرك في بُعد آخر، عالم يتنقل بين ظلال الذاكرة والحقيقة، حيث لا شيء يبدو كما هو.

سارت تاج بثقة عبر الممرات الضبابية التي تموج في فضاء أراديال، بينما كان نشروان ينبض بين يديها، يسحب خيوط السحر من العالم الخفي ليؤدي المهمة التي طالما انتظرت لتحقيقها، كان المكان محاطا بهالة من الظلام العميق، وتحت كل خطوة، كان الصوت الخافت لحركة نشروان يزيد من حدة التوتر في قلبها.

في هذا العالم الذي لا قواعد له، كانت تاج تسير بثبات نحو هدفها المحدد: إيلينا، زوجة يوناس، الهدف الذي كان في ذهنها طوال تلك الأيام، وكان كل شيء في أراديال يشير إلى أن اللحظة قد حانت.

وصلت تاج إلى نقطة متقدمة في أراديال، حيث بدأ شعور غريب بالتحرر من القيود الزمنية والمكانية يسيطر عليها، كان المكان المحيط بها مشوهًا، كما لو أن الأبعاد تتقاطع وتتشابك، وكل شيء كان في حالة تحول مستمر، كانت إيلينا، بكل تفاصيلها، تلوح في الأفق البعيد، لكن لم تكن هي في الواقع، كانت مجرد صورة سحرية، ظلّ ضبابي لم تتكشف تفاصيله بالكامل بعد.

أغمضت تاج عينيها للحظة، لتركيز قوتها، ثم فتحت عينيها ووجّهت نشروان نحو صورة إيلينا في الأفق، محوّلة نفسها إلى قوة أكثر تركيزًا، بينما كانت تتأمل الصورة عبر الأبعاد الأخرى داخل آلة نشروان، حتى بدأت الطاقات تتفاعل شيئًا فشيئًا، بدأ الزمان ينكسر، والمكان يعيد تشكيل نفسه، تراقب تاج بتركيز شديد، بينما تتغلغل

يدها عبر الطاقة التي تخلقها نشروان، مُسيرةً السحر نحو هدفها، حتى أصبحت إيلينا في دائرة الضوء الآن، صورة مشوهة مملوءة بالخيالات، لكنها كانت تتضح بشكل أكبر في عيني تاج مع كل ثانية تمر.

في اللحظة التي استدعت فيها تاج قواها، شعرت بطاقة غريبة تجتاح المكان، كأن الأبعاد تلتف حولها، أمامها تجلت إيلينا، صورة غير ثابتة، مثل طيف عالق بين الوجود والعدم، لكنها قوية، متأهبة، وملامح وجهها تنضح بالتمرد، رغم قلق عينيها الذي لم تستطع إخفاءه، كانت إيلينا تُدرك أنها لا تملك خيار الهروب، فكأنما قدريهما يتشابك في هذا اللقاء الغريب.

بدأت موجات السحر تتصاعد حول تاج، كأن الهواء يتحول إلى خيوط خفية تتداخل وتلتف حولها، محملة بقوة غامضة تحكم قبضتها على كل شيء، عيناها اتسعتا بإشعاع لا مرئي، يتوهج مع كل نبضة ينبض بها قلبها القاسي، وفي تلك اللحظة امتدت يداها نحو إيلينا كما لو كانت تسيطر على كيانها بالكامل، وكأن أي حركة بسيطة من تاج ستغمر إيلينا في لجة لا نهاية لها.

لم تكن هناك حاجة للكلمات؛ تعاويذها باتت سلاسل من طاقة مشدودة، تقيد روح إيلينا بلا صوت، كأنها تهمس للفراغ حولها بما يكفيه ليستجيب لها، تشكّلت في الأجواء حول تاج أنماط مظلمة، نبضات مشحونة بالسحر العتيق، تعيد تكوين كل شيء، تلتف حول إيلينا لتحاصرها كخيوط من الظلال، ومع كل لحظة كانت إيلينا تشعر بشيء غريب يسحبها، وكأن قوة غير مرئية تسلخها عن واقعها

شيئًا فشيئًا، تجرها إلى نقطة اللارجوع.

وفي أعماق أراديال، ذلك العالم البعيد عن الإدراك، حيث الأبعاد تتضافر وتنحرف كالأطياف الملعونة، كانت تاج تقف كملكة بين الظلال، مُشبعة بتلك القوى المخفية، غارقة في نشوة السيطرة المطلقة، وجهها اكتسي بابتسامة متجمدة، بينما بين يديها تُمسك »نشروان«، وهو ينبض ويتماوج كأنه كائن حي، كأنه امتداد لقواها يفتح بوابة إلى هاوية خفيّة.

وبتركيز لا يقبل الخطأ، رفعت تاج »نشروان« عاليا وبدأت في تمتمة تعاويذ غامضة، تعاويذ تمتص كل ذرة من الظلام حولها، تتوهج خيوطها لتنسج نسيجًا معقدًا من القوة، كان السحر ينطلق منها، يتسرب من بين شفتيها كضوء أسود، يطوق الكون ويكاد يلتهم المكان..

انشقت الأبعاد كأنها طيّات قماش ممزق، وبدأ كل شيء حول إيلينا يتشوّه، الأرض تميد تحت قدميها كأنها غير ثابتة، الزمن يلتف من حولها، يجذبها نحو أراديال بقوة مغناطيسية غامضة، تتناثر أطيافها في تلك الفراغات اللانهائية، شعرت بجسدها يتمزق إلى أطياف، وكأنها تفقد السيطرة على كينونتها، تتوه بين الواقع والحلم.

نظرت تاج بعينين متوهجتين، وابتسمت ببرود بما أصبحت إيلينا في قبضتها، سقطت بلا عودة في هذا العالم الذي لا مفر منه، لتُتمتم بسعادة:

- لقد حققت الهدف الأول.

قبضت تاج على نشروان بيدين قويتين بالعزيمة، نظرت إلى الفضاء الملتف حولها في أراديال، ذلك البُعد المنسي حيث تتلاشي الحدود بين الواقع والوهم، شعرت بنشوة الظفر تتصاعد فيها كأنما كل لحظة تقربها من حلم الانتصار.

إيلينا، كانتْ قد شحبت بالفعل إلى هذا العالم المشوه؛ كيانها أصبح خيطا في شبكة السحر التي نسجتها تاج بعناية، ولكن الخطوة التالية كانت أكثر غمقًا بقليل.

رفعت تاج رأسها وأغمضت عينيها لبرهة، تتأمل في وجه ميلاف، تلك الروح الحزينة التي تعيش أسيرة بين ألم الماضي وخيانة الحاضر، كان السحر يتدفق في عروق تاج، يملأها بشعور من الحقد البارد، كأنما ظلماتها تتغذى من مشاعر ميلاف المتكسرة، فتحت عينيها، وتلاشى وجهها في ابتسامة مُرّة.

وبهمس ساحر قديم، خافت ومشؤوم، بدأت تتمتم تعويذتها، تدفقت الكلمات مثل سمّ يسري في الأجواء، تتراقص حولها هالات مظلمة، تتجمّع وتنطلق نحو ميلاف عبر الأبعاد، كانت هذه التعويذة تستنطق الوجود، تحاكي خوف ميلاف وتعمق صدى انكسارها، طاقة السحر كانت تُسرى في جسد تاج، تتنامى كما لو أنها تلتهم شظايا الألم المتناثرة في روح ميلاف وتجعلها قوتها الخاصة.

وفجأة، شقت تلك التعويذة حجاب العوالم، وجذبت ميلاف كما لو أنها تسحبها من الواقع إلى هاوية بلا قرار، شعرت ميلاف بقوة غامضة تسحبهاً، كأن جسدها ينكمش ويمتد في آن واحد، يذوب ليصبح خيطا من الدخان، يخترق الظلمات ويغرق في العتمة،

لحظات ثقيلة من الألم والغموض، حتى تحولت إلى خيط واهن من ضوء ضبابي يتلاشى بين طيات أراديال، المكان الذي يمتصّ كل أحلام وأفراح من يدخل إليه.

عندما فتح الزمن أخيرا ليجسدها هناك، كانت ميلاف جاثمة على الأرض الباردة، مرهقة وكأنها فقدت حياتها، جسدها مُثقل بالألم، وملامحها تحمل عبء الحزن الساكن بين مُقلتيها، نظرت حولها لتجد نفسها وحيدة في غرفة خالية، مغلقة بإحكام، لم تكن تعرف كيف وصلت إلى هذا المكان، أو ما إذا كانت لا تزال في عالمها القديم، أم أن السحر قد أسدل ستاره ليغلق عليها الأبوابَ إلى الأبد.

ومن زاوية الغرفة، تجلت تاج بهدوء شيطاني، ترمق ميلاف بنظرة كأنما تحكم قبضتها على مصيرها، عيني تاج لمعتا بشعور بالسيطرة المطلقة، ترتسم غلى شفتيها ابتسامة باردة، كأنما تستمد قوتها من الضعف المحبط الذي تغلغل في روح ميلاف.

وبدون كلمة واحدة اقتربت تاج، صمتها كان ثقيلا أكثر من أي تهديد، وفي عينيها تلألأت نظرة كأنها تتلاعب بدمية هشة، تعي تمامًا أنها قادرة على سحقها إن أرادت، وفي ذلك الصمت القاتم، أدركت ميلاف أنها أمام قوة لا تملك لها ردًا، أن هذه الغرفة المغلقة أصبحت حدود عالمها الجديد، وأن تاج، تلك الساحرة الخالدة، قد أسدلت عليها ستارًا لن تستطيع الخروج منه مجددًا.

كل ما حولها كان باردًا، صامتًا، قاسيًا، كأن جدران الغرفة تهمس بأصوات غير مرئية، أصوات متداخلة تُردد صدى الألم والعذاب، كانت ميلاف تشعر أن كل نفس تأخذه يغوص بها أكثر في هذا

الكابوس الذي لا نهاية له، وأن كل جزء من كيانها بات أسيرًا لهذه السيدة المتوحشة التي وقفت أمامها، تتربص بها كصيّاد يراقب فريسته الأخيرة، موقنًا بأنها لن تستطيع الهروب.

***

كان نعمان يقف في الظل، يراقب من بعيد مشهد الملوك السبعة وهم يطوقون عفرين، تحيطهم هالة من الظلام الذي يعكس على وجوههم قوة لا تُقاوم، تلك اللحظة التي انتظرها طويلًا، تحققت أخيرًا دون أن يضطر إلى رفع سيف أو إراقة دماء، وبملامح صارمة وعينين مشتعلة بوميض الانتقام، كان يُرى عفرين يجثو أمامهم، وجهه شاحب وخائف، كأنما قد أطفئت آخر شرارات المقاومة في روحه.

تمتمت أصوات الملوك بحكم إعدامٍ قد أثقل الهواء المحيط كضربة خفية تسحق كبرياء عفرين وتحيل جبروته إلى رماد، انعكس في عيني نعمان بريق خفي من السعادة، هذه السعادة التي تسبق النصر بلحظات..

كان عفرين يتهاوى ويبدو أن الزمن نفسه ينصاع لأمر الملوك السبعة، ليُسدل ستار النهاية عليه دون معركة، شعر نعمان وكأن عبء السنين قد انزاح عن كاهله أخيرًا، وتسللت إلى شفتيه ابتسامة خفية مليئة بالسخرية من تلك النهاية التي لم يتوقعها أحد..

لكن، وسط هذا الصمت المهيب، تسلل إلى مسامعه صوت

ناعم يهمس باسمه: - نعمان.. أين أنت؟

تنهد بعمق وهو يتطلع نحو رماد عفرين بارتياح قبل أن ينتقل إليها على الفور، ليجد روهان واقفة في الظلام، تراقبه بنظرة تمزج بين القلق والحزن، كانت خطواتها بطيئة وهي تقترب منه، وعيناها تلمعان بتساؤلات ثقيلة لا تملك لها إجابة.

- أين كنت؟

همست بصوت مختنق، وكأن الكلمات تخرج من قلبٍ مثقل بالريبة، ليجيبها وقد طغت الفرحة على صوته:

- كنت أنول ثأري العظيم.

ضيقت عينيها وهو يقترب منها يسحبها إلى صدره ليُردف:

- والآن أنا ملك يديكِ.

كانت عيناه تومضان ببريقٍ لا تفهمه ولم تراه من قبل، حتى نبرة صوته كانت مختلفة، وضعت كفها المرتعش على وجنته لتتأكد من هويته الحقيقة وهي تقول له:

- أنتَ مُختلف يا نعمان! لقد صرت غريبًا عني كما لو أن بيننا مسافة لا أراها.

انعكس صدى كلماتها في قلبه المضطرب، لكنه حافظ على صمته، محاولًا حجب الحقيقة التي تضُج في عروقه، بالطبع هي مُحقة لقد تغير شيئًا بداخله وكأنه فقد عندما مات عفرين، تحوله لجسد عفرين لم يكن أبدًا تحول مادي، بل كان شيء جذري قد فسد في أعماقه ولم يعد له كما كان، ارتسمت على وجهه ابتسامة مراوغة، كأنها جدار يحجب خلفه أسرارًا وجروحًا لا يريد لها أن ترى النور، ليأتيها رده

باردًا وجامدًا، كصدى ضائع في الفراغ، فيما كان يتجنب النظر إليها، يخشى أن تتسرب منها حقيقة مشاعره:

- لا تقلقي يا روهان، أنا بخير.

لكنها لم تستسلم، اقتربت من وجهه حتى اختلطت أنفاسهما، بينما احتدت نظرتها الملتهبة بقلق ممزوج بالغضب، ورفعت عينيها نحوه قائلة:

- أحقًا؟... ماذا تفعل؟ هل تراوغني أنا؟ ما الذي يخفيه صمتك الثقيل هذا؟ اجبني يا نعمان.

كانت كلماته الأخيرة تطرق في قلبها كجرس إنذار، لكنها لم تجد فيه إلا عيونًا هائمة تبحث عن مخرج للهروب من أسئلتها الملحّة.

وقبل أن يجد حلًا لهذه المواجهة، اخترق سكون المكان صوتٌ رزين، ثقيل، بدا كأنه ينطلق من أعماق الأرض نفسها: - نعمان، تعال إليّ.

لم يكن من الصعب عليه التعرف على ذلك الصوت، صوت أبيه الملك الأبيض، شعر بارتباكٍ مفاجئ، مترددًا بين أن يستمر في حديثه مع روهان أو يلبي نداء والده، فنظر إلى روهان نظرة خاطفة، فوجد في عينيها خيبة أمل ممتزجة بقلق عميق، يكاد يشطر قلبه إلى نصفين، لمح على شفتيها ارتعاشه خفيفة كأنها تخشى أن تفقده نهائيًا، فابتسم ابتسامة باهتة، وتقدم نحوها ليهمس برفق وهو يطبع قُبلةً رقيقة على شفتيها بشوقٍ كبير:

- انتظريني هنا، سأعود إليكِ على الفور.

ثم اختفى وتركها واقفة في عتمة حيرتها، تسبح في دوامة من مشاعر متضاربة بين الحب والخوف.

مشى نعمان نحو والده، وقلبه مثقل بشتى المشاعر المتشابكة، مسرعًا نحو قاعة واسعة تفيض بالظلال، تلمع فيها آثار انتقامه المكتمل، وهاجس ما زال ينبض في قلبه يذكره بصدى كلمات روهان وآلامها.

***

كانت تاج تراقب نعمان من بعيد، وعيناها تعكسان شرارة مظلمة تتوهج مع كل خطوة كان يخطوها مبتعدًا عن روهان، شعرت بنشوة الانتصار تتسلل إلى قلبها، فهذه هي اللحظة التي انتظرتها بصبر؛ تلك اللحظة التي تمكنت فيها من إبعاد روهان عن حماية نعمان ولو لبضع لحظات، لتصبح فريسة سهلة، محاصرة بيدها الساحرة.

في ذلك الوقت، كانت روهان ما زالت واقفة وحدها في الظل، محملة بقلق ثقيل وخيبة من نعمان الذي ابتعد عنها دون أن يمنحها الأمان الذي كانت تتوق إليه، كانت تهمس لنفسها بكلمات مشوشة، محاولة استيعاب تغيراته الغامضة، وما إذا كانت تستطيع فهم سر تلك المسافة التي باتت تفصل بينهما، لكنها لم تدرك أن عينين أخريين تراقبانها في صمت.

وفي مركز أراديال، رفعت تاج يديها في الهواء، وأخذت تتلو تعويذة عتيقة بخفوت، كأنها تتحدث مع أبليس نفسه، كلماتها تحولت إلى خيوط خفية، تمتد كالأفاعي، تتسرب ببطء عبر الأبعاد، وتبدأ بالتشكل حول روهان، التي كانت ما تزال عالقة بين الذكريات

وآلام الشك، ومع كل كلمة كان الحاجز الخفي يحيط بروح روهان، يغلفها كما تُغلق الأبواب الصدئة على سجين قديم.

بدأت روهان تشعر بشيء غريب، كأنما تتقلص المساحة حولها، وكأن صوتًا خفيًا يناديها، يسحبها بعيدًا عن الوعي، تاركًا إياها في حالة من التشويش والضياع، كانت الرؤية تتلاشى شيئًا فشيئًا، تتحول إلى ضباب كثيف يحجب عنها تفاصيل المكان، حتى وجدت نفسها في عالم غريب، مظلم، حيث لا شيء واضح سوى شعورٍ ساحق بالخطر.

كانت تاج تراقبها من بعيد، تبتسم بتلك النظرة المتشفية، مستمتعة برؤية روهان تُبتلع في دوامة من السحر الذي أحكمت خيوطه حولها بعناية، أخذت روهان تخطو ببطء، كأنما تمشي في مستنقع كثيف، وكل خطوة كانت تجذبها أعمق نحو الغموض، تزداد حيرتها، ولا تجد لها سبيلا للهرب، حاولت الصراخ باسم نعمان، لكن صوتها اختفى في الفراغ، كأنه ذاب بين الشظايا المظلمة المحيطة بها.

وفي تلك اللحظة، بدأت جدران المكان تتغير، تحولت إلى حجرة ضيقة مليئة بخيالات متموجة، كأنها أشباح تتراقص حولها في صمت، كان الألم يخنق صدرها، وشعرت كأن هناك يدًا خفية تمسك بقلبها، تعصره ببطء، وكلما حاولت المقاومة، ازداد الضغط عليها.

تأملت تاج ذلك المشهد بشغف، وكانت على يقين أن سحرها يمضي كما خططت له؛ روهان أصبحت حبيسة في عالمٍ مظلم، عاجزة عن التواصل مع أي قوة يمكن أن تنقذها، عالقة في وهم من الرعب لا نهاية له، كانت تتقدم نحوها بخطوات بطيئة، وكأنما

تستمتع بكل لحظة من عذابها، وهمست لها بصوت بارد:

- ظننتِ أنكِ قادرة على الاحتفاظ بنعمان ولدي العزيز، لكنكِ مجرد طيف في عالمٍ لا يُغفر فيه للأضعف.

ومع مرور الوقت، بدأت روهان تشعر بتسلل ظلال سوداء تجذبها نحو الأسفل، كأنها تحاول ابتلاعها تمامًا، لم يعد لها القدرة على التمييز بين الحقيقة والوهم، وكلما حاولت التراجع، كانت تجد نفسها عالقة في جدران الحجرة، والأصوات الغريبة بدأت تهمس في أذنها، كلمات غير مفهومة، لكنها محملة برسائل مخيفة تعكس حقدًا أزليًا.

وفي خضم تلك اللحظات، كانت روهان تستجمع قواها، تحاول استحضار آخر رمق من طاقتها لمواجهة ذلك الكابوس، لكنها شعرت بشيء ثقيل يغزو قلبها، شعور غامض كالموت يدب في أعماقها، فتزداد أنفاسها تلاحقًا، وصرخة مكبوتة تتردد في جنبات نفسها، كأنها صوت من عالم آخر ينادي بصدى خافت:

»نعمان، اغثني!«

كان نعمان، على بُعد مسافة تعجز عن تخطيها أقوى نداءات الحب أو الاستغاثة، وقف أمام عرش أبيه، فخيم عليه إحساس غريب لم يكن يدري مصدره، ضغط كفه فوق صدره كأن قلبه بدأ يخفق بنغمة عابثة، دقات متسارعة أشبه بجسد يحترق في صمت، شعر لوهلة كما لو أن هناك خطبًا قد حدث، شيئًا أقوى من أي حزن أو خوف.

أدار رأسه متفقدًا، فوجد العرش مظلمًا فارغًا، وشيئًا أشبه بالهواء الثقيل يحيط بالمكان، ضيق عينيه متفكرًا، كأنه يسعى لفك طلاسمِ

يلفها الضباب، وفجأة، تسرب الذعر إلى روحه وهو يدرك اللعبة!...

لقد خدعه صوت أبيه، كأنه طيف خفي قاده بعيدًا، وبينما يدَه على كانت تهتز على قلبه الراعش، همس لنفسه بتساؤل فزع:

- من الذي فعل هذا؟ ولماذا؟

دفع نعمان نفسه بعيدًا عن العرش، عاد بخطوات ثابتة وقلبه يسبقه، كأن نبضاته ترشده إلى ما كان يسعى إليه، كل شيء بدا كأنه ينذر بكارثة تلوح في الأفق، شيء أشبه بفخ قد نُصب بمهارة ليسلبه أغلى ما يملك، وحين دخل غرفته، تفحص الأرجاء بعينين زائغتين، لكن المكان بدا موحشًا... مجرد فراغ صامت كالقبر، خالٍ من طيف روهان.

الخاتمة

في تلك اللحظة، تمكنت تاج أخيرًا من جمعهن، تلك الثلاثة اللاتي كنّ كاللعنة التي أحاطت بأولادها، لحظة وقوفها أمامهن كانت اللحظة الحاسمة، اللحظة التي انتظرتها طوال سنوات من التضحية والخديعة، أغمضت عينيها لبرهة، لتسترجع كل تضحياتها، كل خططها السرية، وكل خطوة خطتها للوصول إلى هذا المشهد النهائي، وعندما فتحت عينيها، كان المكان قد تغير؛ الظلال كثيفة، وكأن الزمن توقف أو كأن المكان نفسه عالق بين العوالم، ينظر إليهن بشوق كئيب ليشهد النهاية.

كانت الأرض تحت أقدامهنّ موحلة برمال باردة تذوب كالضباب، والهواء يحمل ثقلا مريبا، ينبض بصمت قاتل لا يرحم، كأنما المكان كله قد انسحب إلى عمق عوالم الرعب والغموض، ظهرت تاج أمامهن، وجهها متحجر كالصخر، وعينيها تضجان ببريق مرعب، تخفي خلفه مزيجًا من السخرية والغضب المكتوم، ونبرة صوتها حادة كسيف يشق الظلام.

قالت بصوت عميق ينضح بالحقد والغيظ:

- أنتن، يا من تجرأتن على اختراق قلوب أولادي، واحتلالها بسمومكنّ، أنتن سبب كل ضعف أصابهم، كل اضطراب حطم ولاءهم لي، لكن انتن غافلات غارقات في خدائعكن، وكأنكن لم تعرفن أن اللعب بمشاعرهم لعبة خطيرة لن تجر عليكم سوى العذاب.

تقدمت تاج نحوهن، خطوة بخطوة، ورأسها مرفوع وابتسامة

متجمدة كأنها تتلذذ بسحقهن ببطء، وجهت نظراتها الباردة إليهن واحدة تلو الأخرى، ومرت كلماتها كالسموم التي تتغلغل في أوردتهن، إذ أكملت قائلة:

- الوقت قد حان لدفع الثمن، ولتكشفن كل حيلة خبأتها عنكن، لن يكون هناك رحمة بعد اليوم، لن أترك خدعة واحدة دون أن أفضحها أمامكن، سأسحب أرواحكنّ، واحدة بعد الأخرى، كما سلبتن أرواح أبنائي.

أخرجت تاج من طيات ثوبها الآلة السحرية «نشروان»، ورفعت ذراعها فوقها، لتشتعل الآلة بوميض أحمر قاتم، ينبعث منها شعاع مرعب يمزق الهواء، وكأنما تفتح نافذة تطل على عالم غامض من الأشباح، كان الوميض يسحبهن إلى عمق مجهول، حيث تلتف الظلال حولهن كأفعى تنقض على ضحاياها، وهنّ يقفن عاجزات، تتصاعد أنفاسهن خائفة.

صاحت تاج بنبرة آمرة:

- هذه الآلة ستعرض عليكنّ حقيقة واحدة لم تكونوا قادرات على رؤيتها... لكن اليوم، سترون ما أخفاه عنكن أبنائي، سترون جانبهم المظلم الذي لا تعرفن عنه شيء.

وجهت تاج نظراتها الحادة نحو ميلاف، عينيها تتوهجان بوهج سحري وهي تشير إلى الشاشة التي تومض أمامها وقد أظهرت صورة شيث وهو يدير مجلسًا مع مجموعةً من الجن والشياطين، يبتسم بشماتة شرسة وهو يضع خططا بتفاصيل دقيقة لتدمير عائلة ميلاف وكل من له صلة بها، كانت الصور تتحرك أمام ميلاف،

كشريط من الرعب، تُظهركيف سيتحول هذا المخطط الجهنمي إلى جحيم يعصف بحياة من تحب.

ارتجف قلب ميلاف، ووجهها شاحب وهي تشاهد الصورة تتبدل، لتظهر شيث وهو ينظر إلى وجهها مباشرة، كأنما يخاطبها بسخرية:

- سأقتلهم جميعًا، سأمسح أثرهم من الوجود، ولن يكون هناك أحد ليكشف حقيقتي.

دوت الكلمات في أذنيها كصدى بعيد، لكن تأثيرها كان كالرصاصة في قلبها.

التفتت تاج إلى روهان، وقد ازدادت شراستها. نظرت إليها ببرود قاتل وقالت:

- وأنتِ... كنتِ تظنين أنكِ مسيطرة، أليس كذلك؟ قوية، قادرة على التحكم بكل شيء؟ لكنكِ خدعتِ نفسكِ، كنتِ أضعف مما ظننتِ، كنتِ رهينة لأوهام العشق والهيام، والآن سترين كيف سيدفعكِ غروركِ إلى حتفكِ.

وما إن انتهت تاج من كلماتها حتى ارتفعت همسات سحرية من بين يديها، همسات شيطانية كانت تصعد وتهبط، كأنما تستدعي طاقة من عالم آخر، بدأ العالم المحيط بهنّ يتقلص ويتشوه، وكأنهنّ يسحبن إلى بُعد آخر، حيث لا يوجد سوى الظلام والفناء.

شعرت روهان بتلك القوى تلتف حولها كالأصفاد، بينما كلمات تاج تتردد كجرس الموت في أذنيها:

- تظنين أن لديكِ القدرة على الهرب؟ لن تنجحي، لا اليوم ولا غدًا،

أنتِ في عالمي الآن، ولن تعودي إلى عالمكِ مرة أخرى.

لكن روهان، رغم الخوف الذي ملأ قلبها، لم تستسلم، رفعت رأسها بتحدٍّ وحاولت جذب طاقتها السحرية التي اكتسبتها من كتاب أسرار الجان، في محاولة منها للتمرد على طوق الرعب الذي أحاط بها، ولكن كلما حاولت، كانت القوى السحرية لتاج تزداد عليها كأنها شِباك العناكب.

انتهت اللحظة بانبعاث ضوء أسود قاتم من »نشروان«، يغمر الغرفة في ظلام مطبق، وقبل أن تختفي الصورة، بدا شيث وهو يبتسم ابتسامة خبيثة، وتاج تضحك بصوت منخفض بينما الظلال تلتف حولهن، كأن الموت قد وقع أخيرًا في شراكها، والأمل تحطم.

كانت إيلينا في حالة من الذهول العميق، عقلها يكاد يغلي بأفكار النجاة، إلا أن كل طريق بدا لها مسدودا، محاصرا بقيود السجن التي لا مهرب منها، كل ما حولها لم يكن سوى زنزانة مظلمة تتسرب منها رائحة الخيانة والأسر.

نطقت تاج بلهجة مفعمة بالاستفزاز والقسوة، كلماتها كالسكاكين تمزق جدران الصمت حولها:

أما أنتِ يا رمزٌ للوهم... كلُّ من هنا ليسوا سوى أكاذيب تهاوت فوق عرش أبنائي وأنتِ التي عاشت بين عالمين تظن أنها قد حصلت على قلب حفيدي الغالي.

ابتعدت عن الثلاثة وهي تحدق بهن قائلة:

- سأكشف لكم الحقيقة المروعة، ستدركون أنكم كنتم مجرد قطع

شطرنج تتحرك بإرادتهم.

تطايرت كلماتها وكأنها شحنات كهربية متوترة، تتخلل الهواء بوحشية، وكأنها استحضرت شبحا مرعبا سيعصف بأرواحهم. أغلقت تاج عينيها بتركيز قاتم بينما تحركت يداها في الهواء برشاقة ساحرة، تشكل كيانا غامضا على لوحتها السوداء التي تنضح باللعنة..

في لحظة خاطفة، تحولت الأنوار المحيطة بالشاشات في قاعة نشروان إلى مشهد جديد، الأعين المشدوهة تحدّق، وتحدق أكثر، بينما يظهر أمامهم يوناس، زوج إيلينا، في صورة مشوّهة تكاد تتنفس منها الخيانة والغدر، عيناه تتوهجان بنظرة غريبة، فيها بريق شهوة مختبئة وفضول ملوث، نظرة لم تعرفها إيلينا ولم تلمحها قط في ملامحه من قبل.

وقفت تاج في ظلام ردهتها العميقة، تبتسم بابتسامة خبيثة، تشير بيدها إلى صورة يوناس على الشاشة وكأنها تشير إلى أعماق خيانته:

- شاهدي الآن، شاهدي بعينيكِ كيف يعترف بحبه الحقيقي... كيف يُبدي لها كل ما لم يتجرأ يومًا على البوح به لكِ.

اهتزت الأرض تحت قدم إيلينا وهي تشعر وكأنها تغرق في هوّة بلا قرار، ودوارٌ لا يعرف الرحمة يعتصر عقلها، حدقت مذهولة غير قادرة على تحويل نظرها بعيدًا، كأن سحرًا غامضًا يربطها بهذه المشاهد، رأت زوجها يوناس وهو يلمس وجه تلك المرأة، عشيقته الجديدة، جنية فاتنة تفيض سحرًا باردًا، جمالها أقرب إلى الأسطورة وأبعد عن الطبيعة، كان ينظر إليها نظرة مملوءة بالافتتان، نظرة

لم تعرفها إيلينا، وكأنّه أخيرًا وجد الضياع الذي بحث عنه في عالم موحش بلا أمان.

صدى صوته جاء مرتعشًا، ممتزجًا بالآلام وهي يُقبل وجهها بلذة مغوية:

- لا أستطيع العيش بدونكِ، أنتِ وحدك من أحتاجه في حياتي.

نطقت الجنية أسمها بحزن:

- وزوجتك الأنسية.

- أجابها وهو يعبث بجسدها الفاتن أمامه وعينها تتطلعان إليها بتوقٍ وكأنه يلتهمها بتلذذ:

- إيلينا كانت محض فرض... تزوّجتها باتفاق لعائلات متحدة، لكنها لم تكن يوما ما كنت أبحث عنه، حاولت بقدر ما استطعت أن أكون مخلصًا، لكنكِ أنتِ من تشغلين فكري منذ اللحظة الأولى، أنتِ وحدك ملهمتي... عذرًا، لكن لم أعد أستطيع التظاهر بعد الآن.

كانت كلمات يوناس كالرصاص، تخترق حصونها الواهنة، تدمّر آخر ما تبقى في قلبها من أمل زائف، شعرت وكأنها تقف وسط إعصار عاصف، عاجزةً عن إدراك الواقع، فيما تتكشف أمامها حقيقة أضحت تهشم جدران قلبها الباردة، كانت تعتقد أن مجرد ارتباطها بيوناس يكفي، لكنه الآن، هنا، يختار امرأة أخرى، يختار الجحيم لها ليبتسم للنور مع غيرها.

كانت تاج تستمتع بلذة رهيبة وهي ترى إيلينا تتجرع سمّ الخيانة، تتلوّى من ألم لا تملك له هربًا، همست بلهجة ساخرة، بصوت كالنصل

يخترق أعماق إيلينا:

- هل رأيتِ؟ هل رأيتِ كيف اختاركِ لمصالحه، وكيف جعلكِ تحاصرين بوهم السعادة؟ لم تكوني يوما أكثر من عبء...

مجرد قطعة عتيقة في لعبته.

تابعت بلهجة أكثر قسوة، وكلماتها تهوي كصواعق:

- لقد أحبها أكثر منكِ، لأنها مَن أوقدت النار في روحه، أما أنتِ،

فكنت مجرد وِزر، فرضا ثقيلا على قلبه، لم تكوني أكثر من قيد حول عنقه لا يستطيع التخلص منه.

كانت كلمات تاج كأنّها تصفع روح إيلينا، وكيانها يتفكك وسط بحر من الصمت العاصف، عيناها الغارقتان في الدموع، كانت تتبعان الصورة التي تكشف أمامها أكثر مما يمكن أن يحتمله قلب مكسور، كانت تتخبط بين الذهول والرعب، كأنها محاصرة أمام حقيقة قاتمة، لا فكاك منها، مرارة عميقة تفوق أسوأ كوابيسها..

تقدمت تاج بخطوة، تزداد عيناها بريقًا مظلمًا وهي ترى انهيار إيلينا أمامها، تشعر برضا قاسٍ يكسو ملامحها، تمتمت بابتسامة مريرة:

- هذه هي الحقيقة، الحقيقة التي رسمها لكِ يوناس، الآن ستظلين طيف أوهامكِ، تتجرعين مرارة ما ظننته حبًا، حتى نهاية أيامكِ.

ثم أضافت بنبرة ساحرة، سادية، وهي تلتفت إلى الشاشة، لتعرض صورة أخرى..

بينما كانت ميلاف جاثية، وجهها متجمد بذعر لا يرحم، محاصرة في غرفة خافتة كأنها نُسجت من ظلال الجحيم، عتمة صامتة بلا ملامح.

- ولا تظني أن الخلاص قريب. كل ذكرياتك، كل أحلامك، هي الآن بين أنامل هذه الآلة التي أملكها، أحوّلها إلى رماد وأتركك لتشاهدي زوال كل شيء أحببته، حتى ولديكِ لن تكوني بالنسبة لهم سوى ذكرى مضت.

وفي تلك اللحظة انطلقت ضحكة تاج في الأرجاء، كأنها رنين جرس جنائزي، تُخيم على المكان برعب، توقظ العتمة في كل زاوية من الروح، كانت ضحكتها تسخر من الجميع، تزرع في القلوب نار الندم، تترك وراءها حطام أرواح تتلاشى تدريجيًا، وقلب إيلينا، محطمًا، لا يعلم كيف ينجو من العتمة التي تحيط به.

وبينما كانت تاج تراقب روهان التي قد أتى دورها، ارتسمت على وجهها ابتسامة مشوبة بالخبث، وغمست عينيها في ظلام دامس للحظة قبل أن تفتحهما مجددًا، مستعرضة أمامها مشهدًا معدًا بعناية، وكأنها توشك على كشف فصل جديد من فصول اللعبة القاسية التي تقودها، كان قلب روهان ينبض بقوة، عيناها تتوشحان بلون رمادي معتم، يكسوهما ظل قاتم كأعماق بحر لا قرار له.

أمامها، وعلى بعد أمتار، انكشف لها بني النعمان واقفًا في محرابه العتيق، مُحاط بهالة كثيفة من السحر، كما لو كانت الأجواء تختمر بدخان رمادي مسموم، المكان يغرق في صمت مريب لا يقطعه سوى همسات خفية، لهب من أصداء كلمات تقبع في الماضي، كلمات

ضاعفت من لعناته وغذّت نيران غضبه، بدت جُدران المحراب المتشققة وكأنها تعج بأرواح معذبة، وكأن كل حجر فيها قد ارتوى بمرارة أرواحٍ متوجعة تبحث عن الخلاص.

وقف بني النعمان في زاوية داكنة، ووجهه مشوّه، تتدفق منه نظرات حقد متجمّدة تخترق عتمة المكان، عيناه تتأججان بلهب كامن ينبع من أعماق روحه المتفككة، كانت ضحكته المكتومة تمتزج بصديٍ قاسٍ، كأنها نصل يمزق وريد الهدوء ويبعثره في الهواء، يقطع صمت المحراب بأنغامٍ مأساوية كأنها أنين حياة أبدية تتهاوى.

وبكلمات ملطخة بالكراهية، همس بني النعمان، كمن يحدث نفسه:

- هذا ما أردته... الانتقام من عفرين، صوّرت له الفناء في عينيه، زرعت في قلبه خوفا لا ينتهي... صار حلمي ماضٍ دفين، وصار السحر حياتي، بل أصبح السحر أنا.

كانت كلماته تهبط كقطع من جليد مسنٍ على مسامع روهان، وكأنها تقضم ما تبقى منأملٍ هش يتشبث بقلبها، عيناه الحمراء تبرقان بوميض قاسٍ أشبه بنيران لا تهدأ، وتستمر ضحكاته المريرة تتصاعد، كأنها صدى الألم المتجمع عبر العصور في صوت كائن لم يعد يعرف طريقًا للعودة، تحول بني النعمان إلى كائن لا يعترف إلا بالقسوة، يتلذذ بأصوات الدمار، وفي عينيه إشعاعُ شرس لا يسكن.

وعلى بُعد خطوات كانت تراقب انفعال روهان البادي على وجهها، ولمعت عيناها بنظرة تشفُ عن رضا، صوتها الناعم كالموسيقى يعبر الفضاء بينهما، قائلة بصوتٍ أشبه بمخلب يمزق قلب روهان:

- انظري إليه، هذا هو من أحببتِهِ يومًا، هذا هو ثمرة السحر، هل ترين؟ لقد سكنه الظلام، لا عودة له، صار مخلوقا ينضح بالانتقام، أصبح داخله مُظلم، عدائي، يتغذى على أرواح أعداءه بمتعة غير مسبوقة.

كان صدى كلماتها يتردد داخل روح روهان، الثي كانت تصّارع بين الرعب والحزن، بين مشاعر أعمق من أن تعبر،ليتجلى في عينيها ظلام صامت.

تابعت روهان عبر نشروان بنظراتٍ ذاهلة مشهد بني النعمان وهو يجول في أنحاء محرابه كمن يتفحص إرثا بائسا يكتنفه الموت، كانت خطواته تقطع الفضاء بين الحياة والفناء، وكأن الأرض نفسها تهتزّ تحت وقع خطواته، وفي كل نظرة يرسلها إلى أطراف المكان، كان يبدو كمن يقبض على العالم بقبضة لا تهتز.

وتعالى صوته، ممتلئًا بنبرة مرعبة لم تعهدها فيه، متباهٍ بانتصار سرمدي:

- هكذا يجب أن يكون الانتقام، كجحيمٍ لا يترك للأحياء مأوى، دمرت عفرين، ولم أترك حجرا على حجر، لن يجرؤ أحد بعد الآن على تحدي إرادتي... أنا الأن أتحكم بكل شيء، ولم يعد للندم مكان هنا.

ازدادت تاج بهجة وهي ترى الصدمة في عيني روهان، دموعها التي كانت تفيض ببطء وكأنها تذرف بقايا أملٍ لم يكن يستحق البقاء، كأن صرخات وجعها الخفيّ انعكست على هيئتها، وقد أصبح بني النعمان، الرجل الذي كانت تعرفه، مجرد شبحٍ يسكن كيانا غريبا، لا تعرف ملامحه، ولا تجرؤ على الاقتراب منه.

وبينما كانت روهان تتسرب من روحها رائحة الذكريات التي تخلت عنها، نطقت تاج بنبرة تقطر شفقة مميتة، عيناها اللامعتان تحملان نظرة من انتهى من طعن روح عدوه:

- أترين؟ هذا هو أثر السحر الذي ظننتِ أنه سيعيدكِ إليه، كان هو النهاية... النهاية التي لا عودة منها، صار بني النعمان مجرد كائن مُشبعٍ بظمأ الانتقام، لا يعرف غير العتمة.

كانت روهان ترتجف، كمن اكتشف للتو أن جزءً منها قد انتهى للأبد، بني نعمان زوجها الذي كانت تؤمن بعودته، قد تلاشى تحت وطأة السحر، واستحال إلى وحشٍ جامد القلب، لا شيء يشع في عينيه سوى لهب مدمر.

تراجعت تاج ببطء إلى الخلف، نظراتها لا تزال معلقة على الأرواح الثلاث، وكأنها تستمتع بتلاشي بريق الأمل من عيونهن، عيناها كانتا تتقدان ببريق بارد، كشرارة جليدية تعلن عن نهايتهن المحتومة.

قالت بنبرة منخفضة وخافتة، لكنها مشبعة بالسخرية والعزيمة:

- تعتقدن أنكن قويات، أنكن تستطعن الصمود في وجه القدر؟ لقد خُذلتم... أنتن لا تملكن شيئًا هنا سوى ظلالكن الخائفة.

ارتجفت إيلينا، عيناها تغشاهما ذهول لم تستطع إخفاءه، وشفتاها تتحركان همسًا لا يُسمع، كانت تحاول أن تتمالك نفسها، لكن ثقل الكلمات كان أكبر من قدرتها على الاحتمال...

أما ميلاف، فقد بدا في عينيها بحثٌ يائس عن شيء غير مرئي، كأنها تحاول التقاط خيط أمل، لكنه يذوب أمامها كسراب بعيد، و

روهان، القوية المتمردة، انحنى رأسها دون وعي، وكأن روحها نفسها استسلمت لقدر لم تختره.

أكملت تاج، وكأنها تلقي حكمًا أبديًا عليهن:

- هنا، في هذا الفراغ، ستصِرن مجرّد رماد في ريحٍ لا تترك أثرًا... لن تبقى منكن سوى تلك النظرات الذاهلة، مجرد شبحٌ عابر، ستبقين محاصرات في ليل لا ينتهي، وسماءٍ لا ترحم.

رفعت يديها برفق، وكأنها تستدعي قوة من مكان آخر، فانقشعت الغيوم الكثيفة في أرجاء الغرفة، وبدأت الظلال تتجمع من حولهن، كأنها ترتبط بأرواحهن في لحظة حبسهن الأبديّ، كانت تلك الصور تتراقص في الهواء كأفاعٍ شريرة، ملتفة حولهن في حلقة مغلقة، تزداد كثافة حتى كادت تخنق الأنفاس.

قالت تاج بابتسامة باردة تملأ وجهها بالحقد:

- قدَر لكنّ العيش في ظلامٍ لن يعرف فيه أحد من أنتن، ولن يتذكر أحد أصواتكن، ستكون هذه الليلة نقطة انطفاء لكن جميعًا، ولن يملك أبنائي سوى ظلالٍ باهتة من ماضيكن...

صورة لا تغير سوى العدم.

وقفن مشدوهات أمام تاج، والنور الشاحب المنبعث من السقف أضاء وجهها البارد لحظة أخرى قبل أن تطفئه بابتسامة انتصار، ثم بدأت تتحرك، بهدوء قاتل، تاركة خلفها أرواحهن التي تهاوت إلى ظلالٍ وذكريات ضائعة.

***

وقفت تاج في مكان لا يُقارن بأي مكان آخر، في عالمٍ يتحدى الزمن والمكان، كان هذا المكان محفورًا في أعماق الجبال، حيث الصخور السوداء العتيقة تتناثر على جوانب الهاوية، والمكان يشع بخيالاتٍ غامضة تتراقص في هُدوءٍ مخيف، السماء فوقها كانت مكفهرة، مليئة بغيوم ثقيلة تلقي بظلالها على الأرض التي بدت وكأنها قد ابتلعتها تعاويذ سحرية قديمة، الأشعة الباهتة كانت تتسرب من بين الشقوق الضيقة في الصخور، ملقية على المكان ضوءًا ضعيفًا وكأنها همسات ضوء ناتجة عن قوة قديمة مستترة في أعماق الأرض.

الهواء هنا كان مُشبعًا بسكونٍ عميقٍ، وترددات غامضة تملأه، كأن المكان نفسه يستمع، يراقب، ويخبئ أسرارًا لا تكشف إلا لمن هو جدير بذلك، كانت تاج جزءً من هذا المكان، كأنها تولد فيه، تندمج مع قوته، وتتغذى على هدوئه.

في يدها، كانت نشروان تتألق بشكل غريب، كما لو أنها رابط بين العوالم المظلمة، أداة تشع بقوة قديمة، تنتظر اللحظة المناسبة لتكشف عن طاقتها الكامنة.

ثم وبصوتٍ هادئٍ ولكنه يحمل بين طياته قوةً عظيمة، نطقت تاج:

- أيها الملك الأبيض... تعال.

صمت مفاجئ عمّ المكان وكأن الأرض نفسها توقفت عن الحركة في انتظار الاستجابة، لحظات مرت قبل أن يتلاشى الظلام فجأة، ويظهر الملك الأبيض، كان مهيبًا وكأن الكون نفسه قد

انصاع لظهوره، عيونه المتوهجة تحمل نظرة غامضة، وقلبه مليء بالتساؤلات، لكنه لم يكن يدرك بعد أن هذا اللقاء سيكون نقطة تحول مصيرية.

تقدم الملك الأبيض بخطى واثقة، يسيطر على الأجواء من حوله، ابتسامته كانت مرسومة على وجهه، لكنه لم يدرِ بعد أن ما ينتظره ليس ما كان يتوقعه، كانت أفكاره تذهب في اتجاه آخر، يظن أنها قد أرسلت النداء لتعلن عن عودتها، لتعيد الأمل إلى قلبه، وتخبره أن لحظة التجمع قد حانت، ولكن كلماته كانت تخرج كأنها حلم بعيد، فأجاب بصوتٍ مشوبٍ بالترقب:

- هل حانت اللحظة؟ هل نعلن عن عودتك؟ هل سنجتمع أخيرًا كما كنا في الماضي؟

لكن تاج ابتسمت ابتسامة حادة، كأنها تروي قصةً غير التي يتخيلها، رفعت نشروان ببطء، كأنها سلاحٌ قديم في يدها، ثم قالت بلهجةٍ حازمة، مليئة بالغموض:

- لا، أيها الملك الأبيض... لم آتِ هنا لأخبرك بما تتوقعه.

كانت كلماتها تخرج كالصواريخ، تتطاير في الأجواء، مملوءة بالسرية، بالقدرة على تحويل كل شيء إلى دمار، وكأنها تفتح بوابة إلى عالم آخر.

وقفت تاج في سكونٍ مُرعب، كمن يتهيأ لقراءة تعاويذها على هذا العالم الفاني. يداها محكمتان على آلة نشروان، كأنما تمسك أرواحهم بين أناملها. انعكست على شفتيها ابتسامةٌ كريهة، ابتسامة تماثل

ظلال الظلام التي تحاصرها، غامضة وغارقةً في الشرور. أمامها، الملك الأبيض ساكنٌ متوتر، تنتظره رؤية قاتمة تكاد أن تسرق روحهُ.

نظرت إلى نشروان، الذي بدأ يُظهر بريقًا لامعًا، وتجلت عليه صورةٌ مهتزة لنعمان ابنهما، غارقًا في ظلمات محرابٍ بعيد، محاط بضبابٍ ثقيل يحجّب الأنفاس، غريبًا عن ذاته، كأنما صار شبحا يسكن جسدا باليا، عيناه تحترقان ببريقٍ أحمر مُرعب، ووجهه محاصر بظلٍّ من الحقد، بينما ارتسمت على شفتيه ابتسامة مشوّهة، كمن يجرّ لعنات الأرواح إلى جحيمه الخاص، لا يرى أحدًا، لا يشعر بأي شيء سوى رغبته في الدمار.

أخذت تاج تلحظ ارتباك الملك الأبيض، انحناءة جبينه المغمور في الظل، وتحدثت بصوتٍ هادئ، ممتلئٍ بالانتقام الكامن:

- أنظر جيدًا، أهذا ابنك؟ لا، بل هو ظلٌ منه، كائنٌ أعمته السحر، طوّقته أغلالي، وصار مجرد أداةً لرغباتي.

أغمض الملك الأبيض عينيه للحظة، يحاولُ أن يستوعب هذه الصورة المتكشفة أمامه، وقلبه ينزف ألما ويأسا، شعر كما لو أنّها تُنزل بصدره مطرقةً ثقيلة مع كل كلمة، لتصدمه بحقيقة أن ولده لم يعد سوى شبح مشوّه.

تابعت تاج، صوتها المسموم يتصاعد مثل أفعى تنفث سَمها: - أوهمته بقدرتهُ على الانتقام، زرعت له عفرين كعدو، لكنه لم يكن سوى فريسة بين يديّ، جعلته أنت يجري وراء سرابٍ كاذب، ينغمس في عشق الأنسية، ويترك جوهره، حتى صار هشًا... أضعف مما كنت أتصور.

لم يتحرك الملك الأبيض، عينيه مغمضتان من هول الرؤية، تكاد أنفاسه تخون جسده الهش من الصدمة، وكأن روحه تتفتت أمامه.

ارتفعت يد تاج مرة أخرى، وظهر يوناس في سطح نشروان، كان جالسًا في مكانٍ مُظلم، عيونه غارقة في الضياع، نظرته ميتة خالية من أي بصيصٍ كان يميزه في الماضي، كان يبدو كشخصٍ تلاشى إلى الظل، ملابسه مُهترئة، ووجهه شاحبٌ كأطياف الذكريات القديمة.

- أتراه؟

قالت تاج بملامح مشتعلة بالشماتة:

- لقد كان قائدًا عظيمًا، حكيمًا، يحمل كتابٍ يُرعب الممالك، وها هو الآن بقايا مهترئة، لا يعرف ذاته، ولا يستطيع أن يخطو خطوة في الظلام دون أن يضيع، كان يظن أن قوته في علمه، ولكنه كان مخطئًا... كان دمية بين أصابعي منذ البداية.

ظل الملك الأبيض صامتًا، روحه تُسحق شيئًا فشيئًا تحت وطأة الصور والكلمات السامة التي تنفثها تاج في داخله، يأكله الألم كالنار في الهشيم، يلتهم ذكريات فخره بابنه الذي ضاع بين ظلال الخيانة والسحر الأسود.

ابتسمت تاج، وكأن الشر ينبثق من عينيها، وأكملت:

- أترى هذا يا ملكي؟ هذا ليس سوى البداية، كلهم سيرقصون تحت إمرتي، جميع من هم أعز عليك، سيدفعون ثمن ضعفهم، ولن يكون بوسعك فعل أي شيء، سأعيدهم للطريق الصحيح، سوف أجعلهم ملوك.

صمتت لبرهة وهي تُكمل بنشوة تتجلى في صوتها:

- لا.. بل سأجعلهم آلهة، تُخضع عالم الأنس بأسره تحت إمرتها.

دنت منه وقدْ تحولت حدقتيها للأسود القاتم وهو تُخرج صوتها المتباهي لتردف:

- بل والعالم السُفلي من الجن والشياطين، سيكونون تحت أقدامنا، يمتثلون لأمرنا وينتهون لعهدنا.

كان يُحدق بها صامتًا، ينتظر كل ما سيخرج من جُعبتها.. امتدت يد تاج نحو سطح نشروان المسحور، مشيرةً إليه ببطءٍ وثقة، وما هي إلا لحظات حتى بدأ المشهد يتبدل أمام الملك الأبيض، لوهلة خُيِل إليه أنه يرى انعكاسًا باهتًا، لكنه سرعان ما تلاشى ليحلّ محله صورة روهان، لم تكن تلك الطفلة التي كانت يومًا تملأ أرجاء المملكة بابتسامتها؛ بل كانت كيانًا جديدًا، كيانًا خُلِق من ظلمات الساحرات، وجهها مجرد قناعٌ من الرعب والجليد.

عينان واسعتان، تحدقان مباشرةً إلى حيث يقف الملك الأبيض، يلتهمه بريقهما الأحمر القاتل كجمرة حارقة تذوب في عمقها ظلمات الشياطين، حدقتاها كانتا مثل هاوية بلا قرار، تشتعلان بنيرانٍ من الكراهية والجحيم، تشعان بطاقة حقدٍ لا تعرف الرحمة ولا الندم، كانت عيناها كصدى العذاب ذاته، كأنما اختبأ داخلهما ظلامٌ لا نهاية له، ظلامٌ يلتهم كل شيءٍ أمامه دون هوادة.

بشرتها لم تعد تعكس دفء الحياة، بل كانت كجليد المقابر، باردة صامتة، تفوح منها رائحة الموت، تكاد تلامس برودتها أرواح كل من

حولها، شعرها الأسود يلتف حول وجهها المظلم، كالأفاعي السوداء التي تُحاصر الفريسّة، كأنما تطوقها لتحكم قبضتها على عذريتها الضائعة، تاركة لها فقط آثار الظلام.

ابتسمت تاج ابتسامة حاقدة، وهي تشعر برعب الملك الأبيض، وتركت صمتًا ممتدًا تعمدت فيه أن تبقيه في هذا الجو القاتم، حتى بات وكأنّ الزمن توقف، وكأن كل شيء يئن تحت وطأة الكارثة التي تجلت أمامه.

ثم انحنى صوت تاج، كأنه هدير عاصفة، كاد يسحق كل شيء في الغرفة، وقالت بنبرةٍ غامرة:

ها هي حفيدتك... رؤهان، تلك البريئة التي طالما احتضنتها بأمانك، ودفعتها لتعلم السحر الأسود على يد الشياطين ذاتهم، وأنت ثُراهن على الخيرّ بداخلها، قد أضحت الآن ملكي...أضحت حبيسة ظلامي، ومِلكا لأشباحي، كل تلك الأحلام التي ملأت طفولتها، أصبحت اليوم رمادًا في مهبّ الريح، لم يبق منها سوى وحشٍ بارد، لعبة بيدي، يحيا لأجلي، ويتنفس شرّي.

ارتعش الملك الأبيض، لم يعد قادرًا على كبح شعور الرعب الذي يكتسح جسده، كأنه صار أضعف من أن يقاوم الحقيقة التي تتكشّف أمامه، وجهه كان شاحبًا محروقًا بتلك الصور المرعبة، كمن شرب السمّ دفعةً واحدة، يُحاول جاهدًا أن يستوعب الكارثة.

لم تكتفِ تاج بعد، تقدّمت خطوةً أخرى، ثم نظرت إلى الملك الأبيض بعينين ملؤهما السخرية المستترة، قائلة ببرود:

- أما الآن، فلا مجال للعودة، روهان أصبحت الآن جزءً من القوة التي لن تتمكن أبدًا من مواجهتها، قوة شرٍ لن ترحمها أبدا..

كانت تدور حولهُ وهي تستطرد:

- لا، لن تعرف خلاصًا بعد اليوم، حتى لو توسلت إلى الظلام ذاته، لن يعود بوسعها الهروب... هي الآن ملكة جيوش الظلام، ولن تتركها قوى الجحيم أبدًا.

ثم أضافت بنبرةٍ أكثر استخفافا، كأنما تسدد له الطعنات الأخيرة:

- لكن... لا تتعجل يا ملكي العزيز، فهذا ليس سوى البداية.. بداخل روهان الآن يكمن الشر الذي سيأكل كل شيء حولها، حتى وإن كانت الأرض ذاتها، ستكون هي صاعقة الدمار، وستنقلب الأرواح حولها رأسًا على عقب، كل شيء سيتهاوى، وستصبح كل روح، وكل نفس، مجرد قطعة في مملكة الظلام.. مملكتي.

توقف الملك الأبيض، عاجزًا عن استيعاب ما يسمعه، كان صوتها يرتد في عقله كصدى مرير، يهوي به نحو قاع سحيق لا نهاية له، وسط مشهدٍ بات أقرب إلى الكابوس منه إلى الواقع.

كانت الكلمات تخرج من فم تاج مثل السم، وعيون الملك الأبيض تغرق في الصورة التي كانت تزداد قتامة بمرور الوقت، لم تر ضي بعد بما عرضته على الملك الأبيض، بل استمرت في سعيها لتحقيق الانتصار، لتضع أمامه مشهدًا جديدًا، مشهدًا سيكون بمثابة ما قبل الضربة التي ستقضي على آخر آماله، رفعت نشروان مُجددًا، وهي لا تستطيع إلا أن تبتسم ابتسامة أكثر خبثًا، تلك الابتسامة التي كانت

تحمل سحرًا قاتلًا، كما لو أن القوة التي تقبعُ بداخلها كانت تسري في جسدها بشدة، وتحمل معها عبئًا ثقيلا من الرغبة في الانتقام.

عبر الصورة التي بدأت تتشكل في نشروان، ظهر وجه سارافيم، وتلك الأعين التي كانت في يومٍ ما مليئة بالأمل، تمتلئ الآن بخيالاتٍ مُظلمة، سارافيم التي كان يعتبرها الملك الأبيض تلميذته المميزة، التي تعلمت منه الحكمة والتعقل وشاركت معه في رحلات عديدة، كانت الآن تتقدم بثقة غير مسبوقة كانت قوة الشر تتسارع في عروقها، وكانت عيونها تلمع بحقد وعزم على طريق مُعتم لا عودة عنه.

ابتسمت تاج بحزن مزيف، وهي ترى سارافيم تتقدم في السحر المُحرم الذي علمتها إياه، وتتفوق على كل التوقعات، تلك الفتاة التي كانت في يومٍ ما مجرد تلميذة بريئة، أصبحت الآن خادمة للسحر المحظور بأبشع صوره، كانت تعلمها كيف تحطم الأرواح، كيف تسيطر على النفوس وتستعبدها، كيف تلوي الحقيقة وتدمر كل ما هو طاهر، كل نوع من السحر الممنوع الذي مارسته تاج كان بمثابة درس قاسٍ تعلمته سارافيم على يدها.

رفعت تاج حاجبها بتحدٍ، وقالت بنبرة منخفضة ولكنها مليئة بالقوة:

- هل تظن أنك ستتمكن من إنقاذها؟ هل تعتقد حقًا أنك ستكون قادرًا على مساعدة من أحببت؟

نظرت إلى الملك الأبيض بعينين مشتعلة بالشر، وكأنها تسخر من حلمه الأخير:

- سارافيم كانت تلميذتي لبضعة أيام، وأنا التي صنعت منها ما هي عليه الآن، هي من نفذت السحر المحرم بكل ما في قلبها من رغبة في القوة، في الظلام، في الانتقام. وأنت؟ أنت لا تستطيع إنقاذها، وهي لا تستطيع أن تحيد عن طريقها، ولا حتى أن تجد طريقًا ليعيدها إلى ما كانت عليه.

كانت كلمات تاج تطعن الملك الأبيض واحدة تلو الأخرى، وكل كلمة كانت تعني موت حلمه في إنقاذ الجميع، ولكن تاج لم تشبع بما قدمته له، بل أضافت بكلماتها الثقيلة:

- سارافيم التي وعدت بحمايتها، وظننت أن بقتلك لعفرين قد أنقذتها من براثن طريقٍ حالك، لن تجد فيه نفسها، كل هذا كان بتخطيطي كي أجعلك تنحرف عن مساري، وقد نجحت خطتي.

ورغم أن المشهد كان يزداد ظلمة، لكن تاج لم تتوقف عن توجيه كلماتها الثقيلة، وكل كلمة كانت مثل الرمح في قلب الملك الأبيض:

- الظلام الذي دخل إلى قلبها هو أشد من أي شيء قابلته في حياتك، أنت عاجز ومصير سارافيم أصبح محكومًا عليه، وأنت هنا تقف بلا حيلة، لن تقدر أن تفعل شيئًا، إنها تتساقط في هوة السحر المحرم، ولا مكان للرجوع منه.

كما لو أن كل شيء كان قد انتهى بالنسبة للملك الأبيض، وكان قلبه ينفطر من الحزن واليأس، ورغم كل قوته، لم يستطع أن يغير المصير الذي رتبته له تاج.

كانت الأجواء في المكان تشبه ضبابًا كثيفًا يملأ الأجواء، عابسًا

ومخيفا، بينما كان الملك الأبيض يقف ثابتًا، عينيه مركزتين على تاج التي كانت أمامه، بابتسامتها الباردة التي تخفي وراءها أمواجًا من العواصف، كانت هي الحقيقة الوحيدة التي لم يستطع تحملها، الحقائق التي بدأت تخرج من بين يديها كجمرات مشتعلة تسقطه في هاوية لم يكن يتوقعها.

بهدوء، وبنبرة مشبعة بالانتقام، قالت تاج:

- لقد احتفظت بأكبر مفاجأة لك.

ضمت شفتيها وضيقت عينيها وهي تقول:

- لا.. معذرة لن تكون الأكبر، فالأكبر والأعظم ستكون ما قبل النهاية.

تاج، بعينيها الملتهبتين وهالة من الظلام تلتف حولها، رفعت نشروان مرة أخرى، وكأنها تستحضر قوى خفية من العوالم السفلى، لتزيد من رعب المشهد الذي وضعته أمام الملك الأبيض، وهو يشاهد أحلامه تنهار أمامه، الصورة بدأت تتلاشي لتعيد تشكيل نفسها، وتبدأ قصة أخرى، ضربة جديدة تقصم ظهره، كأنما تاج تصوغ له قدره الأسود بأقسي ما تحمله أنفاسها من كراهية.

ظهر نعمان الصغير في تلك الصورة المرعبة، يقف وسط ظلال بوابة جهنم، محاطا بعتمة صامتة، يده قابضة على ناي أسود، يكاد يقطر شمًا، هذا الناي المصنوع من عظام قديمة ومرصّع بنقوش مريبة، يحمل في داخله سحرًا عتيقًا، سحرٌ لا يعرف الرحمة، نظرة نعمان كانت قاتمة، عينيه مظلمتين، وكأن روحه أصبحت جزءً من

معزوفات الموت التي يعزفها.

بدأ يعزف نغمة جهنمية تتصاعد مع كل نفس، وكل نغمة تخرج من الناي كأنها صرخة من عوالم مظلمة بعيدة، تحمل رائحة الخراب، كانت الأنغام تقطع الهواء وكأنها شفرات خفية، تجتذب كائنات غريبة، تجذب الأرواح المحيطة، تُلقي بكل من يسمعها في حالة استسلام مطلق، لم تكن معزوفات نعمان مجرد موسيقى، بل كانت لعنة بحد ذاتها، قوة مُسَيطِرة لا يُمكن ردعها، تجرّ كل من حوله للوقوع تحت إرادته كأنهم دمى في يد ساحر بلا رحمة.

كانت ترى انعكاس هذه الرؤية على وجه الملك الأبيض، ابتسمت بمكر قاتل، لم تكتفِ بهذا المشهد، فبداخلها وعود بالدمار أعمق من ذلك بكثير، حركت نشروان مجددًا ليظهر شخصٌ آخر، شخصٌ لم يكن أقل رعبًا من نعمان الصغير؛ إنه آرام، جالسٌ على عرشٍ شاهق في قلب عالمه السحري الغامض، أراديل.

أراديل، عالم الوهم والغموض، لم يكن مجرد مكان؛ كان أرضًا تتحرك فيها الحقائق والأكاذيب بسلاسة مرعبة، تتبدل فيها الأشياء والأشكال حسب إرادة آرام، كان ذلك العالم أسيرًا تحت قدميه، يسيطر عليه بقدرة فطرية، تشعر تاج أنها صنعتْ منه كائنًا لا يُضاهى، رأى الملكُ الأبيض آرام يمد يده، مشكلا ما يشاء في ذلك العالم، جاعلا أعداءه يرون مناظر مرعبة، يتخبطون في أوهام معقدة لا يمكن الهروب منها.

وبكل خطوة خطاها آرام في هذا العالم، كانت الصور تتغير، تتحرك، تنبض بقوةٍ شرسة، كل كائن يعبر تلك الحدود يسقط أسيرًا

في مصيدة الوهم، يرى العدو ما لا يُصدق، يسمع ما يبعث الرعب في نفسه، وتتحول الحقيقة بين يديه إلى مجرد ضباب.

ابتسمت تاج ابتسامة شاحبة، لكنها محملة بوعود تهتز لها النفوس، وأخذت تراقب الملك الأبيض وهو يرتعش بلا حيلة أمام هذه الرؤى، ثم قالت بصوتٍ خافت لكنه كان يحمل سحرًا لا يُقاوم:

- هؤلاء هم أبنائي و أبناء سلالتي، هؤلاء هم من سيعيدون لنا المجد المفقود، أنتَ، أيها ملك الأبيض وأي مخلوق آخر، لن تستطيعوا الصمود أمام سحرهم.

ثم اقتربت منه، وصوتها يملأه السخرية المرة:

- مع نعمان الصغير، الذي تتحكم معزوفاته السوداء بأرواح الكائنات، ومع آرام الذي يحوّل الوهم إلى حقيقة يلتهم بها كل من يعترض طريقه، سأعيد للعائلة هيبتها وسلطانها، وسأضع عوالمكم جميعًا تحت قدمي.

كانت كلمأتها كسكاكين تغرس في قلب الملك الأبيض، تفتك بآخر ما تبقى له من أمل، فهم في تلك اللحظة، أنه يقف أمام قدرٍ لا رجعة فيه، وأن تاج قد صنعت من هذا العالم مسرحًا لطموحها القاتم، وقد أعدت سلاحين لا يمكن ردعهما، بل لا يمكن مجاراتهما..

ابتسمت وهي تُحرك يدها إلى الأمام، فظهرت الصورة على نشروان، حاملة في طياتها سرًا كان محجوبًا عن الملك الأبيض طوال تلك السنوات.

طاحت بكفها أمامه وبحركة مسرحية قالت له بحماس:

- والآن المفاجأة الكبرى.

الملك الأبيض، الذي طالما شعر بأنه يمتلك كل الخيوط بين يديه، والذي اعتقد أنه يحكم هذا العالم ويعرف كل خباياه، تجمد في مكانه، الصورة التي ظهرت كانت كالشبح الذي يطارد ماضيه، صورة شيث.. شيث ابنها الغامض، الذي كان في نظره مجرد كلمة مهملة في الزمان البعيد، أصبح الآن يتصدر المشهد أمامه.

في تلك اللحظة، كانت »تاج« تقف شامخة كجبل من الظلام، تراقب بعينيها الحادتين وجه الملك الأبيض، ذاك الوجه الذي كان يشي بتعبير من لم يعرف الألم قط، لكنه الآن يتصدّع أمام حقيقة قاسية كالصقيع. رأت كيف انسابت الصدمة في ملامحه، وكيف كان يتلعثم بغير صوت، غير قادرٍ على تفكيك المأساة التي ألقت بها عليه كعاصفة قاتمة. عيناه تهيم بلا وجهة، وكأنه يبحث عن خيط أمل، عن أي تفسير ينقذه من الحقيقة القاسية التي تكشفها أمامه.

كان حديثها كنصل يقطر شمًا، يخترق كل خلاياه، لا رحمة فيه ولا شفقة. قالت، ونبراتها تحمل نغمة انتصار خبيثة:

- شيث، الابن غير الشرعي، ثمار عشقي الممنوع مع عائذ بن آب، الذي جهلت بوجوده طوال هذا الوقت، تظن أنك ملكت العوالم بقبضتك، وأن أسرار السحر جميعها طوع يديك، لكن هناك أشياء لا يطالها بصرك، وتلك من بينها.

الكلمات كانت تخرج منها كأنها تُصبّ على جرح مفتوح، وكانت ترى الألم ينساب في ملامح الملك الأبيض كأنه ينزف من روحه ذاتها، صوته كان مبحوحًا، ممزوجًا بالخوف والخسارة، يحاول

جاهدا استيعاب الحقيقة التي تهز كيانه، لكنها لم تترك له لحظة راحة، بل واصلت، كأنها تستمتع برؤية تلك النظرة المنكسرة في عينيه.

- أنت لم ترَ شيئًا بعد... شيث، ابني ودمي الذي يجري في عروقه سحر لا تعرفه العوالم، هو الوريث الحقيقي للقوة التي ظننت أنك تمتلكها، نشأ في الظلال بعيدًا عن عينيك، تدرّب على فنون السحر جميعه وأسراره العميقة، فعل مالم يمكن لجنيٍ مثله أن يفعله، عائذ ابيه الذي عاشرته وتعلمت منه كل ما أنا عليه الأن، لو ظللت تحت كنفكِ لغدوت امرأة لا ثمن لها.

كان ينظر إليها وكأنه يرى فيها تجسيدًا للهاوية ذاتها، هاوية سحيقة تبتلع كل ما يملك من كبرياء، في خياله كانت ترتسم صور عائلته، ابنه وأحفاده، و في عقله كانت تتردد أصوات الموتى والأرواح المسلوبة التي وقعت تحت تأثير سحرها الداهم..

تحدثت تاج بشموخ، كأنها تتحدث عن أسطورة سطرتها بيديها:

- هذان هما وريثاي... شيث وبني النعمان، هما ولداي التي ستنهار أمامهما كل العوالم التي لم أتخيل يومًا أنني أستطيع إخضاعها.

كلماتها كانت كصفعات لا تتوقف، كل كلمة تضرب قلب الملك الأبيض كطعنات غائرة، تفتت ما تبقى من كبريائه، وتزرع داخله شعورًا بالهزيمة المطلقة، ارتجف من قوة هذه الحقائق، من معرفته بأن قوته التي لطالما تفاخر بها، تتلاشى أمام سطوة ولده وأحفاده الذين تجمعت فيهم إرادة أمهم وشرّها المتأصل.

اقتربت منه وعينيها تلمعان ببريق شرس تتلذذ برؤيته يتفكك أمامها، ثم قالت بنبرة قاتلة وهي تضع يدها على قلبه وكأنها تقبض على روحه:

- ظننت أن القوة تجعلك ملكا؟ ظننت أن المعرفة تعطيك حق السيطرة؟ كنت تخدع نفسك، فالقوة الحقيقية ليست لمن يملكها فقط، بل لمن يعرف كيف يسوغها ليصنع من خلالها قدرًا لا ينكسر، لقد عشت طيلة حياتك تبحث عن القوة، لكنك اليوم عرفت الحقيقة... أنت مجرد حجر في طريقي.

ابتسمت ابتسامة مشوبة بالمكر، وأردفت، وهي تستمتع بكل لحظة تمر وملامحه تزداد ذبولا:

- لقد كنت غارقًا في أحلامك الواهية، بينما شيث وبني النعمان خلفي، ينتظران اللحظة المناسبة لإعادة بناء سلالة ستحكم العوالم بقبضة من رعب، وأنا سأكون سيدة تلك القوة... القوة التي لم ولن تملكها.

ارتعشت حدقتي الملك الأبيض تحت تأثير كلماتها وكأنها قيود من غبش تخنقه وهو غير قادر على الإفلات من قبضتها، يدرك أن الكابوس الذي عاشه لم يكن إلا بداية، وأن أمامه عالما جديدا من الهزائم والانكسارات بانتظاره، عالما لا مكان له فيه بعد الآن.

ابتسمت ابتسامة مريبة، وتقدمت بخطواتٍ واثقة نحو الملك الأبيض، الذي كان يبدو ضائعا، غارقا في أفكاره، محاصرا بين صدقه الكاذب وبين جحيمه الذي يقترب، كان يشد قبضتيه، يحاول أن يقاوم الشعور بالهزيمة، لكن كان يبدو أنه لا يفهم بعد ما يحدث له،

ليسأله بثبات حاول التمسك به للنهاية:

- وماذا بعد؟!

تنهدت وكأن كلماتها هي نصلٌ يقطع الهواء من حولهما، وقد كانت تعرف أن اللحظة قد حانت وهي تقول له:

- للأسف لن ترى ما الذي سيحدث بعد.

وفي تلك اللحظة التي وقفت فيها تاج مواجهة الملك الأبيض، امتدت يداها إلى الأمام ببطء مدروس، كأنها تجر معه لعنات أزمان غابرة وأحقاد دفينة، محبوسة تحت سطح رقيق من الهدوء الظاهري، كانت عيناها تسطع ببريق قاتم، يضجّ بنار الكراهية العتيقة، ممتزجة بزرقة الغدر البارد..

سحرها كان عتيقًا، أسود كعمق هاوية، ونادرًا كقلب الليل، سحرًا لم يجرؤ أي مخلوق أن يمسه، كانت تعرف أن لحظتها الحاسمة قد حانت، وأن هذه اللحظة ستبقى مرسومة على ذاكرة الكون.

رفعت تاج يديها، وبدت وكأنها تسحب شيئا من داخل أعماقها؛ شيئًا ثقيلا كانما هو مقبرة أرواح محبوسة، ثم فجأة، انفجر بين يديها شعاع نار زرقاء، باردة كالخوف، محاطة بوهج ظلامي يحجب عن البصر كل بصيص أمل، كانت

القوة التي تجلت بين أصابعها تتجاوز كل الحدود؛ كأنّما سحبت ضوءًا من قلب العتمةُ ذاتها، ودون أن تحيد بنظرتها عن الملك، أشارت ببطء نحو صدره،

كأنما تحدد موضع نهايته بيدٍ لا تعرف الرحمة.

لحظة واحدة كانت كافية ليحس الملك الأبيض بثقل رهيب على صدره، كأنما هناك يد خفية قد امتدت إليه وانتزعت منه شيئًا لا مرئيًا، لم يُدرك حتى متى انطلقت تلك الشعلة من يدي تاج، لكنها اخترقت جسده كخنجر مسموم، تتوغل في روحه ببطء، تلتهم شيئًا فشيئًا تلك القوة التي اعتقد أنها ستحميه، كان السحر دخل جسده كأفعى زاحفة، يداعب حواسه في البداية بلمسة دافئة، ثم يتحول إلى بركان يغلي، يأكل كل جزء فيه بلا رحمة.

تعثرتْ خطواته، وارتعد جسده، وأجبر على الركوع أمامها، محطما ومهزوما، كان يشعر بألم يخترق نخاع عظامه، وكأنما آلاف الأفاعي السوداء تلتفّ حول أحشائه، تخنقه ببطء قاتل، حاول أن يرفع يده، أن يصرخ، أن يفعل شيئًا، ولكن السحر الذي كان يتدفق في جسده قد شلّ كل إرادة لديه، وأغرقه في دوامة لا نهاية لها من الألم والعجز، كل صرخة داخله كانت تُكتم، وكل محاولة للهروب كانت تُسحق أمام قوة الظلام الذي يلتف حوله كعباءة جهنمية لا فرار منها.

كانت تاج تراقب انهياره بصمت، وعلى وجهها ملامح باردة كالصخر، كأنما تشاهد سقوط إمبراطورية عتيقة دون أي ندم أو شفقة، لم يكن هناك أي انفعال في عينيها سوى نظرة ممتلئة بالغدر الصامت والانتصار، اقتربت منه بخطوات هادئة، وعندما أصبحت قريبة منه بما يكفي لتهمس له، قالت

بصوت خفيضٍ يحمل رنينَ الخيانة:

- لم تكن أبدا إلا خادما لقومك، سوى بيدق في لعبة أكبر منك، وقد ظننتَ للحظة أنك الحاكم، بينما كنتَ تحيا بين خيوط العنكبوت.

نظر إليها الملك الأبيض بعينين مترهبتين، عاجزًا عن فهم الخيانة التي كانت تتسلل من كل زاوية حوله، كان عقله يحاول استيعاب أن من كان يظن أنها بجانبه كانت تسلبه كل شيء بصمت؛ تدمّره بهدوء قاتل، كما لو كان دمية عبثت بها أصابع لا ترحم، ومع كل همسة منها، كان السحر يتغلغل أكثر، يُطفئ كل وميض قوة داخله، ويحوّل جسده إلى وعاءٍ فارغ بلا روح.

وبينما هو يسقط ببطء على ركبتيه، وحيدا، مذلولا، هامسًا بصرخة مكتومة لا يسمعها إلا هو، وقفت تاج بجواره، همست في أذنه كأنها تُلقنه آخر درس:

- العرش لم يكن يومًا لك، كنت حارسًا على مملكة لم ولن تملكها.

ابتعدت عنه ببطء، تاركة إياه ممددا على الأرض، جسدا بلا حياة، وروحًا بلا قوة...

كان سحرها قد أتمّ مهمته، وكأن المَلك الأبيض قد تحوّل من رمزٍ للقوة إلى شبحٍ باهت، جثة تخلت عن روحها في قبضة انتقامٍ لا يعرف الرحمة.

وبينما كانت تختفي تحت ستار الظلال، ابتسمت تاج تلك الابتسامة الباردة الّتي تثير الرعب في قلب من يشاهدها، همست بهدوء كأنها تغلق صفحة في كتاب الأقدار:

- لقد انتهى زمنك، والعرش الآن لي.

***

تمت بحمد الله